٥

كتاب
تاريخ بيروت

واخبار الامراء البُحتُريّين من بني الغَرب

لصالح بن يحيي



سعى بنشرهِ وتهذيب عبارتهِ وتعليق حواشيهِ وفهارسهِ
الاب لويس شيخو اليسوعي



طُبع اوّلًا في أعداد مجلّة المشرق



بيروت في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين
سنة ١٨٩٨

مقدّمة ناشر الكتاب

بينما كنَّا نسرّح النظر في خزانة كتب باريس الكلية ونستنسخ بعض فوائد مصنَّفاتها الخطّيّة التي تشهد لمؤلفيها بطول الباع في الفنون الكتابية عثرنا على كتاب موسوم بتاريخ بيروت. فبادرنا الى مطالعتهِ فما كان منّا بعد فحص اوَّل صفحاتهِ الّا ان هتفنا فرحين هذه الضالّة التي كنا ننشدها والكريمة التي نقصدها . فاخذنا من ثمَّ بنقلهِ على جناح السرعة. غير انهُ في ابّان شغلنا اضطرّتنا الحاجة الى ان نبارح العاصمة ونعود الى هذه الديار. فكلّفنا احدَ اصحابنا وهو العالم الدكتور الاب شابو بان يرسم لنا بالفوتغرافية ما لم تسنح لنا الفرصة بنسخه فجاء شغلهُ وافيًا بالمرام

والنسخة الاصلية فريدةٌ في جنسها لم يُعرف لها شبيه في مكتبة غيرها وهي تشتمل على ١٣٥ ورقة من قطع ١٢ وفي كل صفحة خمسة عشر سطرًا مخطوطة بالخط النسخي الدقيق. كتبها المؤلف وزاد عليها عدَّة افادات علّقها عليها في الحواشي

ولهذا الكتاب اهميَّة كبرى من حيث الامور التاريخية المودعة فيه. فانَّ صاحبهُ اثابهُ الله جمع فيهِ كلَّ ما امكنهُ من الحوادث الحربيّة بالذكر عن بيروت وقِدَمها وآثارها وفتوحاتها. ثمَّ انتقل الى صفة الاحوال الطارئة عليها

منــذ القرن السادس للهجرة الى التاسع. وهناك يسهب الكلام في تواريخ بني بُحتر المعروفين بامراء بني الغرب الذين كانوا يملكون على قسم كبير من غربيّ لبنان وتولّوا زمنًا طويلًا على بيروت وما جاورها من الارباض والقرى باسم ملوك مصر من دولة الشراكسة. واكثر ما رواهُ في هذا القسم من كتابهِ لا يكاد يوجد لهُ اثر عنــد غيرهِ من الكتّاب فلولاهُ لبقيت هذه الحوادث نسيًا منسيًّا

ومن محاسنهِ انّهُ ذكــر امورًا جمّة تختصّ بامراء الفرنج الصليبيين ومآثرهم في هذه السواحل

ولقــد طالما صمّم المستشرقون على نشر هذا التاريخ ولكن حالت دون اتمام غايتهم اغلاط كثيرة لغويّة وبعض الفاظ وتراكيب اشبه بلهجــة العامّة منها بانشاء حذّاق الكتّاب. وقد اخذنا على نفسنا ان نهذّب لفظــهُ وننقّح كلامهُ حيثما لا يمسّ هذا الاصلاح شيئًا من المعنى

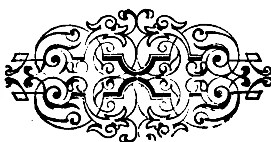
وطريقة المؤلّف في كتابتهِ فهي ساذجة متبادرة الى الفهم لم يتحرَّ بها سوى افادة آلهِ الشرفاء ليبقي لهم اثرًا يفتخر بهِ الخلَف بعد السلَف. وجعل لتاريخهِ ابوابًا وتقاسيم يتمكّن بها القارئ من احراز فوائدهِ الشتّى. وكثيرًا ما يلخّص في اوّل الفصول ما سبق ذكرهُ تسهيلًا للمطالع

امّا المؤلّف فلم نعلم شيئًا من اخبارهِ سوى ما يُستخلَص من اثنــاء كتابهِ. وكان من سلالة بني امراء الغرب. عاش في اواسط القرن التــاسع للهجرة. وكان حريصًا على جمع آثار اجدادهِ كلِفًا بتاريخ بلدهِ. ويظهر من خلال كلامهِ انّهُ كان ثقــةً لا يروي شيئًا الّا شفعهُ باسانيدهِ وايّدهُ

بحججهِ. وربّما ذكر ما شاهدهُ بنفسهِ عياناً كما ينبئ على ذلك رسم امور دقيقة لا يأتي عليها الّا الشاهد العين

وقد احببنا ان نتحف بهذه الطرفة قرّاء مجلّتنا المشرق فنشرناهُ في اعدادها تِباعاً ثم جمعناهُ كتاباً منفردًا يتيسَّر التقـاط فوائدهِ . ولا غرو ان البيروتيين بل جميع الشرقيين على مختلف اديانهم يقبلون على مطالعتـهِ لما يجدون فيهِ من عميم الجدوى

هذا وايثارًا بتحسين الكتاب قد رأينا ان نذيّلهُ بشيء من الشروح والملاحظات التي من شأنها ان تزيدهُ فائدة ومنفعة وألحقنا بهِ الفهـارس تيسيرًا لادراك مطالبهِ . وسنشكر كل من ينبّه خاطرنا الى بعض الافادات التي لعلّها تفوتنا سهوًا. وعلى الله الاتكال في كل الاحوال



فاتحة الكتاب

(2v*) بسم الله الرحمن الرحيم

ربَّنا آتِنا من لَدُنك رحمةً وهيّئ لنا من امرنا رَشَدا (سورة الكهف)

الحمد لله الاوَّل بلا ابتداء الازليّ الوجود . والآخر بلا انتهاء السرمديّ (١ المعبود . وسع علمهُ كلَّ شيء من معدوم وموجود . وقدَّر الآجال والارزاقِ للمحروم والمجدود . وفتح لنا من فيض جودهِ كلَّ بابٍ مسدود . وألهمنا الدُّعاء بالرحمة على الآباء والجدود . وصلَّى الله على سيّدنا محمَّد وآلهِ وأصحابهِ ذوي السعود . ما اغتمَّ فاقدٌ بمفقود . وسُرَّ والدٌ بمولود . صلاةً دائمةً ابديَّةَ الخلود

وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى صالح بن يحيي بن صالح بن الحسين ابن امير الغرب لطف الله بهِ اني اردتُ ان اجمع شيئاً يستفيد بهِ الخَلَف من اخبار السلَف . من ذرّيَّة بُحتُر بن علي امير الغرب ببيروت

---

* هذه الاعداد تدلّ على صفحات الكتاب وجهها (r) وظهرها (v)

١) في الاصل « ازليّ » بدون اداة التعريف « وصَرْمدي » بالصاد الى غير ذلك من الاغلاط الصرفية والنحويَّة البيّنة الخطإِ مماَّ ليس في اصلاحها كبير امر فاصلحناها ولم نُشِر اليها وكفى بهذا التنبيه اشارة

فجمعتُ هذه التذكرة معتذرًا الى الواقف عليها من ركّة اللفظ ومواقع الخطإ بعد الاجتهاد على صحّة النقل وحذف الفضول لاني لا اريد ان اكون مغاليًا في السلَف فأصفهم بازيد ممّا فيهم او حسودًا فأنعتهم بما ليس فيهم. وقد جعلتُ هذه التذكرة وقفًا على البيت لا تخرج عن الخلف ولا تُعار لغيرهم لأنها كتاب لا ينتفع بهِ (؟) غير اربابها... ١) ومن قصد بهِ خيرًا او اصلاح خلل فيهِ صوابٌ فأجرُهُ على الله فانّ الله لا يُضيع أجر المحسنين. جمعتُ ذلك باوضح برهان واصدق دليل. ولستُ فيهِ كخابط عشواء او حاطب ليل. وقد يضلّ المتأوّب في الدرب السالك. ويهتدي المُدلِج في الليل الحالك. فضلًا عن انّ مناقبهم موصوفة ومآثرهم معروفة كما قيل:

آثارهم تُنبيك عن أخبارهم حتّى كأنّكَ بالعيان تراهُمُ
تَاللهِ لا يأتي الزمان بمثلهم ابدًا ولا يحمي الثغورَ سِواهُمُ ٢)

ولمّا كان المكان متقدّمٌ على المتمكن ٣) فوجب التبدّيء بذكر الوطن وان كان الساكن افضل من السَّكَن



١) هنا في الاصل سطران حُكّا بمِبْرَاةٍ لا يمكن قراءتها
٢) وجاء في هامش الكتاب ما نصُّهُ:

نجومُ سماءٍ كلّما غابَ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي اليهِ كواكبُهْ
أضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتّى نظّم الجزعَ ثاقبُهْ

وقولهُ: ما لسماءٍ أن تُعَدّ نجومُها اذا عُدَّ آباءٌ لهم وجدودُ
فاسيافُهم تلك العوادي نصولها الى اليوم لم تُعرَف لهنَّ غُهودُ

٣) اراد بالمتمكّن ساكن المكان

فصلٌ

في ذكر بيروت واخبارها وقِدَمها

بيروت (١ مدينة قديمة جدًّا (٢ يُستدَلُّ على قِدَمها من عتق

١) انَّ (اسم بيروت) قد اختلف فيهِ العلماء فمنهم من قال أنَّهُ نسبة الى بَعْل بَرِيتَ المذكور في سفر القضاة (٩ : ٤) وهو رأيٌ ضعيف رواهُ اسطفان البيزنطي (في مادَّة بيروت) وذهب اليهِ بوشار (Bochart, *Canaan* XVII, p. 859) وكرُويزر (Creuzer, *Symbolik*) من المحدثين. لكنَّ متن الكتاب العزيز ينفي هذا الزعم والكلام فيهِ عن بعض معبودات آل شكيم (نابلس) وفَجَرة بني اسرائيل (قض ٨ : ٣٣). ومنهم من رأى ان بيروت (Βηροέθ) هو اسم الاهة ذكرها فيلون الجُبَيْليّ (Historicorum Gr. Fragm. II, ed. Didot, III p. 136) وقد اوردها في الفقرات الباقية من تاريخ سَنْكُنْيتون وهو يجمع في روايتهِ بين اسمها واسم عَشْتروت بحيث يُستدَلُّ من قولهِ انهما اسمان لمسمًّى واحد. وعشتروت هذه هي إلاهة الفينيقيين وتعدَّدت اسماؤُها (Seldenus, *de Diis Syris*, 231-260) وهي ايضاً المعروفة عند العرب بالزُّهَرة والرومان يدعونها فَنُوس (Vénus). وهذا رأي مقبول لا نجزم بصحتهِ. ويلحق بهذا الرأي الثاني رأي آخر انَّ بيروت دعيت بهذا الاسم نسبةً الى شجرة السَّرو (بالعبرانية ברות وباللغات الآرامية ܒܪܘܬܐ). وكانت هذه الشجرة رمزًا لعشتروت (راجع الفقرة ١١ من فقرات سَنْكُنْيتون). والاب مرتين اليسوعي يرجّح هذا الرأي في كتاب تاريخ لبنان (ص ٢٨٣). ولِمِسْتِياوس المِيلَتي الكاتب القديم رأي يخالف ما تقدَّم وهو انَّ بيروت لفظة فينيقيَّة اصلها «أبيروت» أُخذت من لفظة «أبير» بمعنى الشجاع فيكون معناها القوَّة لمنعتها وحرازتها. وأبير ايضاً معناها الثور وهو رمزٌ عن القوَّة كُنّي بهِ عن عشتروت السابق ذكرها

هذا وانَّ الرأي الارجح انَّ اسم بيروت اشتُقَّ من «بِئْروت» وهو بالعبرانية جمع لبئر وذلك امَّا لما حفر بها اوَّلُ سكانها من الآبار الباقي آثارها الى يومنا وامَّا لعذوبة مياه هذه الآبار كما زعم اسطفان البيزنطيّ من كتَّاب القرن

سورها (٣ ومع عتقهِ فهو محدَث عليها اتخذهُ الاوَّلون من خرائب كانت

الخامس للمسيح . وهذه الآبار لا تزال الى يومنا هذا يُتنزَل اليها من اماكن معلومة وينفذ بعضها الى بعض على مسافة بعيدة . وماؤُها عذب ٌ كثير لا ينقطع تجتمع منهُ عيون في انحاء البلد

ويتصل بالبحث عن اصل تسمية بيروت بحثٌ آخر ذهب اليهِ بعض الكتبة وهو انَّ لبيروت اثرًا في الكتاب الكريم ويزعمون ان بَيروتة او بَيروتاي المذكورة في سفر الملوك الثاني (٨:٨) وفي نبوة حزقيال (٤٧:١٦) هي بيروتنا الساحلية الفينيقية لكنَّ بطلان هذا الزعم يتَّضح من وجوه شتَّى . وكفى بنصّ الكتاب شاهدًا فانَّهُ يروي في هذا الفصل محاربة داود لهَدَدعازَر ملك صوبة . وكانت مملكتهُ متاخمة لحماة بجوار نهر الفرات (راجع العدد ٣ من الفصل ٨ من سفر الملوك الثاني) فهي من ثمَّ بعيدة عن بحر الشام . ويزيد هذا البرهان قوَّةً ما ورد في سفر حزقيال (٤٧:١٦) حيث يصف تخوم ارض الميعاد من جهة الشمال فقال : « هذا تُخم الارض من جهة الشمال . من البحر الكبير على طريق حَتلون وانت آتٍ الى صدَد حماةُ وبيروتَةُ وسبرائيمُ التي بين تُخم دمشق وتُخم حَماة ». فيظهر صريحًا ممَّا تقدَّم ان بيروتة او بيروتاي هذه لم تكن مدينةً ساحليَّة وانما موقعها في داخل الارض بين حماة ودِمَشق

وقد دعا الشعراء وقدماء المؤَرخين بيروت بأَسماء أُخر منها بَرْوَه (Béroé) كما دُعيت مدينة حلب . ومنها (دِرْبي) ولم يُعلم اصل هذا الاسم . ودعاها اوغسطس قيصر مستعمرة (جُوليا فيليكس) كما سيأتي :

٢) انَّ بيروت مدينة عريقة في القدم ذلك امرٌ اتَّفق عليهِ جميع اصحاب التاريخ . لكنَّما الآراء تتفرَّق في اسم بانيها وزمانهِ فان اَصغَينا الى مزاعم الكتَّاب الاوَّلين آنسنا من اقاويلهم ما كان اقرب الى الخرافات منهُ الى اليقين . فمن ذلك قول سَنكُنيتن في فقرتهِ الثانية انَّ الاله ايل او علِيون هو باني مدينة بيروت . وكان ايل ملكًا على جبَل (جُبَيْل) فاقترن بأَمرأة تدعى بيروت فسمَّى بها المدينة الحديثة التي ابتناها . وايل هذا لهُ عدَّة اسامي على اختلاف الامم المتعبِّدة له . فالفونيقيُّون كانوا يدعونهُ ايلًا والآراميُّون بَعْلًا والعمُّونيون مُولكًا او ملكًا

متقدّمة اقدم منهُ بُمَدَد كثيرة لأنّنا نجدُ في السور المذكور قواعد من الرُّخام واعمدة كثيرة من الحجر اللانع(١ الذي قد تعب الاوّلون في عمله ونقلهِ وأنفقوا عليهِ اموالهم. فدلّ ذلك على انها من خرائب قديمة كانت عظيمة البناء جليلة المقدار فاستهانها الذين جاؤوا بعدهم وجعلوها في السور

والروم يعرفونهُ بساتُورْن والعرب بزُحَل. وزاد نُنُّوس المؤرخ تصريحاً على قول سنكنيتون في كتاب ديونيس (Dyonisiaques, XLI, v. 67-91) : فقال « انَّ بيروت هي اوَّل مدينة بناها ايل بنفسهِ... وهي وحدها وجدت قبل كلّ الارض وتقدَّمت الشمس التي يستنير القمر بضيائها ». ثمَّ اخذ نُنُّوس بعد قولهِ هذا يطنب في مديح بيروت فدعاها « جرثومة الحياة وظِئْر المُدُن (ρίζαν βίου, πολίων τροφόν) الى غير ذلك من الصفات الحسنة المشعرة بسموّ اعتبارهِ لهذه المدينة. ذلك ما اتت بهِ مخيَّلة الشعراء وقد يجوز للشاعر من تزيين الباطل وتمويه الحقيقة ما لا يسوغ لغيرهِ. وانما يُستخلَص من هذه التُرَّهات الباطلة انَّ بيروت من اقدم بلاد الله بناءً وعمراناً

امَّا اذا انتقلنا الى ما يُشتَمُّ منهُ رائحة اليقين من منقولات القرون التابعة فنجد انَّ المؤرخين يعزون اهل بيروت الى الكنعانيين ويجعلون مدينتهم من اوَّل مستعمرات جُبَيل احتلَّها الجبيليون بعد الطوفان بزمن قليل. ويدعون بانيها جرجساوس او الجرجسي خامس ابناء كنعان ولذلك دعيت بهِ مدَّةً « جريس ». هذا ما نقلهُ ادريخوميوس في كتاب مجانيهِ (Adrichomius, *Miscellanea*) ووافقهُ عليه غليلموس الصوري (في تاريخ الحروب المقدسة الكتاب ١١ الفصل ١٣).

وكانت بيروت احد المراكز لعبادة البعل يتزاحم فيها الاهلون لتأدية فروضات دينهم لهذا الاله في هيكل عظيم شيَّدوه على اسمهِ. وبنوا لهُ هيكلاً آخر فوق مدينتهم على مسافة خمسة اميال منها كانوا يحجُّون اليهِ زرافاتٍ. ولا تزال آثار هذا المقام الى يومنا بجوار قرية بيت مري وهي تُعرف بدير القلعة

٣) هذه اللفظة اثبتناها في الاصل وهي منسوخة فيهِ

١) هو الرُّخام المحبَّب (granit) الذي معدنهُ في مصر العليا عند أُسوان نُقل منها الى انحاء سوريَّة

المذكور مكان الحجارة التي لا قيمة لها لاستغنائهم عنها بكثرة امثالها من الخرائب . ودلَّ ذلك على انَّ العمائر الاولى كانت اعظم من الثانية . ونجد ايضاً من اعمدة هذا الحجر المانع شيئاً كثيرًا قد جعلوهُ تفاريق في البحر لاساس سور يُظنّ عليهِ انهُ من عهد الخرائب الاولى المذكورة . ويقال عن السور الذي من جهة البحر انّهُ عُمّر وخرب ثلاث مرّات . وقد اكل البحرُ هذه الاسوار وفاض الماء الى داخل كلٍّ منها لمرور الازمان وتواتر الدهور فسبحان الدائم على الدوام (١ . وذكر المسعودي (في مروج الذهب) انّ اعمدة الحجر المانع معدنها باسوان ومنها تجلب الى سائر البلاد

واماَّ القناة (٢ التي كانت تجري اليها فهي من العمائر العجيبة وكانت

١) انَّ ما ذكرهُ المولف عن اسوار بيروت يصحّ ايضاً قولهُ على سائر انحاء البلدة . فانك اذا استقريت نواحيها وجدت آثارًا كثيرة تنطق عن قدم هذه المدينة . فنها قسمٌ عند الحيّ المعروف بحيّ الجمَّيزة عند كنيسة الآباء الفرنسيسكان الحديثة ومنها بقايا عند كنيسة القديس جرجس الكاتدرائية في المحلّ المعروف بالرجال الاربعين وكانت هناك بيعة قديمة على اسم الاربعين شهيدًا . ولم يزل بقربها عند باب الدركة وعلى عتبتهِ كتابة يونانية لم نتحقق بعدُ فحواها . قيل انّ معناها « ايها الداخل في هذا الباب اذكر الرحمة » . ومنها آثار مشهد عند خان الصاغة بقرب ميناء الحسن . الى غير ذلك من الآثار كالاعمدة والنواويس والكتابات التي احرز منها نصيباً كبيرًا سُيَّاح الاجانب فنقلوها الى بلادهم . اماَّ النقود والمصكوكات القديمة فهي اكثر من ان تُعَدّ وفي متحف مدرستنا الكليَّة نيّف ومائة منها . ولدى العلاَّمة الدكتور جول روفيه احد مدرّسي مكتبنا الطبي مجموعٌ وافرٌ منها وكذلك في متحف الكليَّة الاميركانية . وفي بعض اعداد مجلّتنا المشرق سنبحث ان شاء الله في هذا الموضوع لاتّساع مادّتهِ . فاكتفينا هنا باليسير

٢) هذه القناة من عجائب الآثار القديمة وقد بقي منها الى اليوم بقايا ضخمة وهي المعروفة عند البعض بالجسر الروماني والغالب عليها اسم قناطر زبيدة .

تجري من مكان يسمّى العَرْعار (١ من ارض كسروان (٢ قيد اثني عشر ميلًا

ويقول العامّة ان زبيدة زوجة الخليفة هرون الرشيد هي التي شيّدتها لتستجلب بها مياهاً عذبة لبيروت . ونسبها البعض الى زينب ملكة تدمر الشهيرة . والصحيح انّ هذه القناطر قديمة العهد تنبئ هندستها على شغل الرومانيين

وقد زعم البعض ان باني هذه القناة هو بطلميوس المعروف بالشهير شيّدها في اواخر القرن الثالث قبل المسيح . وقد زارها العلّامة الاب ميشال جوليان اليسوعي منذ نحو اربع سنوات ووصفها وصفاً مدقّقاً . بيّن في اثنائها انّهُ كان ينصبُّ بالقناة في الثانية مترٌ مكعَّب من الماء اي ازيد ممَّا تأتينا بهِ الآن آلات جمعية نهر الكلب الانكليزية بنحو خمس عشرة مرَّةً . هذا وانَّ في قرب الشياح آثارًا لقناة كانت تجري بها المياه الى بيروت فيقال انَّ مياه النهر كانت منقسمة الى قسمين فتأتي بيروت شرقًا الى مصنع في محلّ القبيبات وجنوباً الى مصنع في الشيَّاح ومنهما تجري المياه فتعمّ سائر انحاء البلدة

١) قيل ان اصل هذه المياه المجلوبة الى بيروت من نهر بيروت المعروف عند الاقدمين بنهر ماغوراس والارجح انها من نبع العرعار فوق قرية بعبدات من مقاطعة المتن الشمالي (الذي كان يُدعى قديمًا كسروان) في جهة الشمال الشرقيّ من القرية المذكورة النابع من الوادي الذي يسمَّى وادي العرعار الى يومنا هذا . ولم تزل الاثار القديمة دالّة على جرّ المياه من النبع المذكور لجهة بيروت . على ان القبو الذي تخرج منهُ المياه وبقايا الحاووز وفضلات القناة انما هي من الآثار القديمة جدًّا . ويوجد انابيب حجريَّة وبعض أساسات القناة في محلّ يُدعى الرُّوَيْسة شمالي قرية بعبدات وغربي النبع المذكور . وآثارها شرقي بعبدات في محلّ يُدعى القشى جنب طريق العجلات الجديدة. ولها آثار ايضاً شرقيّ قرية برمّانا في المحلّ المعروف بالرصيف . وغربي القرية المذكورة بينها وبين قرية بيت مري بالمحل المعروف بمعصرة الحريق قرب عمارة آدم . ولجهة الجنوب من قرية بيت مري مارَّة بدير القلعة . فهذه كلّها دلائل تُثبت انَّ ماء نبع العرعار المذكور كان مسحوبًا قديمًا في

وممَّا يُستدَلّ على كبر بيروت وسعتها (١ ما يجدُ الناس في الحدائق

هاتِهِ القنوات لجهة بيروت مارًّا بدير القلعة . والذي يُرجّح ذلك قولُ المؤرّخ صالح بن يحيى كما جاء في المتن اعلاه . انَّ بعد مسافة النبع عن بيروت اثني عشر ميلًا . وهي عين المسافة بين بيروت ونبع المرعار

٢) انَّ اسم كسروان لم يحصر في قديم الزمان في المقاطعة المعروفة اليوم بهذا الاسم وانما كانت تمتدّ الى جهة المتن الاسفل

١) قد احببنا ان نروي هنا نبذة ملخَّصةً من تاريخ بيروت القديم الى الزمان الذي ذكرهُ المؤلف لئلَّا تفوت هذا الكتاب ما ورد في غيرهِ من الفوائد التاريخية التي يحب اهل بيروت الاطلاع عليها فنقول :

قد سبق انَّ بيروت من اقدم مدن الله عهدًا . بيد انهُ لم يكن في يدنا الَّا النزر القليل من اخبارها في القرون السابقة للمسيح حتَّى صرَّح الحق عن محضهِ منذ عشر سنوات لمَّا اكتُشفت في الصعيد تلك الكتابات الجزيلة الأهمّيَّة المعروفة برسائل تلّ أمرنا . وهي عبارة عن مجموع رسائل وردتْ ملكَي مصر امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع من قبل عمَّالهِ في كنعان فضلًا عن مراسلاتها مع ملوك سورية وبين النهرين في القرن الخامس عشر قبل المسيح . وهذه الرسائل مكتوبة باللغة الاشورية او البابلية وهي محفوظة في متاحف لندرة وبرلين وبولاق

فيستخلص من هذه المكاتبات ان بيروت كانت في اوَّل امرها كبقيَّة مدن فينيقية خاضعة لملوك اشور ونينوى الاوَّلين . والدليل على ذلك انَّ اهلها وحكَّامها كانوا يتكلَّمون باللغة الاشورية ويكاتبون بها ملوك مصر بعد ان فقد البابليُّون ولايتها . وبقي اللسان الاشوري شائعًا في ظهراني الامة الفينيقية وعنهُ تفرَّعت اللُّغَة الكنعانيَّة ثمَّ الفينيقيَّة . ولمَّا قويت شوكة الفراعنة تولَّوا على سواحل فينيقية نحو القرن الثامن او التاسع عشر قبل المسيح وكانت بيروت من جملة ما ملكت ايديهم . وجعل ملوك مصر لكل بلدة « خزاني » اي ولاةً كانوا يختارونهم بين الاهلين تحت مراقبة حكَّام مصريين يدعونهم « ريصي » . ولوالي بيروت في ذلك العهد عدَّة رسالات وُجدت بين كتابات تلّ امرنا يتَّضح منها جليًّا ان بيروت (وهم يدعونها بِيروتا او بِيرُوتُو) كانت على جانب من الحضارة والعمران في

القرن الخامس عشر قبل المسيح فيعدُّونها بين المدن المنيعة الحريزة كصور وصيدا وجبيل و يذكرون كثرة سفنها العامرة بالملَّاحة

هذا ولمَّا اخذ حبلُ دولة الفراعنة بالانتكاث في القرن التاسع او الثامن قبل المسيح تقلَّبت الاحوال على بيروت فحلَّ بها ما حلَّ بأخواتها من المدن الفينيقية. وتملكها تباعاً بعدهم ملوك بابل ثمَّ ملوك فارس ومادي ثمَّ الاسكندر وخلفاؤهُ من السلوقيين. واستقلَّت مراراً عند استقلال غيرها من مدن فينيقية تشهد بذلك الآثار والنقود التي وجدت بها. وفي سنة ١٤٠ ق م اخربها تريفون لثبات اهلها على طاعتهم للملك انتيوخس السادس. لكنها لم تلبث ان تعود الى ما كانت عليهِ من رفعة المقام (راجع العدد الاول من المشرق ص ١٩). ودخلها بومبيوس القائد الروماني فرمَّم آثارها واعاد لها رونقها. ولم تزل مذ ذاك ترتقي في معارج الفلاح الى ان جعلها اوغسطس قيصر مدينةً اوَّلية فخوَّل اهلها حقوق الرومانيين وافاض عليهم نعماً عديدة اخصَّهم بها دون سواهم وولَّى امرها القائد مرقس فسبسيانس اغريبا بعد ان زوَّجهُ ابنتهُ جوليا فدعا بيروت باسمها جُوليا فِليكس (اي السعيدة). فاخذ اغريبا يباري قيصر في رفع شان المدينة ساعدهُ على ذلك هيرودس الكبير. ولم يدَّخر كلاهما شيئاً من الوسع ليجعلاها من ابهى مدن الشرق. فشيَّدا فيها الابنية الجليلة الآئلة لمنفعة الجمهور كالهياكل والأروقة والمشاهد والحمَّامات ومخازن التجارة. فتقاطر الى بيروت كثير من الرومانيين والغرباء فاستوطنوها وزادت جمْ حسناً وعمراناً. وسكنها طابوران من الجنود الرومانيين المتقاعدين. وبها حكم هيرودس الكبير بالموت على ابنَيْهِ اسكندر وارسطابولس فقتلهما ظلماً كما قتل أمَّهما مريمنة وهي من سلالة المكابيين. Josèphe, Ant. Jud. l XVI et XVII.

وبقيت بيروت على ذلك مدَّة الى ان توَّلى امرها بعد المسيح هيرودس اغريبا الاول ثمَّ هيرودس اغريبا الثاني فبلَّغاها من الحسن ما لم يسعهُ قول. فشيَّدا فيها الملاعب والمراسح وزيَّناها بالتماثيل الى غير ذلك. وفي بيروت بويع بالملك لفسبَسيانوس بعد وفاة نيرون فاستقبل بها الوُلاة والملوك الذين أتوا ليهنئوهُ. وفيها احتفل ابنهُ تيتوس قيصر بانتصارهِ على اليهود يوم مولد ابيهِ بما لا مزيد لهُ من الفخر والابَّهة

يُسمَّى بُليــدة وذو قسية (١ غربيّ البلد الى مكان يسمَّى حقــل

امَّا العلوم فكانت بيروت قد سبقت غيرها من المدن الفينيقية في الانكباب عليهــا فراجت فيها اسواق الآداب . وفيها كتب كما زعم اوسابيوس القيصري سنكُنْيَتنُ الكاهن القديم تاريخًا ابقى لنا منهُ فيلون الجبيلي فِقَرات مهمَّة . وفي ايام اوغسطس قيصر اخذ البيروتيون يدرسون الفقه . وتوسع نطاق هذا الفن بينهم حتَّى صارت مدرستها الفقهيــة في ايَّام الملك اسكندر سيفيروس غرَّة في جبهة المشرق يتسابق اليها الدارسون من كلّ أوب . فدُعيت بيروت لذلك « محطّ العدل وصوان المشترِعين » . وقد اشتهر في بيروت عدَّة من العلماء الاقدمين منهم أُوليان الفقيه صاحب كتب الشرائع الذي ازهر في القرن الثالث . ومنهم فالريوس بروبوس اللغوي البارع عاش في القرن الرابع . ومنهم نُنُّوس المؤرِخ الذي كتب في القرن الخامس للمسيح

وقد اطنب الكتَّاب الاقدمون في مدح بيروت لامور اختصَّت بها . فمن ذلك نخلها ويظهر من عدَّة كتابات ان تربتها كانت تُعَدّ من اخصب الترب واوفقها للنخــل . ومنها خمرها الجيّدة وصفها بهِ الكاتب بلينيوس الطبيعي وقال انَّها تتَّجر بهِ اتجارًا واسعًا (Pline, l. XIV, c. 7; l. XV, c. 17) . ومن ذلك ايضًا معاملها للانسجة ومصابغها للارجوان ورد ذكرها مرارًا فجارت بذلك صور وصيداء . وكان فيها معامل للحرير قبل الاسلام (Joannis Strauchi dissertatio de Beryto, *Brunzvigæ*, 1662, p. 6)

ولم تبرح بيروت رائقةً في منازل السَّعد الى ان هوى نجمها وطَمست محاسنُها وذلك في القرن السادس للمسيح فهدمتها زلزلة هائلة خرَّبت قسمًا كبيرًا من مدن الشرق . وبقيت على هذه الحالة الى اوائــل القرن السابع فاستولى عليها المسلمون دون عائق

١) لم نسمع لهذين المكانين ذكرًا ولم يفدنا احدٌ عنهما شيئــًا . ولعلَّ هذه الآثار هي التي اكتشفها حديثًا الدكتور جول روفيه في مكان يدعى القصر يبعد نحو ثلاثة اميال عن البلدة على ساحل البحر من جهة صيدا وارتأى انَّها بقايا مدينة بيروت الفينيقية وانَّها كانت تدعي لاذقية كنعان وقد وجد فيها نقودًا بهذا الاسم .

القشا (١ مقارب النهر شرقي البلد . فلمّا عمّروا السور اختصروهُ على القدر الذي هو عليهِ اليوم

وقد زعم النصارى أنَّ في القدَم خرج في بيروت تنّين عظيم فقرَّر اهل بيروت لهُ في كل عام بنتاً يُخرجونها اليهِ اكتفاء لشرّهِ فوقعت القرعة في سنةٍ من السنين على صاحب بيروت . فاخرج بنتهُ ليلًا الى مكان موعد التنين فتوسَّلت بالدعاء الى الله فتصوَّر لها مار جرجس القديس . فلمّا جاء التنين خرج عليهِ مار جرجس فقتلهُ فعمَّر صاحب بيروت في ذلك المكان كنيسة بالقرب من النهر . والنصارى تصوّر هذه الكائنة في سائر كنائس بلادهم قلَّ ما يخلو منها كنيسة . ويزعم النصارى انَّ مار جرجس من لدّ قتلهُ ملك عبَدة الاصنام بجوران ولهُ عيد مشهور عندهم في سائر البلاد . واهل بيروت المسلمين والنصارى يخرجون في ذلك العيد الى نهر بيروت ويسمّى عيد النهر وهو من البدع (٢ . (وجاء في حاشية الكتاب : عيد النهر المذكور دائماً يكون ثالث وعشرين نيسان)

وقد وقف ايضاً هناك على مدافن فينيقيَّة كما بشَّرنا قرَّاءنا بالعدد الثاني من مجلَّة المشرق

١) هو محلٌّ شرقيّ بعبدات كما مرَّ (ص ١٢)

٢) قد روينا هذه القصَّة كما اثبتها المؤلف الَّا اننا لا نقطع بصحتها . وقد بحث فيها البولندستيون بحثاً مدقَّقاً فلم نرَ حاجةً لايراد ما قالوا . واعمال القديس جرجس مضطربةٌ جدًّا تلاعبت فيها ايدي الكتَّاب . وما تقرَّر انهُ كان من شهداء القرن الثالث للمسيح وكان جندياً في عسكر الملك ديوكليسيان . قيل انهُ قُتل في نيقوميديا وقيل في لُدّ وقيل في بيروت . وذكرهُ كان منتشرًا في كل انحاء المشرق . واسمهُ مدوَّن في أقدم سجلّ للشهداء وهو الذي نشرهُ بالطبع العلَّامة الانكليزي رَيت (Wright) كُتب بالسريانية وتاريخهُ سنة ٤١١ للمسيح وُجد في دير الاسقيط بالصعيد

وايضاً يزعم النصارى انّ البربارة كانت قدّيسة ولها نشبٌ كبيرٌ ببيروت (١ وعيد البربارة منسوبٌ اليها

ويزعمون ايضاً انهُ كان بكنيسة الفرنج ببيروت قونة خشب فيها صورة مصورة فضربها بعض اليهود بسكين فصارت تنزف دماً . ونقلت هذه الصورة الى قسطنطينيّة فعمَّروا عليها كنيسة يعظمها الفرنج (٢

---

١) لعلَّ المؤلف يريد ان لها اوقافاً حبسها النصارى على كنائسها زهدًا وتعبُّدًا . والقديسة بربارة شهيدةٌ عذراء ماتت في سبيل الايمان المسيحيّ في عهد ديوكليسيان . وكانت عبادتها منتشرة في كلّ انحاء الشرق

٢) قيل انَّ هذه المعجزة جرت في القرن الخامس وقد ورد ذكرها في جملة كتاباتٍ للقديس اثناسيوس بطريرك الاسكندرية . والصواب انَّها لكاتب آخر سميّهِ جاء بعدهُ . وفي اعمال مجمع نيقية الثاني قد ذكر الآباء امر صورة بيروت (Eugesippus, *de distaniis locorum Terræ Sanctæ*) ولها عيدٌ يحتفل بهِ في كنائس الشرق والغرب . ويذكرها السنكسار الروماني في اليوم التاسع من تشرين الثاني (راجع مختصر البولندستيين وكتاب مروج الاخيار)

وهنا يجدر بنا ان نذكر بعض آثار تختصّ بذكر النصرانية في بيروت قبل الهجرة فات المؤلف ايرادها فنقول :

ما كادت تلوح شمس النصرانية في العالم حتَّى اصابت بيروت من اشعَّتها نصيباً . وقد جاء في تقاليد قديمة انَّ المسيح لهُ المجد دخل بيروت لمَّا كان متجوّلاً لبشارة الانجيل في تخوم صور وصيدا (مرقس ٧ : ٢٦) . اثبت ذلك في القرن الثالث عشر الكاتب الدومينيكانيّ بُرْخارد في كتاب وصف الاراضي المقدَّسة في القرن الخامس عشر . وورد ايضاً في مقالة لاتينيَّة عن بيروت طُبعت في برُتزويغ سنة ١٦٦٢ ص ٣٨ و ٣٩ (Joannis Strauchi, *dissertatio de Beryto*)

ولا غرو ان الرسل اجتازوا بها مرارًا في غضون اسفارهم في سواحل بحر الشام ونشروا فيها النصرانية لاسيما بطرس الصفا هامة الرسل و بولس رسول

ويُستدلّ على قِدَم بيروت من قِدَم صيداء وصور لمجاورتها لهما. ويقال انّ صيداء رابع مدينة عُمّرت بعد (٢) الطوفان (١). وذكر ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان (٢) قال: قال هشام عن ابيهِ: انما سمّيت صيداء باسم

الامم. وجاء في كتاب تفاسير القديسين بطرس وبولس (راجع البولندستيين في الجزء ٢٧ ص ٢٧٦) انّ القديس بطرس عند خروجهِ من حبس هيرودس سار الى صور وصيدا ثمّ الى بيروت ونصب احدَ رفقائهِ عليها اسقفاً. وورد في اعمال القديس كوارتوس انهُ اول اسقف اقيم على بيروت وانهُ كان من عداد التلامذة السبعين يذكرهُ بولس في رسالتهِ الى الرومانيين (ف ١٦ آية ٢٣)

وبقيت بيروت اسقفيّة الى ايّام تاودوسيوس فجعلها قاعدةً لمدن فينيقية وأولاها ما لمدينة صور من النعم فصار مذ ذاك كرسيُّها أعلى رتبةً يجلس عليهِ رئيس اساقفة وكانوا في ذلك الوقت يتّبعون في تعيين رتب الكنائس الحقوقَ المَدنيّة. فقُسمت هكذا فينيقية الى قسمين فينيقية الاولى وحاضرتها صور وفينيقية الثانية حاضرتها بيروت وكانت تُدعى هذه فينيقية لبنان

وقد ورد في كتاب سيرة الرُّسل الاثني عشر (كتبهُ هيبوليت التيبي في القرن الثاني عشر) انّ يهوذا الرَّسول استشهد في بيروت وبها دُفن (راجع البولندستيين الجزء ٦٠ ص ٤٤٠). وهكذا ورد في تاريخ متّى بن سليمان. وقيل بل هو يهوذا احد السبعين تلميذاً

وممَّن يحقّ لنصارى بيروت ان يفتخروا بهم الشهيد ايبانوس وكان درس الفقه في مدارس بيروت. وفيها ايضاً تلقَّن للعلوم القديس غريغوريوس العجائبي اسقف قيسارية. ومن ابناء بيروت القديسان حنّا واركاديوس ولهما قصّة غريبة اشبه بقصّة القديس اوستاكيوس القائد الروماني. ومنهم ايضاً في القرن الثامن القديس رومانوس الشمّاس صاحب تسابيح كثيرة تتغنّى بها الكنيسة اليونانية

١) قد ترجّح الآن عند علماء التاريخ انّ بيروت اقدم من صيداء (Baron d'Eckstein, Journ. Asiat. 1859, II, 419)

٢) في المجلّد الثالث الصفحة ٤٣٩ (ed. Wustenfeld)

صيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح (اه) . وصيداء وصور مذكورتان في التوراة، وصور بمفردها مذكورة في الانجيل(١ . ووجدت في بعض الكتب انَّ سليمان بن داود عليهِ السلام تزوَّج بنت صاحب صيداء وانَّ بصيداء صِيدَ الحوت الذي ابتلع خاتمهُ فسمّيت صيداء(٢ . قال الملك المؤيد صاحب حماة(٣ في كتاب تقويم البلدان (٤ : انَّ صور اقدم بلدٍ بالساحل وغاية حكماء اليونان منها (٥ . قال صاحب كتاب مناهج الفكر: كان في صيداء هيكل لعُطارِد وفي صور هيكل للمريخ وكانت الصابئة تعظمهما . وقد ذكر بعض اصحاب التواريخ القديمة ان ساحل الشام خُرّب في عهد بخت نصَّر(٦ وعُمّر في دولة الفرس . والدليل على ذلك ان خروج بخت نصَّر على الشام في دولة لَهْرَاسَف(٧ احد الاكاسرة بفارس وذلك بعد

١) والصواب انَّ لكِلا المدينتين ذكرًا في التوراة والانجيل معًا (راجع مثلًا مرقس ٧ : ٢٤)

٢) قصة خاتم سليمان من الاقاصيص التي لا يعبأ بها ذوو الانتقاد والتبصرة . امَّا اسم صيداء فالارجح انّهُ أُخذَ من الصَّيد لانَّها كانت مقامًا للصيادين وهي مشهورة بسمكها الى اليوم

٣) هو السلطان ابو الفداء المتوفّى سنة ٧٣٢ ﻫ (١٣٣١ م)

٤) في الصفحة ٢٤٢ (ed. Reinaud)

٥) ويروى في النسخة المطبوعة : « وعامَّة حكماء اليونان منها » . وفي هذا الكلام غلوٌّ ظاهر

٦) يريد نبوكدنصَّر الثاني وهو الذي غزا سورية وفلسطين ودمَّر مدنهما . وحاصر صور حتَّى افتتحها عنوةً في آخر القرن السابع قبل المسيح

٧) هو رابع ملوك الدولة المعروفة بالكيانيَّة . وللفرس عنهُ اخبار كثيرة بالغوا فيها كلَّ المبالغة . وقد زعموا انهُ ملك ١٢٠ سنةً

وفاة موسى عليهِ السلام بتسعمائة وتسعين سنة وقبل مبعث النبي (صلعم) بالفين ومائتين وتسعين سنة(١ فدخل بنو اسرائيل تحت طاعتهِ بغير قتال. وبعد توجُّههِ عنهم غدروا بهِ فرجع اليهم واباده‍م واخرب القدس (٢ . وقصد صور فوجَّه اهلُها امتعتَهم في البحر فغُرّقت السفن وحاصر صور فاخذهـا وقتل حيرام صاحبها وخربهـا وخرّب بعض مدن الساحل (؟) وتوجَّه الى مصر وبلاد المغرب . وبقي بيت المقدس خرابًا سبعين سنة الى ان تملك اردشير بهم احد الاكاسرة واسمهُ بالعبرانية كورش (٣ فامر بعمارة القدس ومدن فلسطين وغيرها من مدن السواحل . ثم بعد خروج بخت نصر باربع مائة وخمس وثلاثين سنة (٤ ظهر الاسكندر اليوناني وقهر الاكاسرة وتملك على بلادهم . وكانت صور عامرةً فحاصرها واخذها واجرى اليها الماء وبقيت مملكة اليونان مائتين واثنتين وثمانين سنة وكرسيّ ملكهم الاسكندرية(٥ .

١) كذا في الاصل والصواب : بالف ومائتين وتسع سنين لانَّ فتوح اورشليم كان في سنة ٥٨٧ ق م وسنة الهجرة ٦٢٢ بعد المسيح

٢) راجع سفر الملوك الرابع الفصل ٢٤ و ٢٥ وسفر اخبار الايام الثاني الفصل ٣٦

٣) والصحيح انَّ كورش غير اردشير واسم كورش من الفارسيـة القديمة قيل انَّ معناه فيها الشمس . وكورش هو الذي اصدر الامر برجوع اليهود الى اورشليم سنة ٥٣٦ ق م . واماَّ اردشير وهو المعروف بارتحششتا او ارتكزرسيس الطويل فانهُ كان بعد ذلك بزمان (٤٦٥ — ٤٢٥ ق م) وهو الذي ابرز الحكم في بنـاء اسوار اورشليم في السنة العشرين من ملكهِ (نحميا ٢ : ١)

٤) والصواب بمائتين وثماني وعشرين سنة . وكان مولد الاسكندر سنة ٣٥٦ ق م ووفاتهُ سنة ٣٢٣

٥) لا يخفى ان مملكة الاسكندر تقسَّمت بعد وفاتهِ أقسامًا منها دولة اليونان البطالسة في مصر واياها اراد المؤلف هنا . ودامت هذه الدولة منذ ملك

ثم خرج اغسطس الرومي وهو اوّل من تلقّب بقيصر وقهر اليونان وتملك وبقيت السواحل بيد الروم الى مبعث النبيّ (صلعم)

فصل في معرفة طول بيروت وعرضها

قال بطلميوس (١ : بيروت طولها ثمان وستون درجة وخمس واربعون دقيقة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة طالعها العوّاء (٢ بيت حياتها الميزان (٣ . قال صاحب الزيج : طولها تسع وخمسون درجة ونصف وعرضها اربع وثلاثون درجة (٤ وهي من الاقليم الرابع . قال الملك المؤيد

بطليموس الاول سوتير الى انتصـــار اغسطوس قيصر ٢٧٦ سنة (٣٠٦ — ٣٠ ق م)

١) قد نقل المؤلف قول بطلميوس وصاحب الزيج عن كتاب معجم البلدان للحموي (١ : ٧٨٥)

٢) العوّاء هو المنزل الثالث عشر من منازل القمر

٣) الميزان اسم احد البروج الاثني عشر

٤) لا يخفى ان الطول هو ابتعاد المكان عن موضع معلوم تمرُّ بهِ دائرة الهاجرة ابتداءً . وفي تعيين هذا الموضع اختلاف كبير فالفرنسيُّون اتخذوا باريز والانكليز غرينويش . وكان القدماء يبتدئون بالطول من ساحل بحر اوقيانوس الغربي . وكان بعضهم يبتدئ بهِ من سَمْت الجزائر الخالدات . وربَّما وُجد لذلك في الكتب انواع من الطول . وطول بيروت اذا اعتبرنا سمت باريز هو ثلاث وثلاثون درجة وسبع دقائق في شرقيها . واذا ارجعنـــا طولها الى سمت غرينويش فيكون خمساً وثلاثين درجة وتسعاً وعشرين دقيقة

امّا عرض بيروت اي بعدها عن خطّ الاستواء نحو الشمال فثلاث وثلاثون

في تقويم البلدان : بيروت من الاقليم الثالث(١ . وقال ايضاً في تقويم البلدان عن طول بيروت ثلاثة اوجه وعن عرضها ثلاثة اوجه وكل وجه بسنَد :

	الوجه الاول		الوجه الثاني		الوجه الثالث	
الطول	نط (٥٩	نه ٥٥)	نط (٥٩	ل ٣٠)	نح (٥٨	م ٤٠)
العرض	لج (٣٣	ك ٢٠)	لد (٣٤	• ٥)	لج (٣٣	ك ٢٠)

(قلتُ) قد حرَّرنا عرض بيروت بآلات الرصد فوجدناه ثلاث وثلاثين درجة واثنتين وخمسين دقيقة . واما الطول فقد تعذَّر علينا ادراكهُ

فصل في ذكر فتوح بيروت وهو الفتوح الاوَّل

ذكر النويريّ باسنادهِ الى ابي الحسن بن الاثير في حوادث سنة ثلاث عشرة (الهجرة ٦٣٥ للمسيح) قال : لمَّا استخلف ابو عبيدة يزيدَ بن ابي سفيان على دمشق سار يزيد الى صيداء وبيروت وجبيل وعَرْقَة(٢ . وعلى مقدَّمتهِ

درجة واربع وخمسون دقيقة فيكون رَصْد المؤلف هو الاقرب الى الصواب ما بين الاقدمين

١) لمن المعلوم ان الاقدمين كانوا يقسمون الارض الى سبعة اقاليم موقعها ما بين خطّ الاستواء الى القطب الشمالي لكنهم اختلفوا على موقع ابتدائها وانتهائها . ولذا ترى ان البعض حسبوا بيروت من الاقليم الثالث والبعض من الرابع

٢) عَرْقَة مدينة صغيرة تبعد فرسخاً عن بحر الشام في شمالي شرقيّ طرابلس على نحو اربعة عشر ميلًا منها . كان لها حصن منيع

اخوهُ معاوية ففتحها فتحًا يسيرًا وخلّى كثيرًا من اهلها وتولّى فتح عَرْقَة معاويةُ بنفسهِ في ولايته . ثمَّ غلب على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عُمر واوّل خلافة عثمان رضي الله عنهما ففتحها معاوية(١ . ثمَّ رمَّمها وشحنها بالمقاتلة . وقد رأيت في كتاب فتوح الشام انَّهُ في سنة ستّ عشرة عند استيلاء المسلمين على السواحل وتقرير الجزية عليهم دخل اهل بيروت في التقرير (٢

ثمَّ صار المسلمون يتكاثرون فيها والروم يقلّون منها وقتًا بعد وقت حتى صار اكثر اهلها مسلمين . وقد خرج منها خلق كثير من اهل العلم منهم « الاوزاعيّ » وهو ابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو (٣ امام اهل الشام وعالمهم قيل انَّهُ اجاب في سبعين الف مسألة وصار يُعْمَل بمذهبهِ في الشام نحو مائتي سنة . وآخر من عمل بمذهبهِ احمد بن سليمان بن جَنْدلم قاضي الشام . وعمل اهل الاندلس بمذهبهِ اربعين سنة (٤ ثمَّ تناقص بمذهب الامام مالك على يد عبد الرحمان بن معاوية بن هشام الأُمويّ . وكان الاوزاعيّ عظيم الشأن بالشام وكان امرهُ فيهم اعزّ من امر السلطان . أسند عن

---

١) وجاء في كتاب الاعلاق النفيسة لابن رُسْتة ص ٣٢٧ .(ed. de Goeje) انَّ معاوية نقل الى طرابلس وجبيل وبيروت وصيداء قومًا من الفرس ليسكنوها

٢) جاء في حاشية الكتاب : الذي دخل في تقرير الجزية المذكورة من الساحل عسْقَلانُ وقيسارية وصور وبيروت . وذلك سنة ست عشرة للهجرة على يد الصحابة رضوان الله عليهم

٣) راجع ترجمتهُ في تراجم الاعيان لابن خلكان الجزء الاول الصفحة ٤١٥ من طبعة مصر او ٣٨٥ من طبعة باريس . وقد نقل المؤلف عنهُ معظم هذه الترجمة

جماعة(١ من التابعين واسند عنهُ من العلماء جمٌّ غفير . وقد جعلتُ لهُ كتاباً يتضمَّن ترجمتهُ واختصرتُ ذكرهُ هاهنا . وكان مولدهُ ببعلبكّ سنة ٨٨ (٧٠٧م) وقيل ٩٣ (٧١٢م) للهجرة ومنشأهُ بالبقاع ونقلتهُ امُّهُ الى بيروت فرابط بها(٢ الى ان مات سنة ١٥٧ (٧٧٤ م) بكرةَ يوم الاحد لليلتين بقيتا من صَفَر وقيل في شهر ربيع الاوّل(٣ . ومنهم « محمَّد ولد الاوزاعيّ » كان عابدًا قانتًا وكانَّ يُظَنُّ فيهِ انهُ من الأبدال(٤ عاش بعد ابيهِ عشرين سنةً . ومنهم « عبد الغفَّار بن عثمان »(٥ صهر الاوزاعيّ . ومنهم « الوليد بن مَزْيَد العُذْريّ » البيروتيّ كان من اهل العلم والرواية أَسْنَدَ عن جماعةٍ كثيرة وأسند عنهُ جمٌّ غفير . مولدهُ سنة ست وعشرين ومائة (٧٤٤ م) ومات سنة ثلاث ومائتين (٨١٩ م) . ومنهم ولدهُ « ابو الفضل العبَّاس بن الوليد البيروتيّ » كان من خيار عباد الله ومن اهل العلم والرواية مولدهُ سنة ١٧٩ (٦ (٧٩٤ م) ومات سنة ٢٧٠ (٨٨٤ م) . ومنهم « مُسهِر (٧ البيروتيّ » . ومنهم « عبدالله بن اسمعيل بن زيد بن صخر

---

١) قوله « اسند عن جماعة » يريد انهُ روى عنهم واخذ الحديث باسانيدهِ

٢) اراد بالمرابطة انقطاعهُ الى الزهد والعبادة

٣) وقبرهُ في جنوبيّ غربي المدينة على ساحل البحر في قرية يُقال لها حنتوس . ومن آثارهِ الباقية الى يومنا الزاوية المشهورة باسمهِ قيل انهُ كان يدرّس بها

٤) ارادوا بالابدال قوماً من الاولياء الصالحين قيل لهم ذلك لانهم يتناوبون فلا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم قام بدلَهُ آخر

٥) وسمَّاهُ ياقوت الحموي في معجم البلدان (١ : ٧٨٦) : عبد الغفَّار بن عفان

٦) وفي معجم البلدان (١ : ٧٨٦) : سنة ١٦٩

٧) يريد ابا مُسهر عبد الاعلى بن مُسهر

البيروتيّ » . ومنهم « محمَّـد بن عبدالله بن عبد السلام بن ايُّوب البيروتيّ (٢٣٦) ابو عبد الرحمان المعروف بمـكحول الحافظ » كان ثقةً مأموناً من اهل العلم والرواية واسند عن جمّ غفير وروى عنهُ خلقٌ كثير وهو الحافظ المشهور بين الناس مات سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين وثلاثمائة (٩٣٢ او ٩٣٣ م)

قال ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان : خرج من بيروت بشر كثير من اهل العلم والرواية . قال المؤيّد في كتاب تقويم البلدان (١ : بيروت مدينة جليلة . (وقال) قال ابن سعيد : هي فُرْضَة دمشق . ويقال انّ بيروت دار صناعة دمشق وبها عمّر معاوية المراكب وجهّز فيهم الجيش الى قبرس ومعهم امّ حرام واسمها العُمَيصـاء (٢ بنت مِلْحان زوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فلمّا رجعت رابطت ببيروت وماتت بها . ويقال ان في بيروت قبور جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ولكن ما اشتهر بها غير قبر الاوزاعيّ . وممّن ذكر بيروت في شعرهِ الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الامويّ فقال :

اذا شئتُ تصابرتُ ولا اصبرُ ان شئتُ
ولا والله لا يَصْبِرُ في البرِّيَّةِ الحوتُ
ألا يا حبّذا شخصٌ حمتْ لُقياهُ بيروتُ

١) في الصفحة ٢٤٧ من طبعة باريس

٢) وفي كتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير (٥ : ٥٧٤) انّ اسمها الرُّمَيصاء . (قال) وقيل الغميصاء ولا يصحّ لها اسم ... توفّيت سنة ٢٧ هـ (٦٤٨ م)

ومما ذكره المؤرخون انهُ في سنة خمس واربعماية (١٠١٥ م) اقطع الحاكم بامر الله (١ (7^{r}) خليفة مصر صور وصيداء وبيروت للفتح (٢ عوضاً عن حلب ولقّبهُ مبارك الدولة وسعدها وكان ارتفاع (٣ الثلاثة اماكن المذكورة ثلاثمائة الف دينار

ومما ذكروه ايضاً انهُ في شهر ذي القعدة سنة ثمان واربعين واربعماية (١٠٥١م) اقطع المستنصر بالله (٤ خليفة مصر عكّة وبيروت وجبيل لمعزّ الدولة (٥ محمود (٦ صاحب حلب عوضاً عن حلب واخذ حلب منهُ. ثم استرجع اقارب محمود حلب من عمّال المستنصر فاستعاد المستنصر

---

١) تولى الامر من سنة ٣٨٦ ھ الى ٤١١ (٩٩٧-١٠٢١ م) وهو صاحب الدروز

٢) كان الفتح هذا دودار قلعة حلب في خدمة صاحبها ابي نصر بن لؤلؤ فجرت وحشة بينهُ وبين استاذهِ فعصيهُ واستولى على القلعة وكاتب الحاكم بامر الله فارسل الحاكم نوّابهُ فتسلّموا المدينة من فتح واعطاهُ الخليفة عوضها صور وصيداء وبيروت

٣) نظنُّ ان المؤلف يريد بالارتفاع ما ندعوهُ اليوم بالخراج او الاموال الاميريّة والجزية

٤) تولّى المستنصر من سنة ٤٢٧ ھ الى ٤٨٧ (١٠٣٥ – ١٠٩٤ م)

٥) هو ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس كان ابوهُ صالح من امراء العرب فلمّا توفي سنة ٤٣٣ (١٠٤٤ م) الدزبري صاحب حلب سار ابنهُ ابو علوان اليها وتملّكها وتلقّب بعزّ الدولة. ثمّ نزل المعزّ للمستنصر سنة ٤٤٨ عن حلب فاقطعهُ عوضها جبيل وعكّة وبيروت

٦) لم يكن اسم معزّ الدولة محموداً بل ثمالاً كما مرّ. وانما محمود هذا هو ابن اخي معزّ الدولة. فلمّا لم يرضَ بان ثمالاً تنزّل للمستنصر عن حلب جمع قومهُ بني كلاب واسترجع المدينة سنة ٤٥٢ ھ (١٠٦٠ م)

الثلاثة اماكن من محمود. وكان الذي يقوى على دمشق يملك على السواحل حسب ما ذكرهُ المؤرخون

فتوح الفرنج لبيروت

فلم تزل بيروت في ايدي المسلمين من الفتوح الاول المذكور تنتقل من دولة الى دولة (١ والمسلمون بها على احسن حال واسرّ بال حتى نزل

١) انَّ ابن صالح خوفاً من الاطالة ضرب صفحاً عن عدَّة أُمور تختصُّ بتاريخ بيروت في القرون الثامن والتاسع والعاشر ممَّا يحبُّ القرَّاء الوقوف عليها فجمعناها في هذه الحاشية: قد مرَّ (ص ١٩) انَّ معاوية كان اسكن بيروت بعد ان فتحها قوماً جلبهم من فارس. وكانوا لم يزالوا في ايَّام ابن رُسْتَه (في اوائل القرن العاشر للمسيح) يقطنونها مع المدن المجاورة لها. ولا ريب انَّ بني أُميَّة سلَّموهم هذه السواحل لحراستها من غزوات المَرَدة. والمَرَدة كما بيَّن ذلك باقتع البراهين العلَّامة أَنكتي دوپرون (Anquetil Duperron: *Les Migration des Mardes*, Acad. des Inscript. et Belles-Lettres, t. XIV et L, Paris, 1793 et 1808) قومٌ من نصارى العجم استقدمهم ملوك القسطنطينيَّة للدفاع عن لبنان وفيليقية من غزوات العرب واصل تسميتهم بالمَرَدة من كلمة فارسية (مَرْد) معناها الشجاع. وبقيت بيروت تحت حكم الامراء الفرس الذين منهم الارسلانيُّون والتنوخيُّون. وجرت بينهم وبين المَرَدة عدّة وقائع اشار اليها كتَّاب الروم كتاوُفان وزوناراس وغيرهما ودامت هذه الحروب مدَّةً حتَّى هادن عبد الملك بن مروان ملك الروم يوستنيان الاخرم فاسترجع المردة وردَّهم ولمَّا صار الامر لبني العبَّاس قرَّروا الامراء المذكورين في حكمهم على الساحل. وكانت بيروت وقتئذٍ بلدةً صغيرة لم تنهض بعد ممَّا دهمها من نكبات الزمان كالزلازل والحروب. وفي سنة ١٤٠ ﻫ (٧٥٦ م) حجَّ الخليفة ابو جعفر المنصور

بهـا بَغدوين الفرنجي (١) الذي ملك القدس وكثيرًا من مدن الساحل في جموعهِ وحشودهِ وحاصرها حصاراً شديدًا حتى فتحها عنوةً بالسيف في يوم الجمعة الحادي والعشرين شوَّال سنة ثلاث وخمسمائة (١١١٠م) واستولى

ثم قدم الى دمشق فاقطع المنذر بن مالك واخاهُ ارسلان اقطاعات في الغرب وامرهم بالسكنى في جبال بيروت فاستوطن المنذر سرحمُّور ونزل اخوهُ ارسلان في سنّ الفيل وبها توفي سنة ١٧١ ﻫ (٧٨٧ م) لكنَّهُ دفن في بيروت

وفي سنة ١٨٥ ﻫ (٨٠١م) قدمت مراكب للروم ونزلت في رأس بيروت عند مقام الاوزاعي واستأسرت الامير عمر ابن الامير ارسلان ففداهُ في سنة ١٨٩ (٨٠٤) القاسم بن هارون الرشيد. وفي سنة ٢٥٦ ﻫ (٨٧٠م) تولّى الامير نعمان ابن عامر الارسلاني بيروت مع صيداء وحصَّن سور بيروت وابتنى لهُ فيها دارًا كبيرةً. وفي هذا القرن التاسع للمسيح حدث عدَّة زلازل خرب من جرَّائها جانب عظيم من ابنية بيروت

وفي سنة ٣٠٣ ﻫ (٩١٥م) قدمت سُفن أُوربيَّـة ونزل ملَّاحوها الى رأس بيروت فلاقاهم الامير نعمان المذكور وردَّهم خائبين. قيل انَّ هذا الامير توفي سنة ٣٢٤ (٩٣٦ م) في بيروت وتولّى امرها بعدهُ ابنُهُ المنذر ولقّب سيف الدولة (راجع اخبار الاعيان ص ٦٥٥)

وفي سنـة ٣٥٢ ﻫ (٩٦٣م) غزا بيروتَ زيمِيسيس الذي يدعوهُ العرب بالشمشيق وكان قائدًا لملك الروم نيقيفور فوقاس فدخلها بعد قتالٍ عنيف وبقيت المدينة في يد الروم الى سنة ٣٦٥ (٩٧٦م) فاسترجعها منهم جوهر القائد وولّى هفتكينُ التركيُّ عليها وعلى جبلها الاميرَ درويشَ بن عُمَر الارسلانيّ ثمَّ خلعهُ الاميرُ لنجوتكين وولّى مكانهُ الامير منصورًا

وفي سنة ٤٠٥ (١٠١٥ م) تولّى على بيروت فتح غلام ابي نصر لؤلؤ صاحب حلب كما مرَّ. وفي سنة ٤٣٩ (١٠٤٨ م) تولّى امارتها مع امارة الغرب ابو جعيد قابوس بن فاتك بن منصور من قبل المستنصر الخليفة

١) هو ثاني ملوك الفرنج في القدس تولى الامر بعد اخيهِ غدفريد سنة ١١٠٠ وتوفي سنة ١١١٩ م

عليها قتلًا واسرًا ونهبًا . فالامر لله ما شاء فعــل

وينبغي ان نذكر طرفًا من كيفية اخذ الفرنج للبلاد لتقرب قضيّة بيروت الى فهم الواقف على هذه التذكرة

فموجب استيلاء الفرنج على البلاد التي اخذوها من المسلمين (٧) هو انّهُ لمَّا قويت دولة بني سلجوق (١ ضعفت حال الخلافة ببغــداد . فلمَّا مات ملكشاه السلجوقي (٢ سنة خمس وثمانين وار بعمائة (١٠٩٣ م) وقع الخلف بين ولديهِ محمَّد (٣ وبَرْكـيارُوق (٤ ودام الحرب بينهما نحو اثنتي عشرة سنة فاضطربت ممــالك الشرق لذلك . ووافق ذلك خلافة الآمر باحكام الله (٥ بمصر وكان صغيرًا . ولمَّا كبر كان مستهترًا بالمملكة فبهــذين الحالين صار الوقت للفرنج كما يقول المثل : « خلا لكِ البرُّ فبيضي واصفري (٦ »

١) يريد دولة بني سلجوق المالكين في العجم وتفرَّعت هذه الدولة فملك منها فرعٌ في بلاد الروم وفرع آخر في كرمان

٢) هو معزّ الدين ملك شاه بن الب ارســلان ملك العراق وخراسان وكرمان وخوارزم والارمن والكرج وما بين النهرين الى شمالي سورية . تولى الامر سنة ٤٦٥ ه (١٠٧٢ م) وتوفي سنة ٤٨٥ (١٠٩٢)

٣) هو غياث الدين محمد ثالث اولاد معزّ الدين ملك شاه توفي سنة ٥١١ ه (١١١٨ م)

٤) هو ركن الدين بركيارُوق اكبر اولاد ملك شاه حارب اخاهُ محمَّد زمنًا طويلًا وتوفّي سنة ٤٩٨ (١١٠٥ م)

٥) هو الآمر باحكام الله المنصور ولد المستعلي تولّى الخلافة سنــة ٤٩٥ (١١٠١ م) وقتل سنة ٥٢٤ (١١٣٠ م)

٦) والمعروف « خلا لكِ الجوّ » وهو مثل قالهُ طَرَفة الشاعر وكان نثر

ثم وصلت جموع الفرنج في البرّ الى انطاكية فملكوها في جمادى الاوّل سنة احدي وتسعين واربعمائة (١٠٩٨ م). ثم اخذوا القدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين واربعمائة (١٠٩٩ م) واستولوا في طريقهم من انطاكية الى القدس على اماكن كثيرة بعد قتال شديد (١. وقُتل من المسلمين على انطاكية وفي المعرّة وبالقدس ما يزيد على مائتيْ الف مسلم. ثم بعد ذلك تزايد مَدَد الفرنج من البحر الى السواحل وانضمُّوا الى الفرنج الذين حضروا من البرّ واستولوا على مدينةٍ بعد اخرى حتّى اتوا على ساحل الشام جميعهِ وعلى غيرهِ من البلاد وفي جملة ما اخذوهُ بيروت كما ذكرنا (٢

حبًّا ليصطاد القنابر فلم تقرب اليهِ ما دام الفخّ منصوبًا فلمّا رفعهُ تواردت عليهِ القنابر بلقطنهُ فقال :

يا لكِ من قُنبرةٍ بمعمَرِ قد رحل الصيَّادُ عنكِ فابشري
خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري ونقّري ما شئتِ ان تنقّري

١) لمَّا سار الفرنج من انطاكية الى القدس لم يجسر اهل المدن الساحليَّة على مقاومتهم فمن ثمَّ لم يتعرَّض لهم امراء تلك المدن فقطعوا دربند نهر الكلب واجتازوا بيروت في اواسط شهر ايَّار من سنة ١٠٩٩ م. وكان يتولَّى امرها يومئذٍ الامراء التنوخيون يطيعون مظهر الدين طغتكين السلجوقيّ المتولّي على دمشق من سنة ١٠٩٥ الى ١١٢٨

٢) لما كانت سنة ١١٠٠ توفّي غدفريد ملك القدس فاجتمع امراء الفرنج واختاروا اخاهُ القمص بغدوين صاحب الرها خلفًا لهُ. فقدم من الرها ومرّ بساحل بحر الشام ولمَّا وصل الى دربند نهر الكلب اجتمع عليهِ امراء بيروت وصيداء وصور وعكَّة ليصدُّوهُ عن قطع هذا المضيق فاستطرد لهم بغدوين. وحمل الامراء على جيشهِ فكرَّ الفرنج راجعين وتعقَّبوا الامراء وبدَّدوا شملهم واجتازوا الدربند . وقد جاء في كتاب مرآة الزمان لابن المظفَّر ما يخالف هذا الخبر الَّا انَّ الرواية الصحيحة ما ذكرنا. ولمَّا ثبت الامر لبغدوين في بيت المقدس جيَّش

قال صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة(١ : كانت قد قويت شوكة الفرنج في عهد ولاية زنكي والد نور الدين محمود العادل. وخمدت همّة المسلمين وامتدّت مملكة الفرنج من ناحية ماردين الى

الجند ورجع فحارب المدن الساحليّة ففتحها بمرّة أُولى فلم يقوَ عليها في سنة ١١٠٢ ثم عاد اليها وحاصرها مع برتران بن صنجيل وجوسلين صاحب تلّ باشر بينما كانت سُفُن الجنويين تُضايقها بحرًا فاستولى عليها ووجد فيها مالًا كثيرًا وموادّ لتجهيز ادوات الحرب وذلك في ١٣ ايّار من سنة ١١١٠ . وامر الملك بغدوين ببناء كنيسة كبيرة في بيروت شيّدها على اسم القديس يوحنّا المعمدان وسيأتي ذكرها. وكان لبيروت اساقفة من الفرنج يخضعون لرؤساء اساقفة صور. وولّى بغدوين على بيروت احد اعيان الفرنج يدعى فُلْك دي جِسْن (Foulques de Gisnes) ولقّبهُ بلقب بارون . وجاء ذكر ابنهِ غِي (Guy de Beryte) في حرب الصليبيين الثاني ومن بنايات الفرنج في ذلك العهد قلعةٌ عند دربند نهر الكلب. وبُرجان عند ناحيَتَي بيروت . وخلف فلكًا غُوتير (Gauthier Brisebarre) سنة ١١٢٥ الّا انّهُ مات بعد قليل. وتولّى بعدَهُ بطرس (Pierre de Beryte) . وكان في جملة الفرنج الذين حاصروا دِمشق وخلفهُ ابنهُ غُوتير الثاني . واخوهُ غِي هو الذي كان غلبهُ الامير بُحتر التنوخي سنة ١١٥١ في واقعة نهر التينة بقرب نهر الغدير (راجع تاريخ الاعيان صفحة ٦٦٦) . وهزم جيشهُ فعاد الفرنج الى بيروت وتحصّنوا فيها وكانت ولاية غوتير الثاني من سنة ١١٦١ الى ١١٧٩ . وفي سنة ١١٧٦ جرت بين الفرنج وسلطان دمشق معركة عظيمة أُسر بها غُوتير صاحب بيروت واخواهُ هوغ وغي. فبقوا مدّة في قبضة المسلمين حتّى فداهم ملك القدس ١١٧٨ بشرط ان تكون مدينة بيروت من املاكهِ الخاصّة. ولم تلبث بيروت حتى فتحها صلاح الدين كما سيأتي

١) الّفهُ الشيخ شهاب الدين ابو محمّد عبد الرحمان المقدسي. امّا ما استشهد بهِ هنا المؤلف فلم يروه بحرفهِ وانما روى معناهُ فقط (راجع الجزء الاول ص ٣٠ من كتاب الروضتين طبعة وادي النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٧)

(8ʳ) عَريش مصر . ولم يتخلّلهُ من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص وبعلبكّ ودمشق . وكانت سراياهم من ديار بكر الى آمد ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس عين . واماّ اهل الرَّقّة وحرَّان فكانوا معهم في ذلّ وهوان . وكانت الرُّها وسَروج وغيرها من ديار الجزيرة للفرنج وكانوا يأخذون الخراج من مجاوريهم . ومع ذلك قد ذكر كثير من المؤرّخين ما اتّفق في حصار الفرنج لحلب وحمص ودمشق وما جرى على مصر من الفرنج حتّى كادوا يستملكونها

وبعد ذكرنا ذلك ينبغي ان نذكر لمعةً مختصرةً في موجب قهر الفرنج واخذ البلاد منهم ليكون ذلك قاعدة لمعرفة فتوح بيروت

فصل في مجمل اخبار زنكي ونور الدين وصلاح الدين

وكان موجب استنقاذ البـلاد من يد الفرنج ان عماد الدين زنكي ابن سَنقر (١ قد اخذ الرُّها منهم وجرت بينهُ وبينهم حروب كثيرة ثمّ تولّى بعدهُ ولدهُ الملك العادل نور الدين محمود (٢ فحاربهم ايضاً . فلمّا اخذ دمشق من مجير الدين أَبَق (٣ قويت شوكتهُ وتوقّف حال الفرنج عن

١) هو اوّل الملوك الاتابكة في الموصل تولى الامر من سنة ٥٢١ الى ٥٤١ ﻫ (١١٢٧ – ١١٤٦م)

٢) تولّى على حلب بعد وفاة ابيهِ زنكي وخلفهُ في الامرة عليها . توفّي سنة ٥٦٩ ﻫ (١١٧٤ م)

٣) هو أَبَق بن محمَّد بن بوري من اتابكة دِمَشْق تولّى الامر سنة ٥٣٤ ﻫ (١١٣٩ م) وخلعهُ من ملكهِ نور الدين سنة ٥٤٩ (١١٥٤ م)

الزيادة والنموّ فانحطّوا. واتّفق انّ اسد الدين شيركوه الكردي (١ دعا نور الدين ليسير معهُ الى مصر لنصر شاور الوزير (٢ على ضرغام فجهّز نور الدين العساكر وسار الى مصر ونصرَ شاور. ثم غدر شاور واستنجد بالفرنج فسار نور الدين الى محـاربتهِ ودفع الفرنجَ عن مصر. ثم قُتِل شاور واستقرّ نور الدين مكانهُ في الوزارة. ولمّا توفّي اسد الدين شيركوه خلفهُ في الوزارة ابن اخيهِ صلاح الدين يوسف وتلقّب بالسلطان الملك النـاصر (٣. وخطب باسم المستضيْ بامر الله العبّـاسي خليفة بغداد (٤ وترك اسم العاضد (8[٧] لدين الله الفاطمي خليفة مصر (٥ واستقلّت مملكة مصر. ثم توفّي نور الدين وتغلّب صلاح الدين على الشام واستفحل امرهُ وعظم شأنهُ. فلمّا قدّر الله بنصرتهِ على جموع الفرنج قهرهم بالقرب من قبر شُعَيب (٦ عليهِ السلام

---

١) كان احد امراء نور الدين وهو عمّ صلاح الدين يوسف ولّاهُ نور الدين حمص والرحبة وقدّمهُ على جيوشهِ فاستولى على مصر مرارًا وتوفّي سنة ٥٦٤ ھ (١١٦٩م)

٢) كان وزيرًا للخليفة الفاطميّ العاضد فنازعهُ في الوزارة احد امراء العرب البدو يُدعى ضرغامًا وطال بينهما الخصام. واخبار ذلك تجدها مطولة في تاريخ ابي الفداء من سنة ٥٥٨ ھ (١١٦٣م) الى سنة ٥٦٤ (١١٦٩م)

٣) ملك صلاح الدين من سنة ٥٦٧ (١١٧٢ م) الى سنة ٥٨٩ (١١٩٣م)

٤) تولى الخـلافة في بغداد من سنة ٥٦٦ (١١٧٠ م) الى سنة ٥٧٥ (١١٨٠ م)

٥) تولّى الخلافة الفـاطميّة في مصر من سنة ٥٥٥ ھ (١١٦٠م) الى سنة ٥٦٧ (١١٧١م)

٦) كذا يدعو العرب حما موسى النبي واسمهُ في التوراة يَثرو

في جبل حطّين من عمل صفد وابادهم قتلًا واسرًا. وذلك في نهار السبت لخمس بقينَ من ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م) فذلّ الفرنج وضعفت قوّتهم. وتوجّه كثيرٌ منهم الى صور وتوجّه السلطان الى عكّة فاخذها. وفرّق عسكره في تلك الاماكن والحصون القريبة منها فاخذوها لخلوّهـا من الفرنج وكانوا ساروا الى حطّين. ثمّ توجّه السلطان الى صور فصعب عليهِ اخذها لاجتماع الفرنج بهـا. فتركها وتوجّه الى صيداء فأخذها بالأمان ثم توجّه لقصد بيروت

فصل في ذكر فتوح بيروت ثانيًا

وصل السلطان الى ظاهر بيروت (١ نهار الاربعاء حادي وعشرين جمادى الأوّل سنـة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م). وخيّم على سَمْتها واحاط عسكرهُ بسائر جهاتها ونصب عليها المجانيق وضايقهـا وحاصرها ثمانية ايام. ثمّ سألهُ الفرنج الأمان فأمّنهم. وكان من عادتهِ اذا سألوهُ الأمـان يؤمّنهم. فتوجّه فرنجُ بيروت بامانةٍ الى صور وتسلّم بيروت ونصب السنجق السلطاني على قلعتها في نهار الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور(٢.

١) كان صلاح الدين قبل هذه المرّة تحرّى فتح بيروت. وجاء في تاريخ ابي الفداء في اخبـار سنة ٥٧٨ (١١٨٢ م) انّ السلطان شنّ الغارات على بلاد الفرنج وعاد الى دمشق ثمّ سار عنها الى بيروت وحاصرها واغار على بلادها ثمّ عاد الى دمشق. وقد جاءت تفاصيل على هذه الغزوة في الكامل لابن الاثير

٢) ذكر ابو الفداء هذا الفتح في تاريخ سنة ٥٨٣ ﻫ (١١٨٧م) وقال انّ

وكان في البلد جماعة من المسلمين (9ʳ) في ضيق بمساكنة الفرنج فانجلت عنهم الكربة ورأوا الفرَج بعد الشدّة. وولّى السلطان على بيروت سيفَ الدين عليّ بن احمد المشطوب (١ وكان اميرًا جليل القدر. ثمّ ولّى عليها عزّ الدين أُسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ (٢ وكان من المعظّمين

صلاح الدين تسلّم بيروت في السابع والعشرين جمادى (Historiens des Croisades, Hist. Orientaux I, 57) . وجاء في رواية اخرى : في التاسع والعشرين كما ذكر هنا ابن صالح قال ابن الاثير في وصف هذا الفتح (op. c., I, 692) وكانت بيروت من احصن مدن الساحل وانزهها واطيبها . فلمّا فتح صلاح الدين صيداء سار عنها في يوم نحو بيروت ووصل اليهـا من الغد فرأى اهلها قد صعدوا على سورها واظهروا القوّة والجلد والعُدّة والعدد وقاتلوا على سورها عدّة ايّام قتالًا شديدًا واغتروا بحصانة البلد . . . ثم ارسلوا يطلبون الامان فأمّنهم السلطان على انفسهم واموالهم وتسلّمها

١) هو الامير ابن مشطوب الهكاري ولّاهُ صـلاح الدين بيروت مدّةً وحارب معهُ الفرنج عند عكّة . قال ابو الفداء في تاريخ سنة ٥٨٧ (١١٩١م) : ولمّا اشتد حصـار الفرنج لعكّة وعجز السلطان صلاح الدين عن دفع العدو عنهم خرج الامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وطلب الامان من الفرنج على مالٍ وأسرى يقومون بهِ للفرنج فاجابوهم الى ذلك (اه) . وارسلهُ صلاح الدين الى الفرنج فصالح باسمهِ ملك انكلترّة ريكَرْد ثمّ اقطعهُ صلاح الدين نابلس وفيهـا مات سنة ٥٨٨ (١١٩٢ م)

٢) اسامة هذا من مشاهير رجال عصره اسمهُ مؤيد الدولة ابو المظفّر بن منقـذ كان من اكابر بني منقذ اصحاب قلعة شَيْزَر وهو من الكتّاب المفلقين ولهُ اخبـار كثيرة . (راجع كتاب خريدة القصر لعماد الكاتب وتراجم ابن خلكان ص ٩٢ من طبعة باريس) . ولهُ كتبٌ جليلة طبع منها المعلم دِرِنْبُرغ قسماً . منها

عند السلطان حتى لم يكن يقدّم عليهِ احدًا في المشورة والرأي. وعزّ الدين اسامة المذكور هو الذي بنى قلعة عجلون. ومن الاتفاق انَّ عندي ديوان شعرهِ بخطِّهِ. فكانت مدَّة استيلاء الفرنج على بيروت ثمانين سنة وثمانية أيّام

ثم استكمل السلطان فتوحات البلاد جميعها خلا صور وطرابلس والمرقب(١ وانطاكية. امّا صور فصعب اخذها لاجتماع الفرنج لها. وامّا طرابلس فكان قد استولى عليها صاحب انطاكية وكان من جهة السلطان. واما المرقب فلأنّهُ كان حصنًا منيعًا لم يتعرَّض السلطان اليهِ. ثمَّ بعد ذلك حضرت سفن الفرنج في البحر الى صور فتوجهوا الى عكّة فحاصروها. وحضر السلطان قبالتهم فكانوا محاصِرين في زيّ محصورين مدّةً طويلة

وفي غضون ذلك بلغ السلطان مجيء صاحب الالمان (٢ من البرّ في مائة الف فارس فارسل قومًا يخربون سور صيداء وسور جبيل ونقلَ اهلهما الى بيروت. ونقل الميرة الى هذه المدينة وشحنها بالرجال والسلاح وحصَّنها وجعلها قاعدةً (٧٩) لذلك الجانب. فكفى الله المسلمين شرَّ صاحب

كتاب الاعتبار ومنتخبات جزيلة الفائدة. توفي ابن منقذ بدمشق سنة ٥٨٤ (١١٨٨م)

١) المرقب اسم قلعة حصينة كانت مشرفة على ساحل بحر الشام وعلى بُلُنْياس في جنوبي شرقيّ اللاذقيَّة تبعد عنها ٢٦ ميلًا

٢) هو الامبراطور فردريك بربروس مات غرقًا في نهر البَرَدان (Cydnus) قرب طرسوس سنة ١١٩٠ م وكان نزل فيهِ ليستحمّ

الالمان وسلّط عليهم الفناء فهلك الملك وغالب عسكرهِ . ووصل ولد الملك (١ الى عكّة في دون الف مقاتل (٢ ولم يتعرّض في طريقهِ الى بيروت ولا الى غيرها . ثمَّ غلبت الفرنج واخذوا عكّة في سابع عشر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة (١١٩٢م) وساروا منها الى يافا والسلطان في قبالتهم . وجرى بينهم حروب عظيمة حتى كَلَّ الفريقان . فحصل بينهما هدنة مدّة ثلاث سنين وثلثة اشهر وثلثة ايام اولها مبتدأ ايلول الموافق للحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (١١٩٢م) على انَّ البلاد الجبليَّة تكون للمسلمين والساحلية للفرنج . وصيداء وبيروت وجبيل للسلطان .

وتوجَّه السلطان الى القدس ثمَّ الى ما تأخَّر في يدهِ من البلاد التي استنقذها من الفرنج ووصل الى بيروت واقام بها اياماً . وحضر اليهِ وهو مقيم بها بُيمُند الفرنجي (٣ صاحب طرابلس وانطاكية . وكان حضور السلطان الى بيروت ثلاث مرّات . الاولى كانت على سبيل الغارة . والثانية لما فتحها . والثالثة هذه المرَّة المذكورة ومنها توجه الي دمشق فتوفي بها بكرة نهار الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة

١) هو فردريك دوق دي صواب

٢) وقيل بقي معهُ ستَّة آلاف مقاتل

٣) هو بُوهِيمُنْد الثالث ابن رَيْمُند دي بواتيه وسيّد انطاكية . قال ابن الاثير في تاريخ سنة ٥٨١ (١١٩٢) ولمَّا وصل السلطان صلاح الدين الى بيروت اتاهُ بيمُنْد صاحب انطاكية واعمالها وطرابلس واعمالها واجتمع بهِ وخدمهُ فخلع عليهِ صلاح الدين وعاد الى بلادهِ (اه) . وزاد ابن شدَّاد في سيرة صلاح الدين انَّهُ اقطعهُ العمق وأغزِرات ومزارع تعمل خمسة عشر الف دينار

(١١٩٣م) . وحصل بعده خلاف وتفريق كلمة فطمعت الفرنج وحضروا بالسفن الى عكّة وكانت قد انقضت مدّة الهدنة (١٥ ر) المذكورة فخرجوا من عكة لقصد صيداء و بيروت

فصل في ذكر استيلاء الفرنج على بيروت

كان عزّ الدين أُسامة بن مُنقذ والياً على بيروت فلمّا بلغهُ استيلاء الفرنج على صيداء خرج من المدينة بجماعتهِ واهلهِ . فلامهُ الناس على ذلك وعنّفوهُ وهجاهُ بعض الشعراء وذلك انَّ الفرنج كانوا حصروا حصن تِمْنين (١ وسألوا صاحبهُ تسليمهُ بالامان فقال بعض اهل الحصن لصاحبهِ :

سلّم الحصنَ ما عليك ملامَهْ لا يُلامُ الذي يروم السلامَهْ
فعطاء الحصون من غير حربٍ سُنَّةٌ سنّها ببيروتَ أُسَامَهْ

وتسلّمت الفرنج بيروت في نهار الجمعة عاشر ذي الحجّة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (١١٩٧) وكانت مدّة استيلاء المسلمين على بيروت عشر سنين وشهرًا واحدًا واحد عشر يومًا (٢ . ورجع امر الفرنج في بيروت

١) كذا في الاصل والصواب تِبْنين وهو حصن على مسافة ١٢ ميلًا من صور في شرقها الجنوبيّ

٢) وقد ورد ذكر فتح الفرنج لبيروت في تاريخ سنة ٥٩٣ (١١٩٧) لابن الاثير قال : وكان في مدينة بيروت اميرٌ يُعرف بأُسامة وهو معظّمها وكان يرسل الشواني يقطع الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك غير مرّة الى الملك العادل بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا أُسامة . فارسلوا الى ملوكهم . . .

الى ما كانوا عليهِ قبل فتوح السلطان صلاح الدين المذكور. وكان اهل القرى التي حول بيروت مسلمين فأدّوا الطاعة والخراج للفرنج. وبقيت الولايةُ الجبليّة لعزّ الدين أُسامة ثمَّ سار الى مصر (١

فامدَّهم الفرنج بالعساكر. فوصل المسلمين الخبرُ بانَّ الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر في ذي القعدة الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت. فسار اليها جمعٌ من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذي الحجَّة. وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم أُسامة من ذلك وتكفَّل بحفظها. ورحل الفرنج من عكَّة الى صيداء وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا بالفرنج بنواحي صيداء وجرى بينهم مناوَشة فقُتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل. وسار الفرنج تاسع ذي الحجة. فوصلوا الى بيروت. فلمَّا قاربوها هرب منها أُسامة وجميع من معهُ من المسلمين فملكوها صفوًا عفوًا بغير حرب ولا قتال فكانت لهم غنيمة باردة. فارسل العادل الى صيداء من خرب ما كان بقي منها فانَّ صلاح الدين كان قد خرَّب اكثرها: وسارت العساكر الاسلاميَّة الى صور فقطعوا اشجارها وخرَّبوا ما لها من قرىً وابراج. فلمَّا سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها . . . (قال) وفي سنة ٥٩٤ (١١٩٨) تردَّد الرسل بين الملك العادل وبين الفرنج فاصطلحوا على ان تبقى بيروت بيد الفرنج وكان الصلح في شعبان ٥٩٤»

وممَّا جاء في تواريخ الفرنج ان الملك العادل سيف الدين كان جُرح في واقعة صيداء فقدم بيروت ليتحصَّن بها الَّا ان بعض اسرى الفرنج كان عاين اسطول النصارى مجتازًا امام بيروت فتمكَّن من قتل الحرَس وفتح ابواب الحصن للفرنج فدخلوه. وفي اليوم التالي جاء عسكر البرّ من جهة صيداء فدخلوا المدينة (في ٢٥ تشرين الاوَّل ١١٩٧) واطلقوا سبيل اربعة عشر الف أسير من النصارى كانوا فيها. ولم تلبث جُبيل ان دانت لامرهم

١) بعد فتوح الفرنج لبيروت سلَّم ملك القدس أموري امرها الى أُسْرة

فصل في فتوحات بيبرس وقلاوون للسواحل

بعد ذكرنا استيلاء الفرنج على بيروت يجب ان نبيّن ملخّصاً امر فتوح السواحل ليكون ذكر فتوح بيروت الثالث واضحاً في موضعه

افتتح الملك الظاهر بيبَرْس البُنْدُقداريّ (١ قيساريّة وأَرْسوف (٢ وصَفَد وطبريّة ويافا والشَّقيف (٣ وأَنطاكية وبَغراس(٤ (١٥٧)

شريفة من الفرنسيس استقلّوا بولايتها بعد وفاة اموري سنة ١٢٠٥. واوّل من اشتهر منهم جان ديبلين (Jean I d'Ibelin) وكان من مشاهير عصره فحصّن المدينة ورمّم قلعتها ونشّط فيها الآداب والعلوم والصناعات وزيّنها بالبنايات العظيمة ووسّع نطاق تجارتها مع البنادقة والجنويين والپيزان وغيرهم. ولمّا حاول ملك الالمان فردريك الثاني ان ينترع بيروت منهُ لم يزل جان ديبلين يدافع عنها حتّى تقرَّر لهُ ملكها واورثها ابنهُ بالان ديبلين (Balan d' Ibelin) نحو سنة ١٢٤٠. وخلف بالان ابنهُ جان الثاني (Jean II d' Ibelin) من سنة ١٢٥٣ الى ١٢٦١

١) هو رابع ملوك الدولة التركانيّة في مصر ملك من سنة ٦٥٨ الى ٦٧٦ (١٢٦٠-١٢٧٧ م)

٢) مدينة على ساحل بحر الشام بين يافا وقيساريّة على عشرة اميال من شمال يافا

٣) يوجد موضعان بهذا الاسم اسم احدها شقيف أَرْنون (تصحيف اسم أَرْنُلْد Arnauld) ولعلّهُ هو المراد هنا وكان قلعةً حصينة جدًّا قرب بانياس من ارض دمشق بينها وبين الساحل. والثاني شقيف تيرون اي شقيف صور وكان ايضاً حصناً وثيقاً بالقرب من صور

٤) مدينة في لحف جبل اللُّكام بين انطاكية والاسكندرونة كان صلاح الدين فتحها ثم استرجعها الفرنج الى ان تغلّب عليها بيبرس

والقصر (١ وحصن الأكراد (٢ وحصن عكّار (٣ والقُرَين (٤ وصافيتا (٥ وحَلْبا (٦ . وناصف الفرنجَ على المَرْقب (٧ وبُلُنْياس (٨ وبلاد أنْطَرْطوس (٩ . فلمّا افضت السلطنة الى الملك المنصور قلاوون الألْفي (١٠ افتتح المرقب وطرابلس وما يليها واخرب طرابلس ونقلها الى سفح الجبل. واعطى اماناً لصاحب جبيل وصاحب بيروت. ثمَّ جرى بينهُ وبين فرنج صيداء وعكّة وعَثْليث (١١ اتّفاق على هدنة وعهد

---

١) نظن انَّ المؤلف يريد قصر حيفا وهو موضع بين حيفا وقيساريَّة
٢) كان حصناً منيعاً وموقعهُ في غربيّ حمص على اربعة وعشرين ميلًا منها
٣) كان حصن عكّار من الحصون الحريزة في ايّام الصليبيين يبعد عن طرابلس نحو واحد وعشرين ميلًا في شماليها الشرقيّ
٤) القُرَين كان حصناً منيعاً على ساحل الشام ليس بعيدًا من صفد كان يسكنهُ رهبان الفرنج المعروفون بالاسبتلار (Hospitaliers)
٥) صافيتا قلعة وثيقة في جبال النصيريَّة
٦) مدينة صغيرة في شمالي شرقيّ عَرْقة على ميلين منها وعلى ١٦ ميلًا من طرابلس
٧) مرَّ ذكر المرقب (ص ٣٦)
٨) بُلُنياس بلدةٌ موقعها قرب المرقب على البحر كان القدماء يدعونها أبولُنية
٩) انطرطوس مدينة ساحليَّة هي اوَّل أعمال حمص مطلَّة على البحر في شرقي عرقة بينهما ثمانية فراسخ كان لها بُرجان حصينان كالقلعتين
١٠) هو السلطان منصور قلاوون الصالحيّ النجميّ تولَّى الملك سنة ٦٧٨ وتوفي سنة ٦٨٩ (١٢٨٠ – ١٢٩١ م) . دُعي بالألْفيّ لانهُ بيع في صغرهِ بالف دينار
١١) عثليث قلعة حريزة على ساحل البحر تبعد ثمانية اميال عن جبل الكرمل جنوبًا

ثمَّ بلغ الملك المنصور انَّ الفرنج بعكَّة غدروا بالعهد وقتلوا جماعةً من تجَّار المسلمين كانوا قد حضروا الى عكَّة بمتاجر تمسُّكًا بالمدنة والعهد. ومن جملتهم تجَّار حضروا في البحر ومعهم مماليك هديَّة للسلطان. فبرز المنصور قلاوون الى ظهر مصر قاصدًا عكَّة فقضى الله بوفاته. وتَسلطَن ولدهُ الملك الاشرف خليل(١ فاستمرَّ على قصد ابيهِ وحضر الى عكَّة فاخذها بعد قتال شديد وذلك في يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة (١٢٩١ م) وقتل اهلها. فالقى الله الرُّعب في قلوب الفرنج فأخلوا صور وصيداء من غير قتال وكذلك حيفا. وتأخرت عثليث وقلعة صيداء التي في البحر. فعيَّن السلطانُ سَنجرَ (٢ الحلبيَّ وسنجر الشجاعيَّ (٣ لفتحها. ثمَّ توجَّه السلطان من عكَّة الى دمشق ففُتحت عثليث وقلعة صيداء

١) هو السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون الألفي الملَّقب بالملك الاشرف تولَّى السلطنة من سنة ٦٨٩ الى ٦٩٣ ه (١٢٩٠ – ١٢٩٤م) قتلهُ المماليك

٢) سنجر الحلبيّ ولقبهُ علم الدين كان نائبًا على دمشق للملك المظفَّر قُطز. ثم خرج عن الطاعة سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) واستولى على المدينة وتسلطن بالشام فارسل الملك الظاهر بيبرس عسكرًا لقتالهِ فقبضوا عليهِ اسيرًا. ذكرهُ ابو الفداء وابن اياس في تاريخ سنة ٦٥٨ ه (١٢٦٠ م)

٣) هو علم الدين سنجر الشجاعيّ من امراء الملك الاشرف صلاح الدين خليل تسلَّم صيداء وبيروت من يد الفرنج لمَّا اخلوها واستنابهُ السلطان على دمشق ثمَّ عزلهُ. ولمَّا صارت السلطنة الى الملك الناصر اخي الاشرف استوزر سنجرَ الشجاعيّ. ثم صارت وحشة بينهُ وبين الامير زين الدين كتبغا المنصوري نائب السلطنة فامر السلطان باعتقالهِ وقتلهُ بعض المماليك البُرْجيَّة سنة ٦٩٣ه (١٢٩٤ م)

ولمَّا فرغ سنجر الشجاعيّ من خراب قلعة (٢ II) صيـداء توجَّه على خيل البريد الى دمشق ولحق بالسلطان عند رحيلهِ منها الى جهة مصر. فوكل اليهِ نيابة الشام ورسم لهُ ان يعود الى بيروت وكانت داخلة في الطاعة الشريفة لانَّ صاحبهـا كان قد ارسل الى السلطان وهو محاصر لعكة يطلب منهُ الامان فاجابهُ الى طلبهِ



فصل في ذكر فتوح بيروت ثالثًا

فلمّا وصل سنجر الشجاعيّ الى بيروت تلقّاهُ صاحبها وخيَّالتهُ احسن مُلتقىً. ونزل في القلعـة وامرهم ان ينقلوا اولادهم وحريمهم واثقالهم الى القلعة ففعلوا وظنُّوا انَّهُ يفعل ذلك شفقةً عليهم. فلمّا صاروا في القلعة قبض على الرجـال وقيّدهم والقاهم في الخندق وذلك في نهار الاحد الثـالث والعشرين من رجب سنة تسعين وستمائة (١٢٩١). ثمَّ جهّز سنجرُ عَلَمَ الدين الداووديّ والجاكيّ (١ الى جبيـل فاستولى على اسوارها وقلعتها وابقى على اهلها وكانوا من الجَنَوِيَّة

ثمَّ شرع سنجر الشجاعيّ في هدم سور بيروت وقلعتها وكانت محكمة البناء. ثمّ جهَّز اهلَها الى دمشق وانفذهم منها الى مصر باجمعهم فهلك منهم المشايخ والعجائز والنساء. ولمّا وصلوا الى مصر اطلقهم السلطان وقال: أماني

١) لم نقف على شيء من اخبـار علم الدين الداوودي. امَّا الجاكي فنظنُّهُ الامير شرف الدين ابراهيم بن علي بن جنيد الجاكي المهمندار المنصوري وبهِ يعرف بمصر درب الجاكي (راجع الجزء الثاني من الخطط للقريزى ص ٤٤)

باقٍ عليكم. وخيَّرهم بين العود الى بيروت او التوجُّـه الى قبرس باجمعهم. وكانت مدّة استيلاء الفرنج على بيروت في هذه النوبة (١١٧) خمساً وتسعين سنة وسبعة اشهر وثلاثة عشر يوماً



ذكر بعض حوادث جرت في بيروت بعد الفتوح الثالث الى ايَّام المؤّلف

ولنذكرنَّ الآن بعض حوادث جرت في بيروت بعد الفتوح. ولا بأس اذا تكرّر ذكرها في اخبار الامراء من بني الغرب فتكون هذه الخلاصة تبياناً لاحوالهم. وسنأتي ان شاء الله بذكر حوادث غيرها عند تفصيل اخبارهم

قال النويريّ: لمّا حضر السلطان الملك الاشرف خليل بن منصور (١ الى الشام سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢) افتتح قلعـة الروم (٢ كان ذلك في حضورهِ الثاني الى الشام بعد فتوح السواحل

وفي شهر شعبان سنة احدى وتسعين وستمائة توجّه الامير بيـدرا (٣

١) راجع ص ٤٢

٢) قال ياقوت : قلعة الروم قلعة حصينة في غربيّ الفرات مقابل البيرة بينهـا وبين سُمَيْساط كان بها مقام بطرك الارمن

٣) بيدرا كان من ماليك الملك المنصور قلاوون استنابهُ الملك الاشرف في دمشق ثم جعلهُ نائبَ السلطنة ولم يلبَث انَّ دسَّ لوليّ نعمتهِ الدسائس فقتلـهُ بمشاركة الامراء المماليك وعُهدت اليهِ السلطنة بعد الاشرف وتلقَّب بالملك القاهر الَّا انَّ ملكهُ لم يدم الَّا يوماً واحدًا فقُتل سنـة ٦٩٣ (١٢٩٤ م)

قائد السلطنة بمصر وقصد جبال كسروان وتوجّه بصحبته من الامراء الاكابر شمسُ الدين سُنقَر الاشقر(١ والامير قَرا سُنقر المنصوريّ(٢ والامير بدر الدين بكتوت الاتابكي والامير بدر الدين بكتوت العلائي (٣ وغيرهم. واتاهم من جهات الساحل ركنُ الدين بيبرس طُقْصوا (٤ والامير عزّ الدين ايبك الحموي(٥ وغيرهما. والتقوا بالجبل وحضر الى الامير بيدرا

١) شمس الدين سُنْقر الاشقر احد امراء المماليك استوظفهُ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس في الرُّتب العليا. فلمّا صار الامر لابنهِ الملك السعيد ابي المعالي اعتقلهُ سنة ٦٥٨ (١٢٦٠) فافرج عنهُ الملك المنصور فولّاهُ نيابة الشام سنة ٦٧١ (١٢٦٠م) فخلع الطاعة وتلقَّب بالملك الكامل ثم اضطرب امرهُ فهرب الى صهيون وبقي فيها الى سنة ٦٨٤ (١٢٨٥م) فحاسرهُ عسكر المنصور فطلب الامان وبقي يخدم السلطان الى ايَّام ابنهِ الملك الاشرف فامر بخنقهِ سنة ٦٩٠ (١٢٩١م)

٢) قرا سُنقر المنصوري كان مملوكًا للملك المنصور قلاوون فلقَّبهُ شمس الدين. شارك الامير بيدرا على قتل الملك الاشرف ورفع الملكُ زينُ الدين كتبغا شأنهُ وقرَّر لهُ الاقطاعات الجليلة سنة٦٩٣ (١٢٩٣). وجعلهُ حسام الدين لاجين نائبُ السلطنة ثمَّ اعتقلهُ فافرج عنهُ الملك الناصر بعد سنة وشهرين واعطاهُ نيابة السلطنة بحماة ثم بدمشق وحلب ثم بلغهُ انَّ السلطان يروم القبض عليهِ ففر هاربًا واتصل بالتتر مع اقوش الافرم سنة٧١٢ (١٣١٢) وخدم خربندا واكرمهُ التتر وأقطعوهُ مراغة فعاش طويلًا وجاوز التسعين حتَّى مات سنة ٧٢٨ (١٣٢٨)

٣) بكتوت العلائي وبكتوت الاتابكي كلاهما من امراء الملك الاشرف صلاح الدين خليل وخدما اخاهُ الملك الناصر محمَّد ثم الملك العادل كتبغا المنصوريّ (راجع بدائع الزهور لابن اياس الجزء الاوّل ص ١٣١ و ١٣٦)

٤) ركن الدين بيبرس طُقصوا كان اميرًا للاشرف تغير عليهِ سيده مدّةً فاعتقلهُ ثمَّ سرَّح سبيلهُ ثم قتلهُ سنة ٦٩٠ (١٢٩١)

٥) عزّ الدين ايبك الحموي كان من مماليك الملك المنصور صاحب حماة

من ثني عزمهُ وكسر حدَّتهُ لحصل الفتور في امرهم حتّى تمكَّن الكسروانيُّون من بعض العسكر في تلك الاوعار ومضايق الجبال فنالوا منهم. وعاد العسكر شبه المكسور المنهزم وطمع فيهم اهل تلك الجبال حتّى اضطرّ الامير بيدرا ان يطيّب قلوبهم ويُحسن اليهم وخلع على جماعة من اكابرهم (12^r). فأشتطُّوا في الطلب فاجابهم الى ما التمسوهُ من الإفراج عن جماعة منهم كانوا قد اعتُقلوا بدمشق لذنوب وجرائم صدرت منهم. وحصل للكسروانيين من القتل والنهب والظفر ما لم يكن في حسابهم. وحصل للامراء والعسكر من الألم ما اوجب تسريح بعضهم لسوء تدبير الامير بيدرا. ونسبوهُ الى إهمال امرهم واتّهموهُ بالفتور عن قتالهم حتى تمكَّنوا ممَّا تمكنوا منهُ لطمعهِ. واشاعوا انَّهُ تبرطل منهم واخذ رشوةً كبيرة واحتجّ الناس بذلك (١

ثمّ توجّه الامير بيدرا بالعساكر الى دمشق فتلقَّاهُ السلطان واقبل عليهِ وترجَّل عند ترجُّلهِ للسلام عليهِ. ولَّما انكر عليهِ سوء اعتمادهِ وتفريطهِ في العسكر عمل كلامُ السلطان فيه حتَّى مرض لذلك وشيَّع الناس انهُ سُقي السمّ. ثم عوفي في العشر الاوَّل من رمضان فتصدّق السلطان بجملةٍ كثيرة من المال شكرًا لله على عافيتهِ واطلقوا جماعةً كثيرة ممَّن كانوا في

طلبهُ منهُ الملك الظاهر بيبرس فجعلهُ من الامراء ثمَّ صيَّرهُ الملك الاشرف نائبًا على دمشق واعتقلهُ حسام الدين لاجين مع غيرهِ من الامراء سنة ٦٩٧ (١٢٩٨) ثم تولَّى نيابة حمص وتوفي سنة ٧٠٣ (١٣٠٤)

١) ورد خبر غزوة الامير بيدرا لكسروان في تاريخ المماليك للمقريزي. وتفاصيلها لا تختلف عمَّا ذكرهُ المؤلف هنا

السجون. وتصدّق الامير ايضاً وتزل عن كثير مما كان اغتصبهُ من املاك الناس. وجمع العلماء والقضاة والقرّاء والمشايخ في العاشر من رمضان بالجامع (الاموي) بدمشق لقراءة خَتْمةٍ(١ واشعل الجامع في هذه الليلة كما يشعل في نصف شعبان. وكان الذي اخبر السلطان انَّ بيدرا ارتشى من الكسروانيين بيبرس طُقصوا فاسرَّ بيدرا الامر في نفسهِ وتربَّص لهُ. فلمّا قبض السلطان على لاجين (٢ في عيد الفطر من السنة المذكورة خاطب بيدرا السلطانَ في القبض على بيبرس طُقصوا فقُبض (12 ٧) عليهِ مع لاجين لانهُ كان قد تزوَّج ابنتهُ

ذكر بعض حوادث جرت بعد فتوح بيروت الثالث الى ايَّام المؤّلف

قال النويري: في العشر الآخر من شعبان سنة ثمان وتسعين وستماية

١) قِراءة الخَتْمة هي رتبة دينيَّة عند المسلمين يُقرأُ بها القرآن على تمامهِ

٢) لاجين هو حسام الدين لاجين المنصوري المعروف بالصغير احد امراء الملك الاشرف قبض عليهِ سيّدهُ في دمشق مع الامراء سنقر الاشقر وجرمق وبكتوت وبيبرس طقصوا واعتقلهم مدَّة في مصر وامر بشنقهم الّا انَّ وتر الامير لاجين قُطع فنجا من الموت ثم اتَّفق مع الامراء على قتل الملك الاشرف. واستولى على السلطنة بعد الملك العادل كتبغا سنة ٦٩٦ (١٢٩٧) وقتل سنة ٦٩٨ه(١٢٩٩) قتلهُ المماليك

(١٢٩٩ م) وصل الى بيروت مراكب كثيرة وبُطَس (١ للفرنج فيها جماعة كثيرة من المقاتلين ويقال انّ عددهم كان يبلغ ثلاثين بُطسة في كل بُطسة منها نحو سبعمائة مُقاتل وقصدوا ان يطلعوا من مراكبهم الى البرّ ويشنُّوا الغارة على بلاد الساحل . فلمَّا قربوا من البرّ ارسل الله عليهم ريحًا شديدة فغرقت بعض هذه السفن وتكسَّر بعضها ورجع من سلم منهم على أسوإ حال وكفى الله المسلمين شرَّهم . ثم قال النويري : وحُكي عن رئيس بيروت انَّهُ قال : والله لي خمسون سنةً أُلازم هذا البحر فما رأيت مثل هذه الريح التي جرت على هذه المراكب وليست هي من الرياح المعروفة عندنا

وممَّا نقلناهُ عن النويريّ والصّلاح الكُتُبي في فتوح كسروان ما رويا من جملة حوادث سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م) وذكرا توجُّه العساكر الشاميَّة الى جبال كسروان وإبادة اهلها وتمهيدها وهي النوبة الثانية في ايَّام السلطان الملك الناصر محمَّد بن المنصور (٢ فقالا : كان اهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتَّدت شوكتهم وتطاولوا الى أذى العسكر عند انهزامهِ من التتر في سنة تسع وتسعين وستمائة (١٣٠٠ م) واغضى السلطان عنهم وتمادى في عقابهم فزاد طغيانهم واظهروا الخروج عن الطاعة واعتزلوا

١) البُطسة جمعها البُطَس كلمة اعجميَّة يُراد بها المركب الكبير للتجارة او الحرب

٢) هو الملك الناصر محمَّد بن قلاوون من المماليك الترك البحرية تولّى السلطنة على مصر والشام من سنة ٦٩٣ الى ٧٤١ (١٢٩٤–١٣٤٠) وخُلع مرارًا

بجبالهم المنيعة ووثقوا بجموعهم الكثيرة وعلّلوا النفوس بأنّهُ لا يمكن الوصول اليهم

في ذي الحجّة سنة اربع وسبعمائة (١٣٠٤م) جهّز (13^r) جمالُ الدين آقُش الافرم نائبُ الشام (١ زينَ الدين عدنان (٢ ثمّ توجّه بعدهُ تقيّ الدين (٣ وقراقوش(٤ وتحدّثا معهم في الرجوع الى الطاعة فأبوا . فامر عند ذلك بتجريد العساكر اليهم من كل جهة ومن كل مملكة من ممالك الشام . وتوجّه آقش الافرم من دمشق بسائر الجيوش في يوم الاثنين الثاني من محرّم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م) وجمع جمعاً كثيرًا من الرجّالة نحو خمسين الفًا وتوجّهوا الى جبال الكسروانيين والجُرْديين . وتوجّه سيف الدين أَسَنْدَمُر نائب طرابلس (٥ وشمس الدين سُنْقُرُ جاه المنصوري

---

١) كان آقُش (ويقال اقوش) من كبار امراء الملك الناصر محمَّد بن قلاوون تولّى المناصب الجليلة في دمشق وصرخد وطرابلس ثم لحق بالتتر مع سنقر ومات في همذان سنة ٧١٦ ه

٢) لم نحصل على شيء من اخباره

٣) يريد تقيّ الدين احمد بن تيميَّة الشهير وُلد بحرّان سنة ٦٦١ وتوفي سنة ٧٢٨ (١٢٦٣ – ١٣٢٨ م)

٤) ليس قراقوش هذا الامير بهاء الدين قراقوش الاسديّ الذي كان في ايام صلاح الدين وابنهِ الملك العزيز عثمان بن يوسف الايوبيّ وانما هو سميُّهُ كان بعدهُ بزمن طويل . وتولّى الاتابكيَّة في ايّام ابنهِ الملك المنصور ولهُ اخبار كثيرة ونوادر وفكاهات

٥) هو الامير أَسَنْدُمُر الكرجيّ ولّاهُ الملك النّاصر محمَّد بن قلاوون نيابة طرابلس سنة ٧٠٤ (١٣٠٥ م) فبنى لها حصنًا في موضع حصن سنجيل وتولّى نيابة حماة سنة ٧١٠ (١٣١١م) . لم نقف على سنة وفاتهِ

نائب صفد (١ . وطلع أسندمر المذكور من جهة طرابلس وكان قد نُسب الى مُباطنتهم . فجرَّد العزم واراد ان يفعل في هذا الامر ما ينفي عنهُ هذه التهمة اللاحقة بهِ . فطلع الى جبل كسروان من اصعب مسالكهِ واجتمعت على اهلهِ العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت ارضاً لم يكن سكانها يظنون انَّ احداً يطأُها . وقُطعت كرومهم وأُخربت بيوتهم وقُتل منهم خلقٌ كثير وتفرَّقوا في البلاد (٢ . واستخدم أسنَدمُر جماعةً منهم في طرابلس بجامكيَّة (٣ وجازاهم من الاموال الديوانيَّة . فاقاموا على ذلك سنين . وأَقطع بعضهم املاكاً من حَلقة طرابلس . واختفى بعضهم في البلاد واضمحلَّ امرهم وخمل ذكرهم

وعاد نائب الشام الى دمشق بالعساكر في رابع شهر صفَر من ($I3^{v}$) السنة المذكورة . وجعل الناظرَ في بلاد بعلبكّ والجبال الكسروانيَّة بهاء الدين قراقوش فقهر ما كان تأخر بجبال كسروان وقتل من اعيانهم جماعةً . ثمَّ

---

١) لم نجد لهُ ذكرًا في غير هذا التاريخ

٢) ذكر ابو الفداء هذه الواقعة في تاريخ سنة ٧٠٥ قال : وفي هذه السنة سار جمال الدين اقوش الأفرم بعسكر دمشق وغيرهِ من عساكر الشام الى جبال الظّنّيين وكانوا عصاةً مارقين من الدين فاحاطت العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة وترجَّلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات وقتلوا واسروا جميع من بها من النُصَيْريَّة والظنيين وغيرهم من المارقين وطهرت تلك الجبال منهم وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس وأَمنت الطريق بعد ذلك . . . (اه) . وزاد ابن الوردي في تاريخهِ : وكان الذي افتى بذلك ابن تيميَّة وتوجَّه مع العسكر

٣) الجامكيَّة لفظة اعجميَّة يُراد بها الراتب وجزاء العمل

أعطوا أماناً لمن استقرّ في غير كسروان . ثم أقطعوا علاء الدين بن معبد البعلبكيّ وعزّ الدين خطّاب وسيفَ الدين بكر الحسامي (١ وابنَ صُبح (٢ راضيَ في كسروان ثم ابطلوها عنهم واقطعوها التركمان فأدركوا موانيَ البحر ودروبَ البرّ من ظاهر بيروت الى عمل طرابلس واستمرّوا الى وقتنا هذا وشُهِروا بتركمان كسروان. وعُرفوا بهِ

ومن الحوادث انّهُ في العُشر الآخر من جمادى الاوّل جاز على بيروت تعميرةٌ (٣ للفرنج ولم يتعرَّضوا لها وتوجهوا الى صيداء واخذوها وقتلوا من اهلها جماعةً واسروا جماعةً ونهبوا منها شيئاً كثيرًا. وكذلك المسلمون فانهم قتلوا من الفرنج جماعة وبعثوا برؤوسهم الى دمشق فعلّقوها على القلعة وكانت بضعاً وثلثين راساً . وحضر الى صيداء الامير شهاب الدين بن صُبح نائب صفد وسبق العسكر الشاميَّ ولحق التعميرة على جزيرة صيداء بعد فوات الامر فاشترى الاسرى جميعهم كلَّ نفرٍ بخمسمائة درهم واخذ من ديوان الاسرى ثلاثين الف درهم

وفي يوم الجمعة الثالث عشر من محرّم سنة ٧٦٧ ﻫ (١٣٦٥ م) أُخذت الاسكندرية(٤ وكان الامير الكبير يَلبغا العمريّ(٥ هو المتكلم عن

١) لم نجد لكل هؤلاء ذكرًا في غير هذا التاريخ

٢) هو شهاب الدين ابن صبح كان نائبًا على صفد في ايَّام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ذكره ابن اياس في تاريخهِ (١: ٢١٠) ودعاهُ ابن صبيح

٣) التعميرة هي العِمارة من السفن والاسطول

٤) اخذها الفرنج ونهبوها فخرجت العساكر المصرية لمقاتلتهم ففرّوا وتركوها

٥) هو الامير يَلبُغا الخاصكيّ كان مملوكاً للملك الناصر حسن بن محمد

السلطان لحداثة سنّهِ فرسم للامير يدمُر(١ الخوارزميّ (14) بالتوجُّه الى بيروت ليعمّر من غابتها مراكب كثيرة حمَّالاتٍ وشواني(٢ للدخول الى قبرس. فحضر الى بيروت واحضر صنَّاعاً كثيرين من سائر الممالك فكانوا جمًّا غفيرًا وقيل انهُ لم يُعهد قطّ عمارةٌ مثلها عظماً وسرعةً وكثرةَ صنّاعٍ وقوَّةَ عزم. وعمَّر يبـدُمر بظاهر بيروت مسطبةً وعُرفت بهِ الى الآن. وكانت المراكب تُعمَل بها على بُعد من البحر. وحضر عسكر الشام متجرّدًا فانزلوهُ فيما بين البحر والمراكب حذرًا من مراكب صاحب قبرس لئلَّا يحضر العدوّ حين غفلةٍ فيحرقوا ما يُعمل من المراكب. وكان نائب الشام في ذلك الوقت أقتمُر عبد الغني(٣. ولمَّا توفي يلبغا العمري في ليلة الاحد العاشر من

ابن قلاوون تولَّى النيابة في ايَّامهِ وقتـل السلطانَ بعد ستّ سنين لملكهِ واقام من بعدهِ ابن اخيهِ السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمَّد سنة ٧٦٢ (١٣٦١م) ثم خلعهُ بعد سنتين واقام بعدهُ الملك الاشرف زين الدين ابا المعالي شعبان سنةَ ٧٦٤ (١٣٦٣ م) فبقي تحت حجر يَلبغا الى ان استبدَّ وقتل يَلبُغا سنة ٧٦٨ (١٣٦٧ م)

١) هو الامير سيف الدين يدمُر البـدريّ الخوارزميّ تولَّى نيابة طرابلس وحلب سنة ٧٤٧ (١٣٤٦م) ثم صار نائب الشام في ايَّام الدولة التركمانيَّة البحرية وفي سنة ٧٨٦ (١٣٨٤) حضر الى القـاهرة فاكرمهُ الملك الظاهر برقوق وجعلهُ فوق الامير سودون الفخري نائب السلطنة فاقام في القاهرة مدَّة ثمَّ رجع الى الشام توفي نحو سنة ٧٩٠ (١٣٨٨ م)

٢) الشواني جمع شُونة وهي السفينة الكبيرة المجهَّزة للحرب

٣) كان اشتهر في ايَّام الملك الناصر حسن فاعتقلهُ في الاسكندريَّة وافرج عنهُ الملك المنصور محمَّد سنة ٧٦٢ (١٣٦١م) وولَّاهُ الملك الاشرف نيـابة الشام سنة ٧٦٨. (١٣٦٧م) ثمَّ تولَّى نيابة السلطنة بالقاهرة مرتين سنة ٧٧٨ (١٣٧٦م) وسنة ٧٧٩ لا نعلم سنة وفاتهِ

ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة (١٣٦٧ م) أُبطلت العمارة المذكورة ولم ينزل من المراكب الى البحر سوى حمّالتين كبيرتين الواحدة باسم سُنقر والثانية باسم قراجا (١ وهما اميران من امراء ذلك الوقت. وكان الامير بيدمر قد استعجل القومَ على عمارتهما ليجهزهما فيحضرا صواري وقرايا ومقاذيف لباقي الشواني التي يعمّرونها. ثمَّ بقيتا بعد ذلك في ساحة بيروت حتى تلفتا. وكذلك تلفت بقية الشواني التي لم تنزل الى البحر تحت المسطبة المذكورة. وكان قد صُرف عليها مال كثير فذهب سدًى لم يُستفَد منه سوى الحديد بعد ما اخذت الناس منهُ شيئًا كثيرًا (٧ 14)

ومن الحوادث انَّهُ في العُشر الاوسط من جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢م) حضرت تعميرةُ الجنويَّة الى صيداء فاخذتها وجاءت الى بيروت وكانوا سمعوا في دمشق بخبر حضورها الى صيداء. فقال ملك الامراء بيدمر: صيداء ما بقينا نلحقها لكننا نروح لنلحق بيروت. فوافق حضور العساكر الشاميَّة الى بيروت حضورَ التعميرة فلم يتعرَّض اصحابها للنزول الى البرّ وتوجّهت التعميرة الى جهة قبرس والماغوصة (٢

ثمَّ رجع العسكر الى دمشق وتأخَّر منهُ شرذمةٌ وجماعة من الامراء

---

١) قد تسمَّى كثيرٌ من الامراء باسم سنقر فلا يظهر ايًّا منهم اراد المؤلف. امَّا قرَاجا فهو زين الدين قراجا بن دلغدار التركماني من الامراء البحريَّة. عصي السلطان فوجَّه الى محاربتهِ ارغون الكاملي نائب حلب فقبض عليهِ وارسلهُ الى القاهرة فقتَل بهِ السلطان الحاكم بامر الله سنة ٧٥٤ (١٣٥٣م)

٢) الماغوصة من مواني قبرس الكبيرة يدعوها الفرنج Famagouste

والمقدَّم عليهم جمال الدين الهداني (١ وكان مقدَّمَ الفٍ وكان عندهم عُشران(٢ البلاد والبقاع. ثم انَّ التعمية المذكورة آنفًا غابت اياماً قلائل وعاد الجنويُّون الى بيروت بعد ان تركوا في الماغوصة بعض مراكب صغار ومراكب نوافذ كسبوها من صيداء وفي طريقهم مع ما كانوا غنموهُ من صيداء. فحضر الى بيروت اثنا عشر غُرابًا كبيرًا ودخلوا المِيناء وكان فيها قرقورتان للبنادقة فاخذوهما وشحنوهما بالرجال وقدَّموهما حتَّى تمكَّن الرُّماة منهم بالجروخ(٣ والحجارة من صواريها على برج بيروت الصغير البعلبكيّ. ولم يكن في ذلك الوقت بُني البرج الكبير وكان مكانَهُ خرائب قديمة. فرمى الفرنج المسلمين بالجروخ والمدافع فتنحَّى المسلمون عن قبالة الفرنج واستتروا بالحيطان. فتقدَّمت شواني العدوّ الى البرّ ما بين البرج الصغير والخرائب (15^r) التي كانت مكان البرج الكبير ونصبوا صقائلهم من الشواني الى البرّ. ونزل منهم شرذمة كبيرة وعليهم مقدَّم من كبارهم وبيدهِ سَنجَق وصعدوا في الجونة الى جهة الخرائب لينصبوا السنجق على علوةٍ اشارةً منهم انَّهم ملكوا البلد. وشرعوا ينزلون من الشواني شرذمةً بعد أُخرى

١) لم نجد لهُ ذكرًا في غير هذا التاريخ

٢) العشران جمع عشير أُطلق في الشام على بعض القبائل التي سكنت في البقاع وجبال لبنان. قال المقريزي في كتاب السلوك: « عشير الشام فرقتان قيس ويمن لا يتَّفقان قطّ وفي كلّ قليل يثور بعضهم على بعض ». وجاء في سيرة محمَّد ابن قلاوون: ومن جملة رعايا المملكة الشاميَّة قوم جبليَّة يقال لهم العشير (راجع (Quatremère: *Hist. des Sultans Mamluks*, I, p. 189)

٣) الجروخ جمع جَرخ وهي لفظة فارسيَّة معناها الدولاب يراد بها آلة لرمي العدوّ بالحجارة والاسهم الناريَّة والنفط

فهجمت فرقةٌ من المسلمين مع الوالد(١ على الذين معهم السنجق فقهروهم ورموا السنجق. فلمَّا نظر الفرنج وقوع السنجق وقف عزمهم وقويت قلوب المسلمين فحمل منهم ذوو النخوات فانهزم من كان ترل من الفرنج وازدحموا على الصقائل فانقلب بهم بعضها فغرق منهم جماعة وقُتل جماعة وانكسروا شرَّ كسرة. واستشهد في ذلك اليوم من المسلمين نفرٌ وُجرح جماعة. وكانوا قد كشفوا التعميرة عشيّة يوم وصولها فاشعلوا النار ليلًا اشارةً لوصول الفرنج الى بيروت فوصلت النار بالتدريج في تلك الليلة الى دمشق فحضر بَيدَمُر نائب الشام الى بيروت عشيَّة يوم الواقعة وتبعتهُ عساكر الشام فكان وصولهم بعد فوات الامر ولم يلحقوا القتال ولم يروا غير الشواني في البحر على بُعدٍ وهي راجعة الى بلادهم

ومن الحوادث ما جرى في سنة ستّ وثمانمائة (١٤٠٤م) فكان متملّك قبرس (٢ قصد ان يسترجع الماغوصة من الجنويّة. فبلغ الجنويَّة ذلك فجهزوا عمارةً ليأخذوا منهُ قبرس فاصلح (١٥٧) الرَّوادسة (٣ بينهُ وبينهم على حكمٍ ان يقوم لهم بمائة وعشرين الف دينار في نظير كلفتهم على التعميرة. فتوجهت التعميرة المذكورة الى العلايا (٤ فلم يقدروا عليها

١) يريد المؤلفُ والدَهُ وسيأتي ذكره

٢) كان المتملك على قبرس حنَّا الثاني دي لوسينيان. ملك من سنة ١٣٩٨ الى ١٤٣٢

٣) يريد بالروادسة فرسان رودس

٤) العَلايا تخفيف العلائيَّة وهي مدينة حديثة على ساحل بحر الروم جنوبي انطاليا (Adalia) بناها علاء الدين احد ملوك السلجوقيين وبهِ عُرفت

فتوجَّهت منها الى طرابلس وبها الامير دَمَرْدَاش (١ نائبًا. فنزل الفرنج الى البرّ لكنَّ المسلمين تكاثروا عليهم ومنعوهم الوصول الى المدينة فرجعوا الى مراكبهم مخذولين بالخيبة

ثم حضروا الى بيروت في العشرين من محرَّم سنة ستّ وثمانمائة فلمّا رآهم اهل بيروت همُّوا بترحيل حريمهم واولادهم وامتعتهم فأُخليت بيروت من اهلها ولم يكن بها متولٍّ ولا عسكر مجرَّد لحروب سوى امراء الغرب ومعهم بعض جماعة. وكان قد توحَّش خاطرهم لظنهم انَّ في التعميرة خيولًا فخافوا من ذلك. فنزل الفرنج من الشواني الى البرّ في مكان يسمى الصنبطيّة غربي البلد في الرابعة من النهار وتملكوا البلد ونهبوهُ واحرقوا الدار التي لنا على البحر والسوق القريبة من الميناء. وصار المسلمون يتجمعون شيئًا فشيئًا وجعل اصحاب النخوات يهجمون على من تفرَّد منهم في الازقة فقتلوا منهم جماعةً واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر. وحضر المتولّي الامير يوسف التركماني الكسروانيّ (٢ فاقام الفرنج في بيروت الى قرب العصر ثمَّ رجعوا الى مراكبهم. وتتبَّـع المسلمون بقيَّتهم

وفي تلك الليلة توجَّهوا الى صيداء وتوجهنا قبالتهم في البرَّ فلما قربوا من صيداء على مسافة دون (16) ميـل من البلد نزلوا الى البرّ. وكان قد اجتمع على صيداء العُشران (٣ وغيرهم ولم تجسر الفرنج على الدخول الى

١) هو دَمَرْدَاش المحمَّدي وقيل المحمودي كان نائبًا على طرابلس من قبل الملوك الشراكسة المصريين ثمَّ نُقل الى نيابة حماة سنة ٨٠١ (١٣٩٩م) ثم ولي نيابة سلطنة حلب ثم استحضرهُ الملك الناصر فرج الى القاهرة مدَّةً ثم ارجعهُ الى حلب سنة ٨٠٧ (١٤٠٥م) وتقلَّب في عدَّة مراتب وتوفي نحو سنة ٨٢٠ (١٤١٧م)

٢) لم نطَّلع على شيء من اخباره ٣) راجع ص ٥٤

البلد. وكان ملك الامراء شيخ الخاصكيّ الملقَّب في سلطنتهِ بالملك المؤَيد (١ قد خرج من دمشق يدور في البقــاع وبعلبك فبلغهُ نزول الفرنج على طرابلس فتوجَّه اليها فلم يلحق الفرنج فحضر الى بيروت بعد فوات الامر. فلم يتلبَّث ببيروت ووصل الى صيداء بجماعةٍ قلائل والناس يلحقونهُ تباعاً. فادرك الفرنج في البرّ بظاهر صيداء وهجم عليهم ونحن معهُ حتّى كاد يختلط بهم ورموا علينــا بالجروخ(٢ وانجرح فرس الخاصكيّ في موضعين وجُرح بعض جماعة من المسلمين فرجعوا عنهم. ثمَّ طلع الفرنج الى مراكبهم وتأَخرت عن الشطّ الى الجزيرة بمِيناء صيداء. وبات ملك الامراء والمسلمون قبالتهم ورسم ملك الامراء على امراء الغرب ان يكونوا حرَّاساً على شاطئ البحر بالقرب منهُ. فاصبح المسلمون والفرنج على الجزيرة وملك الامراء ظنَّ انهم ينزلون ثانياً وتهيَّأَ لحربهم واحضر ابواباً كثيرة تكونُ عوضاً عن الزحَّافات والستائر للزحف عليهم عند نزولهم فلم ينزلوا

ثم بعد ذلك اليوم توجَّهوا راجعين الى جهــة بيروت قاصدين نهر الكلب ليملأُوا منــهُ ماء. وعيَّن ملكُ الامراء الاميرَ الكبير سودون الظريف (٣ ليتوجَّه قبالة التعميرة ومعــهُ امراء الغرب فوجدوا التعميرة

١) هو شيخ المحمودي الظاهري كان من اكبر الامراء في ايَّام السلطان فَرَج زين الدين ثم اتَّفق مع الخليفة المستعين بالله العبَّاسي على خلعهِ فخُلع وقُتل. ثمَّ تآمر شيخ المحمودي على المستعين فخلعهُ وتولَّى السلطنة وحدهُ وتلقب بالملك المؤيد. توفي سنة ٨٢٤ ﻫ (١٤٢١م)

٢) راجع حاشية ص ٥٤

٣) ذكرهُ ابن اياس في تاريخ مصر الموسوم بيدائع الزهور (الجزء الاوَّل ص ٣١٣) قال: ان السلطان الظاهر برقوق ارسـل لهُ تقليدًا بان يكون نائب الكرك سنة ٨٠١ (١٣٩٩م)

متوجّهة الى جهة بلادهم وكانت مؤلّفة من ستة واربعين مركبًا منها شواني كبار وصغار تبلغ سبعة وثلاثين شَوْنة والبقيّة مراكب (16^7^) . وقيل انهُ كان معهم سفن كبار فيها سبعمائة فرس فانفردت السفن المذكورة عنهم في الطريق الى جهة الاسكندريّة . ثمّ رجعوا من قرب الاسكندريّة الى بلادهم ولم ينزلوا الى برّ

ومن جملة ما نهبهُ الجنويّة المذكورون من بيروت حواصل بُهار لفرنج البنادقة بقيمة عشرة آلاف دينار . فبلغ البنادقة ذلك واقتضوا من الجنويّة نظيرها وازيد . وكان ملك الامراء قد رسم لمتولي بيروت ان يقطع رؤوس قتلى الفرنج وان يعمّر على ابدانهم مسطبةً على باب بيروت ويكتب عليها اسم ملك الامراء . وجهّز الرؤوس الى دمشق ثمّ الى مصر فحصل في انفس الذين قتلوا الفرنج غيرةٌ لنسبة المسطبة الى غيرهم فهدموها ليلًا واحرقوا ما كان بها من رِمم الفرنج

فصل في ذكر قواعد بيروت

لمَّا كان الفرنج مستولين على بيروت كانت جماعة المسلمين قليلة ولا جامع لهم فلمَّا قدَّر الله بنزعها من يد الفرنج استقرّت كنيستهم جامعًا وكانت تُعرَف عندهم بكنيسة مار يُحنَّا (١ وكان بها صور فطلاها

---

١) هذه الكنيسة عمرَّها الصليبيون في عهد بغدوين سنة ١١١٠م . ولا يزال مكتوبًا عند مدخل الباب الشرقيّ باليونانية : φωνὴ Κυρίου ἐπὶ τῶν ὑδάτων صوت الرب على المياه (سفر المزامير ٢٨ : ٣)

المسلمون بالطين وبقي الطين الى ايّام الجدّ (١ فبيّضهُ وازال عنهُ آثار تلك الصور . وكان المسلمون يجتمعون لصلاة الجمعة فلم يكمّلوا في بعض الاوقات اربعين شخصاً فيصلّي بهم الخطيب ظُهرًا (٢ وفي بعض الاوقات كانوا يبلغوا الاربعين بمن حضرهم من الضواحي فيصلي بهم جمعةً . ثم تكاثرت المسلمون بها جعلها اللهُ دار سلام وايمان الى (17^r) يوم الدين

ثمَّ بعد ذلك صارت بعض مراكب الفرنج تتردّد اليها بالمتاجر قليلاً قليلًا . وكانت مراكب البنادقة تحضر الى قبرس فيُرسل صاحب قبرس بضائعهم في شونتَيْن كانتا لهُ الى بيروت نقلةً بعد اخرى . وكان للقبّارسة كُنُس ببيروت وجماعة من التجّار يسكنون فيها (٣ ولهم خانات وحمّامات . ثمَّ بطل ذلك وتكاثر حضور مراكب طوائف الفرنج كانت ضرائب الواردات والصادرات تؤخذ ببيروت وهي تبلغ جملةً مستكثرة . وكان على باب الميناء دواوين وعامل وناظر ومُشارف (٤ وشادّ (٥ يولّيهم نائب دمشق . والمتوفّر عن المرتّبات يُحمل الى دمشق

---

١) يريد المؤلف جدَّهُ وسيأتي ذكرهُ

٢) في الاصل « طُهرًا » ونظنّ ان المراد هنا صلاة الظهر

٣) وكان لاهل البندقية في بيروت كنيسة كبيرة باسم القديس مرقس شفيع بلادهم (Rey: *Col. Franques en Syrie*, p. 522)

٤) ويقال المُشرف . وكانت رُتبة المُشرف من مناصب الدولة العليا في ايّام السلاطين المماليك.قال النويري فى ترجمة السلطان بيبرس : ومُشرف الممالك مرتبتهُ دون الوزارة

٥) الشادّ ويقال لهُ ايضاً المشدّ كان يتولى الدواوين وغيرها من الوظائف في ايّام الملوك الجراكسة وكان شادٌّ لقصر السلطان ولحوشهِ وكان شادٌّ للاسواق

وكانت تُعطى وظائف للعمّال فتحصل جامكيّة(١ المتولّي وجوامك للقاضي والخطيب ولار بعين قرّا غلام(٢ بخيول وعشرين مُشاة وطبلخانات(٣ وكوسات وانفرة وزُمر ومناظرية للبحر ورهجيّة(٤ وحَمام بطاقة(٥ مدرج الى دمشق وبريد. وقرّروا ايضاً اعلاماً نارية تصل الى دمشق في ليلة. فكانوا يشعلونها من ظاهر بيروت فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة. ومنهُ الى جبل بوارش(٦ ومنهُ الى جبل يبوس(٧ ومنهُ الى جبل الصالحية ومنهُ

والسلاح والمراكب وغير ذلك من الوظائف المفردة (راجع زبدة كشف الممالك للظاهري ص ١١٥)

١) مرّ ان الجامكية هي راتب العُمّال

٢) يريد السُود من الغلمان و « قرا » بالتركية الاسود

٣) كانت امارة الطبلخانات من الرتب العسكرية لضرب الآلات. قال خليل الظاهري في كتاب كشف الممالك: وكانت عدّة الطبلخانات التي تدقّ على باب السلطان تتألف من اربعين حملًا من الكُوسات (وهي الطبول الصغار) واربعة طبول دهول (كذا) واربعة زُمور (وهي الزمّارة) وعشرين نفير (والنفير البوق) وكانت عدّة امراء الطبلخانات اربعين اميرًا وبخدمة كل منهم اربعون مملوكًا

٤) في الاصل « زهجيّة » والصواب كما ذكرنا. وكانت الرهجيّات من آلات الموسيقى (راجع Notices et Extraits, XIII, 188)

٥) هو الحمام السيّار لنقل الاخبار

٦) هو احد فروع جبل لبنان (راجع ص ٢١٢ من كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان)

٧) قال ياقوت « هو جبل بالشام بوادي التّيم من دمشق » وسمّاهُ في كتاب اخبار الاعيان « بيرس »

الى قلعة دمشق فكانت النار للحوادث في الليل وحمام البطاق للحوادث في النهار والبريد للاخبار (17[٧])

ولما جدّد الامير يَنْدَمُر نائب الشام سور بيروت على جانب البحر جعل اوّلهُ من عند الحارة التي لنا على البحر واصلاً الى تحت البرج الصغير العتيق عمارة تَنكِز (١ نائب الشام المعروف ببرج البعلبكيّة وجعل بين هذا السور وبين البرج المذكور بابًا وركّب عليهِ سلسلةً تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسمّي باب السلسة

وقرّر يَنْدَمُر على السور المذكور جامكيّة من المرتّب المذكور وبقيت هذه المرتّبات مستمرّة الى عود السلطان الملك الظاهر برقوق(٢ الى السلطنة الثانية ونيابة أَلْطُنْبغا الجوبانيّ(٣ بالشام. فاستَقْطَع مُقبلَ الشمس(٤ متولّي بيروت المتوفرَ في الميناء وبعضَ المُرَتَّبات بامريّة الطبلخانات. واحال

١) هو الامير سيف الدين ابو سعيد تنكز احد مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولّاهُ الملك الناصر نيابة دمشق سنة ٧١٢ (١٣١٢م)ولهُ آثار جليلة وبنايات بدمشق والقدس وصفد. ثمَّ تغيَّر عليهِ السلطان عماد الدين اسماعيل ابن الناصر فقبض عليهِ وقتلهُ في الاسكندرية سنة ٧٤٤ (١٣٤٣م)

٢) تولّى الامر في مصر من سنة ٧٨٤ الى ٨٠١ ه (١٣٨٢ – ١٣٩٨م). وهو اوّل ملوك دولة المماليك الشراكسة

٣) كان احد مماليك السلطان الملك الظاهر برقوق ولّاهُ امارة نوبة النُّوَب وقلّدهُ نيابة الشام سنة ٧٨٩ (١٣٨٧م). وثب عليهِ مماليكهُ في دمشق فقتلوهُ سنة ٧٩٢ (١٣٩٠م)

٤) مرادهُ بالشمس شمسُ الدين مُقْبل ولم نحصل على شيء من اخباره ولعلَّهُ هو الامير مُقبل كاور الذي ولّاهُ الملك الظاهر برقوق مدّةً نيابة طرسوس سنة ٧٩٦ (١٣٩٤م)

بما عليهِ من البــدل والديون على الصادر من البهار وامر باخذهِ من دار العشر بدمشق وجعل المتكلّم عليهِ صدقة التريكيّ الترجمان(١ فاستقرَّ ذلك عادةً. ثمَّ تَلَقَّح على الولايات غيرُ اهلها فاستكثروا ذلك فجعلوا الصادر اثلاثاً لنائب الشام ولكاتب السرّ وناظر الجيش بمصر. وبقي لمعلوم الولاية الواردُ بباب الميناء وصادرٌ قليل وهو الخارج عن البُهار. ثم ساءت حال الولاة فأُعطي ثُلثا الوارد بباب الميناء لمباشِرَي الشام ومصر

وامّا ارباب الايزال(٢ فكانت جنود حَلْقة بعلبكّ تتجرَّد الى بيروت ابدالًا (18r) يبقى كلٌّ بدلٍ شهرًا. وفي سنة ست وسبعمائة (١٣٠٦م) اقرُّوا التركمانَ بكسروان وتداركوهم بثلثمائة فارس وجعلوا دَرَكهم (٣ من حدود انطلياس الى مغارة الاسد على حدود معـــاملة طرابلس(٤ فكانوا يمنعون من يستنكرونهُ ان يتعدَّى دَرْبند(٥ نهر الكلب الَّا بورقة طريق من

---

١) نظنُّ انهُ يريد الامير صلاح الدين صدقة من امراء الارسلانيين المتوفَّى سنــة ٧٨٩(١٣٨٧م)

٢) كذا في الاصل ونظنّ انَّ ذلك تصحيف والصواب « الايزاك » جمع يَزَك وهم الطلائع في مقابلة العدوّ ورؤساء العَسَس

٣) الدَّرك المحطّة يحرسها الجنود والقوم تعهد اليهم الحراسة - Quatremère, *Hist. des Mamluks* I, 1. p. 169)

٤) وجاء في كتاب اخبار الاعيــان (ص ٢١٢) ان الدرك جُعل من حدود انطلياس الى مغارة الاسد وجسر المعاملتين. (وقال) وكانت سكناهم في برج جونية

٥) الدربند كلمة تركيَّة معناهــا المَضيق مركَّبة من در (باب) وبند (حاجز)

المتولّي او من امراء الغرب كما يفعلون بقُطْية (١ على درب مصر. وجعلوا التركمان المذكورين ثلاثة ابدال كلّ بدل يقيم في الدرك شهرًا. وموجب استقرارهم بكسروان انهُ لمّا فُتح كسروان كما ذكرنا اقطعوهُ لاناس لم يكفوه فانزلوا فيهِ التركمان لكثرتهم ولحفظ الموانى والدروب

وكان الملك المظفَّر تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن ايُّوب (٢ صاحب حماة قد اوقف وقفًا على جماعة خيَّالةٍ ورجَّالة برسم الجهاد في سبيل الله تعالى واشرط عليهم بان يكونوا في اقرب الموانى الى دمشق. فلمَّا استوطن المسلمون بيروت بعد الفتوح الاخير استقرّ اقامة المجاهدين المذكورين بها لقربها من دمشق. وفي ايَّام السلطان الملك الظاهر برقوق عُمّر البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج من ابراج القلعة الخربة فقرّروا بهِ المجاهدين المذكورين

ذكر اوَّل امور بني الغرب في بيروت

امَّا امراء بني الغرب فاستقرّ دركهم على بيروت سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٤م) وهي ثالث سنة الفتوح [الاخير] وذلك في ايّام الامير زين الدين صالح بن علي بن بُحتُر وايَّام الامير سعد الدين خضر بن (18[٧]) محمَّد واخيهِ جمال الدين حجّى بن محمَّد واوائل ايّام ولدهِ الامير ناصر

١) القُطْية قرية في طريق مصر في وسط الرمل وهي المجاز بين الشام ومصر (راجع ابن بطوطة الجزء الاول ص ١١٢ (ed. Sanguinetti)

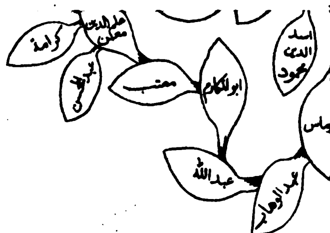
٢) كان ابنَ اخي صلاح الدين ايوب تولى حماة من سنة ٥٧٤ (١١٧٨م) الى سنة ٥٨٧ (١١٩١م)

الدين حسين بن خضر الآتي ذكرهم ان شاء الله تعالى. وفي ايام ناصر الدين حسين استقرَّ امراء الغرب تسعين فارساً وانقسموا ثلاثة ابدال في كل شهر بدلٌ يقيم منهم ببيروت ثلاثون فارساً وفي انقضاء الشهر يحضر ثلاثون بدلهم وفي ذلك يقول بعض شعراء زمانهم:

ايا أبنَ اميرِ الغرب شرقاً ومغرباً ومَن كلُّ عُرْفٍ غيرَ عرفهمِ نُكرُ
بإِحْسانك المشهورِ بيروتُ بلدةٌ على الساحل المعمور صار لها ذكرُ
تبسَّمَ عُجْباً ثغرُها وترنَّحتْ معاطفُها تيهاً وجلَّلها البِشرُ
وكان عليها الكفرُ والشركُ دائماً فمذ حلّها مولايَ عاد لها الفخرُ
وعاودها أُنسٌ بقربِ رِكابِكم ولولاكمُ ما افترَّ يوماً لها ثغرُ
فعِطفُ غصونِ الدوحِ انَّى حللتمُ تميسُ وثغرُ الروض بالنَّوْر يفترُّ
بكم قرَّ عيناً للغريب وانَّما حُسين بنُ خضرٍ ظلُّهُ فوقَهُ سترُ
هو الناصر المعروف بالجود والتقى لهُ الفضلُ والاحسانُ والعَطفُ والبِرُّ

تقسيم المؤلف لتاريخ امراء بني الغرب

ثمَّ بعد هذا نذكر السَّلَف فاوَّلهم بُحتر. ثمَّ ولدُهُ كرامة. ثمَّ حجّي بن كرامة. ثمَّ محمَّد بن حجّي. ثمَّ نجعلهم طبقاتٍ. في الطبقة الاولى نذكر جمال الدين حجّي بن محمَّد ومعاصريهِ. وفي الطبقة الثانية ناصر الدين الحسين بن الخضر ومعاصريهِ. وفي الطبقة الثالثة ولدهُ زين الدين وبنيهِ ومعاصريهم. ثمَّ بعدهم كلٌّ واحد بحسبهِ (19r)





ريخ صالح بن يحيى

ذكر بحتر جدّ امراء بني الغرب ونسبهِ *

هو الامير ناهض الدولة ابو العشائر بُحتر بن شرف الدولة علي بن الحسين ابن ابي اسحق ابرهيم بن ابي عبدالله محمَّد بن علي بن احمد بن عيسى بن جُمَيْهر (١ بن تنوخ بن قحطان بن عوف بن كِندة بن جُندب بن مَذْحِج ابن سعد بن لُحَيّ بن تميم بن نعمان بن المنذر بن ماء السماء . وماءُ السماء اسم امّهِ لُقّبت بذلك لجمالها واسمها ماوية بنت عمرو فشُهِر المنذر المذكور باسم امّهِ . هذا ما وجدناهُ متداولًا بين الخلف عن السَّلَف بخطّ ناصر الدين الُحسين بن سعد الدين خضر مسندًا فيهِ على الصحَّة .

قلتُ فاردتُ ان اوصل النَّسب الى نهايتهِ معتمدًا فيهِ على ما ذكرهُ اصحاب التواريخ وبذلتُ الجهدَ في المقابلة بين اقوالهم فوجدتُ اصحّ الاعتقاد في ذلك على احمد بن عبد ربّهِ (٢ وعلى الملك المؤيد صاحب حماة (٣ وهما قد طابقا كثيرًا من المؤرخين فاخذت عنهما

انّ المنذر بن ماء السماء المذكور الذي انتهى اثبات النسب اليهِ كما ذكرنا هو المنذر (٤ بن امرئ القيس بن النعمان الاعور بن امرئ القيس المحرّق ابن عمرو بن امرئ القيس الاول (٥ بن عمرو بن عديّ بن ربيعة بن

* راجع في آخر الكتاب جداول نسب التنوخيين

١) وجاء في تاريخ الاعيان (ص ١٢٧) : جمهر

٢) راجع الجزء الثاني من العقد الفريد

٣) راجع تاريخ ابي الفداء الجزء الاوّل (ص ١٠٦)

٤) وجاء في كتاب الاشتقاق لابن الدريد ان المنذر هذا هو ابن المنذر ابن ماء السماء (ص ٢٢٦)

٥) ويسمّى ايضًا امرء القيس البدء

الحارث بن مالك (١ بن غنم (٢ (19^٧) بن غمارة بن لخم. ولخم لقب واسمهُ مالك (٣ بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زيد (٤ بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وهو عبد شمس بن يشجب ابن يعرب بن قحطان (٥ بن عابر وهو هود النبيّ عليهِ السلام (٦ وعابَر بن شالَح بن ارفخشيد ابن سام بن نوح عليهِ السلام بن لامك بن متوشالح بن احنوخ (٧ ويقال هرمس وهو ادريس عليهِ السلام. واحنوخ بن يزيد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهِ السلام

---

١) وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٢٦) انَّ مالكاً هذا هو ابن السعود (والصواب مسعود) بن الحارث بن عمرو بن ربيعة بن نصر بن عدي

٢) والصواب «مالك بن عَمَم» (راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد ص: ٢٢٦)

٣) والصواب ان مالكاً هذا غير لخم وانما هو ابن اخي لخم

٤) ويروى: يزيد

٥) دعاهُ في سفر التكوين (١٠: ٢٥): يُقطان. ودعا ابناءهُ موداد (مضض) وشالَف وحضرموت ويارح وتسعةً آخرين لم يُذكر بينهم يعربُ. ونظنُّ ان يعرب من سلالة قحطان وانَّ بينهُ وبين قحطان قروناً كثيرة

٦) هذا زعمٌ للعرب لم يمكنّا تحقُّقهُ.

٧) وفي التوراة (فصل التكوين ٤: ١٨) ان متوشائيل هو ابن محويائيل ابن عيراد بن اخنوخ (او احنوخ). وقول المؤلف انَّهُ هو ادريس وهرمس من مزاعم العرب الغير البيّنة

نسخة منشور باسم بحتر المذكور

العلامة فوق البسملة الشريفة وهي طغار (٥ حقّ الاتابكيّ الظَّهيري (٦. ومضمونهُ:

رسمَ اعلاهُ الله وامضاهُ كَتْب هذا المثـال الشريف للامير الاجلّ ناهض الدولة ابي العشائر بحتر بن علي بن ابرهيم بن ابي عبدالله ادام اللهُ تأييدَهُ وتسديدَهُ وتمهيدَهُ باجرائهِ على رسومهِ المستقرّة وقاعدتهِ المستقرّة من الضياع المنسوبة الى رسمهِ المعروفة باسم والدهِ واسمهِ وان يتناول ما يخصّ الخاصّ السعيد منها بحيث يصرفهُ في مصالحهِ ويتقوّى بهِ على الخدمة ويجري على معهودهِ من الامارة بالغرب من جبل بيروت وهو معروفٌ منعوت لِمَا عُرِف من نهضتهِ وكفايتـهِ وحسن سيرتهِ وامانتهِ. والواجب على الرؤساء والفلّاحين اعزّهم الله تعالى سماع كلمتهِ والدخول تحت طاعتهِ فيما (20r)

٥) الطغار كلمة اعجميَّة معناها العلامة و يقال لها في ايَّامنا الطغراء

٦) انتساباً الى ظَهير الدين اوَّل اتابكة دمشق واسمهُ طغتكين و يدعى سيف الاسلام كان اوَّلًا اتابك لامير دمشق دقاق بن تُتُش بن الب ارسلان السلجوقي ثمَّ تولَّى دمشق بعد موتهِ سنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥ م) وتوفي سنة ٥٢٢ (١١٢٨م) فخلفهُ ابنهُ تاج الملك بوري فمـات سنة ٥٢٦ (١١٣٢م). ثم خلفهُ اخوهُ شمس الملك اسمعيل الى سنة ٥٢٩ (١١٣٥م). ثم تولَّى دمشق اخوهما شهاب الدين محمود بعد وفاة اسمعيل سنة ٥٣٣ (١١٣٩م) فقُتل بعد ذلك بقليـل فخلفهُ اخوهُ محمَّد جمال الدين فتوفي سنة ٥٣٤ (١١٤٠م) فخلفهُ ابنهُ آبق مجـير الدين وكان حديث السنّ فتولى التـدبيرَ باسمهِ معين الدين اتر. و بقي الامر في يد مجير الدين آبق الى سنة ٥٤٩ (١١٥٦م) فعزلهُ نور الدين. وفي ايَّامهِ حـاصر الفرنج دمشقَ فلم يقووا عليها لما كان بينهم من الخلاف. ورحل آبق الى بغداد و بنى لهُ بها قصرًا وبها توفي

يلتمسهُ منهم من استخراج الحقوق السلطانية وموافقته على ما يطرأ من الخدَم الديوانية. وليحذروا من الخلاف فيعود عليهم الحيف والاجحاف. وسبيلهُ ادام الله تاييدَهُ الذبّ عنهم وايصال شكاويهم الى النوّاب والمتصرفين والاصحاب بحيث يجرون على عادتهم من غير تحديدٍ رسماً ولا حادث لحيفٍ اسماً. والواجب على الوُلاة والنوّاب المستجدّين والاصحاب اجراء الامير المقدَّم ذكرُهُ على ما رسمناهُ. والمعتمد على العلامة الكريمة في اعلاهُ ان شاء الله. كُتب في العشر الاوسط من محرَّم سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م)

وهذا التاريخ في ايّام الامير مجير الدين ابي سعيد آبق بن جمال الدين محمّد بن تاج المُلك بوري بن ظهير الدين طغتكين وهو اتابك الملك دُقاق بن تُتُش (١ وولاية آبق المذكور بعد وفاة والدهِ ثامن شعبان سنة اربع وثلاثين وخمسمائة (١١٣٩ م) وكانوا اصحاب دمشق. واستمرّ المذكور بها الى ان اخذها منهُ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في ثالث صفر سنة تسع واربعين وخمسمائة (١١٥٦ م) وعوّضهُ عنها حمص ثمّ اخذها منهُ وعوّضهُ عنها بالس (٢. ثمّ توجه آبق الى بغداد. ذكرتُ آبق للعلم بتاريخ المنشور وذكرتُ الملك العادل توطئةً لما يأتي من ذكر مناشير السَّلَف ان شاء الله لانّ اصحاب دمشق هم الحكّام على بيروت (20ᵛ) واعمالها والمدينة كانت بيد الفرنج

١) راجع الحاشية السابقة
٢) هي مدينة صغيرة في الشام بين الرَّقَّة وحلب

ولم اقف الّا على القليل من اخبار بحتر (١. واماً اخبار من قبلَهُ فجدُّ والد بحتر وهو ابو اسحق ابرهيم بن ابي عبد الله كان اميرًا بالبيرة (٢ سنة ثماني عشرة واربعمائة (١٠٢٧ م). واماً النسبة الى آل عبد الله فليست هي الى عبد الله هذا وانّما هي نسبة قديمة تتقدَّم على سنة ثماني عشرة واربعمائة بسنين كثيرة. ومن الدليل انَّ الآل هي الفروع التي تنتسبُ الى اصل واحد وعبدالله هذا لم يكن لهُ في ذلك الوقت فروع كما انَّ آل

١) وقد جاء في كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٦٦٥ – ٦٦٧) تفاصيل اخر عن ترجمة الامير بُحتر لا نعلم من اين اخذها الكاتب. وانّما نتعجَّب كيف جهلها المؤلف مع تنقيبهِ عن اخبار اجدادهِ. وهاك ملخَّص ما ورد في الكتاب المذكور قال: انَّ الفرنج في سنة ١١١٠م (٥٠٣ ه) انقسموا الى فريقين احدهما في جنوب بيروت والآخر في شمالها فدهموا الغرب وضبطوهُ وقتلوا كثيرًا من الامراء لم ينجُ منهم سوى الامير بحتر بن عضد الدولة عليّ وكانت أختهُ امهُ في عرامون حتَّى انجلت الفرنج. وكان صاحب صيداء الامير مجد الدولة صالحَ الفرنجَ على الامان فسار الى الغرب واخذ بترميمهِ واستقلَّ بالامارة ولّاهُ عليها طغتكين صاحب دمشق سنة ١١٢٦ م. ثم قُتل مجد الدولة فخلفهُ ابو المشائر بحتر بن عضد الدولة فنفذ حكمهُ وعظم امرهُ. وكتب اليهِ سنة ٥٤٢ ه (١١٤٧ م) مجير الدين آبق (كما ذكر ابن صالح). وفي سنة ٥٤٦ ه (١١٥١م) كانت واقعة رأس التينة عند نهر الغدير بين الامير ابي المشائر والفرنج قُتِل فيها كثير من الفرنج وفرَّ الباقي الى بيروت وتحصَّنوا فيها. ومن ثمَّ ترادفت غزواتهُ عليهم حتَّى بلغ الشهرة العظيمة. وكانت وفاتهُ سنة ٥٥٢ ه (١١٥٧ م). انتهى تلخيص ما ورد في كتاب تاريخ الاعيان

٢) هي مدينة على الفرات في شرقي شمالي حلب تبعد عنها نحو عشرين ميلًا كان يدعوها الاقدمون زُغما (Zeugma) اي المَعْبر وتدعى اليوم برهجك وقيل هي كركميش القديمة

سليمان(١ يزعمون ان سليمان من ولد خالد بن الوليد رضي الله عنـهُ وهو متقـدّم على هذا التاريخ بمئين من السنين وان يكن للسلف شركاء في النسب على بُعـد فالسَّلَف اصول بالكبريَّة والامريَّة وما عداهم فروع. والشرفُ في الاصل لا في الفرع

وقد وجدتُ في بعض انساب البلاد انَّ الامراء بعرامون(٢ من الحمّيرا (٣ من البقاع. فان كانت هذه النسبة صحيحة فهم الامراء من بني ابي الجيش(٤ المعروفين ببني سعدان بعرامون. وغيرُهم من الامراء بعرامون هم من ولد زين الدين بن عليّ بن بحتر الآتي ذكرهُ ان شاء الله. وقد جعل بعض الحمقى هذه النسبة مَشَطًّا في الكلام الى انَّ السلف ليس منهم احد من ولد جُمَيهر. فهذا غلط مفرط وحسدٌ أَضلَّهُ عن الصواب لانَّ دلالة النسبة واضحة يتوارثُها في البيت اصاغر عن اكابر ويتداولها خلَف عن سلَف ولو لم يكن لهم دليـل الَّا مناشيرهم لكفاهم ذلك لانَّ (21r) مناشيرهم باقية باسماء السلف من قديم الزمان متسلسلة متَّصلة باسمٍ بعد اسمٍ الى منشور بحتر المذكور لم تنقطع وهي واضحة البيان خليَّة من الإشكال لم يدخل فيها ريب ولا وَهم(٥. ومنشور بُحتر المذكور تاريخهُ

---

١) يريد حيًّا من احياء المسلمين لم نطَّلع على اخبارهم

٢) عرامون المذكورة في هذا التأليف احدى القرى الكبيرة في مقـاطعة الغرب الاسفل ومعناها بالسريانيَّة التلَّة . وفي مقاطعة كسروان قرية اخرى بهذا الاسم

٣) هم حيٌّ كبيرٌ من العرب كانوا يسكنون في بقاع العزيز

٤) اوَّل من تلقَّب بهذا الاسم الامير صالح بن عرف الدولة عليّ الملقَّب اَرسلان بن بحتر احرز شهرة كبيرة وتلقَّب بابي الجيش زين الدين . وتزوَّج بجميلة ابنة الامير نجم الدين محمَّد بن حجي بن كرامة. توفي سنة ١٢٩٥ م ودفن في عرامون

٥) حاشية المؤلف : « وجميع ما نذكرهُ من المناشير

سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م) وبين سنة ثماني عشرة واربعمائة مائةٌ واربع وعشرون سنة. فليس هذه مدّةٌ يجهل فيها بحتر نسبهُ ولا هي مدّة تبعد على اربع دول اعني ايّام بحتر وايّام والدهِ عليّ وايّام جدّهِ حسين وايّام جدّ ابيهِ وهو ابو اسحق ابرهيم بن ابي عبدالله الذي ذُكر في منشور بحتر وكان مذكورًا في سنة ثماني عشرة واربعمائة. فهذا ردٌّ على الجاهل الذي ذكرناهُ وقد قيل:

ما ضرَّ نهرَ الفراتِ يومًا   أن ولغ بعضَ الكلاب فيهِ

ذكر كرامة بن بحتر *

ثمَّ بعد بحتر نذكر ولدهُ زهر الدولة(١ ابا العزّ كرامة بن بحتر بن عليّ. قيل ان كرامة المذكور هو الذي سكن حصن سرحمُور(٢ وربما كان سكناهُ فيهِ عندما قويت شوكة المسلمين باستيلاء الملك العادل نور الدين على دمشق. وربّما كان كرامة قد اهمل الفرنج وتمسَّك بالملك العادل. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين الاوراق القديمة مرسومًا مطلقًا من الملك العادل نور الدين. علامتهُ « الحمدُ لله » في رأس المرسوم فوق البسملة. من مضمونهِ (٧ 2 I): انَّ الامير النجيب زهر الدولة مُفيد الملك امير

* انظر جدول نسبهِ في آخر الكتاب

والمكاتبات والاوراق فهي عندنا محفوظة الى هذا اليوم »

١) حاشية للمؤلف: ووجدتُ لقب المذكور في المكاتيب القديمة شمس الدولة كرامة وقيل شمس الدين

٢) سرّحمور قرية قريبة من عرامون في مقاطعة الغرب الاسفل

الغرب كرامة ادام الله تعالى عزَّهُ وسلامهُ مملوكنا وصاحبنا ومَن اطاعَهُ فقد اطاعنا ومَن عاونهُ في جهاد الكفَّار فقد عمل برضانا وكان مشكورًا منا . ومن خالفهُ في هذا الامر وعصاهُ فقــد خالف امرنا واستحقّ المقابلة والسياسة على العصيان . تاريخهُ سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة (١١٥٧ م)

واما منشورهُ فهو من الملك العادل نور الدين المذكور . وعلامتهُ « الحمد لله » فوق البسملة مثل العلامة الاولى . ومن مضمونهِ : لمَّا جاهر الامير زهر الدولة شجاع المُلك جمالُ الامر ابو العزّ كرامة بن بحتر التنوخي ادام الله عزَّهُ الى بابنا زيدَ علاهُ ولاذ بالخدمة وتقرَّب اليها وقصد الدولة العادلة والتمس الخدمة بين يديهـا تُقبّل سعيُهُ وأُجيب الى مُلتَمَسِهِ ورُسم لهُ إنشاء هذا المنشور مُودَعًا ذكر ما تأَثّل لهُ من الإرعاء والاحترام والاعزاز والاكرام يوضح ذكر(١ من ديوان الاستيفاء المحروس حماهُ الله . والعدَّة اربعون فارسًا وما امكنهُ وقت المهمَّات الشريفة . وجهاتُهُ غالب قرى الغرب . ومن غير الغرب القُنَيْطرة (٢ من البقاع ظهر حمار (٣ من وادي التيم ثعلبايا (٤ من البقاع ايضًا بَرجة والمعاصير (٥ ومنها المعاصر الفوقانية والدامور (٦ وشارون

١) هكذا ورد في الاصل ولم نتبيَّن مراد الكاتب

٢) هي ضيعة صغيرة من ارض البقاع اهلها من المتاولة

٣) لم نجد لها ذكرًا

٤) وهي قرية صغيرة بقرب تعنايل والشتورة اهلها من العرب

٥) برجة قرية مشهورة بزيتها من مقاطعة الخرُّوب . والمعاصير او البعاصير قرية من الخرُّوب بقرب الشحيم

٦) الدامور يريد بهِ النهر الواقع في جنوبي بيروت في نصف الطريق بينها وبين صيداء وما جاورهُ من المزدَرعات

ومجدلبَعْنا وكفرعَمَّيه (١ (22r) والتاريخ سابع شهر رجب سنة ست وخمسين وخمسمائة (١١٦٦ م)

وقيل انّ هذا المنشور بخطّ العماد الاصبهاني الكاتب (٢ وهي كتابة عليها الضعف (٣. والملك العادل زاد في إقطاع كرامة المذكور وهذا ممّا يدلّ على ميل كرامة اليهِ. وكان الملك العادل محاربًا للفرنج فلا عجب من تحصُّن كرامة في حصن سرحمور. وامّا اخوهُ شرف الدولة عليّ بنُ بحتر فهو والد زين الدين بن عليّ ومن ذُرّيتهِ الامراء بعرامون وسيأتي ذكرهم فيما بعد ان شاء الله



زين الدين بن عليّ

كان معاصرًا لجمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ولدي نجم الدين محمَّد بن جمال الدين حجّي بن كرامة المذكور فكان في زمانهما وهو ابن عمّ جدّهما (٤ (راجع جداول نسب بني بحتر في آخر الكتاب)

١) شارون ومَجْدَلْبَعْنا وكفرعَمَّيه ثلاث قرى معروفة من مقاطعة الجرد

٢) كان كاتبًا لنور الدين ولصلاح الدين الايوبي (راجع ترجمتهُ في وفيات الاعيان لابن خلّكان الجزء الثاني ص ٩٧ في حرف الميم) توفي سنة ٥٩٧ (١٢٠١ م)

٣) لعلَّهُ يريد ان انشاء هذا المنشور ركيك

٤) وفي هامش الكتاب ما حرفيتهُ: «صحيح كان ذلك». ثم اردف قولهُ بما نصّهُ: «ذكر بيان وايضاح لكيفيَّة مُعاصَرة زين الدين ولد شرف الدولة عليّ المذكور: وجدتُ كتاب مُشترى لحجّي بن كرامة بنصف فدَّان من رمطون

وربّما كان مولد زين الدين بن علي في اواخر ايّام والده علي المذكور حتى طابق زمانهُ زمانَيْ جمال الدين وسعد الدين المذكورَين على ما سنوردهُ فيما بعد ان شاء الله . وربّما كان عليّ المذكور اوّل من سكن منهم بعرامون

ذكر جمال الدين حجّي بن كرامة بن بُحتر

قيل انَّ حجّي هذا كان اصغر الاربعة الاخوة اولاد كرامة بن بُحتر وانَّ صاحب بيروت هادنهم واستدرجهم الى ان اجتمع الثلاثة الكبار معهُ في الصيد . واماً حجّي فكان طفلًا صغيرًا منقطعًا عند امّهِ في الحصن وتكرَّر اجتماعهم معهُ في الصيد (22[٧]) وهو يعطيهم ويُحسن اليهم وكان معهُ في المرَّة ولدهُ فدعاهم الى عرسهِ . فلمَّا كان وقت العرس ترل

ابتاعهُ من بحتر بن علي ابن عمهِ . وتاريخ المكتوب المذكور سنة اثنتين وستمائة (١٢٠٦ م) فدلَّ على انَّ بحتر البائع كان في هذا التاريخ رجلًا كاملًا يبيع ويشتري . واماً زين الدين بن علي اخو البائع فكانت وفاتهُ سنة خمس وتسعين وستمائة (١٢٩٦ م) . ولعلَّ تاريخ المكتوب المذكور كان قبل مولد زين الدين بن علي فدلَّ ذلك على انَّ زين الدين في اواخر ايَّام ابيهِ شرف الدولة علي وانَّ ايَّام زين الدين تأخَّرت الى ايَّام جمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين . ونسخة كتاب المشترى المذكور ملصوقة تجاه هذه الورقة » (كذا في الحاشية ولعلَّ هذه النسخة وقعت من الكتاب فاننا لم نجدها فيهِ)

« والدليل على ان زين الدين بن علي متأخر من ايَّام اخوتهِ وابيهِ انهُ ولي عند جمال الدين بن حجّي واخيهِ سعد الدين ولدي محمَّد بن محمَّد (كذا) بن حجّي بن كرامة وتزوّج اختهما وقيل انهما ربّياهُ وهو صغير وعلى هذا فيكون اصغر منهما سنًّا »

الثلاثة الى بيروت فانزلهم صاحبها في بستان ظاهر البلد واعتذر اليهم لإيوائهم خارج البلد لكثرة ما اجتمع فيهِ من طوائف الفرنج لوليمة العرس وزاد في اكرامهم. ولمَّا دخل الليل سألهم الحضور الى مجلس خاصّ قد هُيّئ لهم وللملوك الفرنج فدخل الثلاثة الى القلعة ومعهم نفرٌ قليل فكان آخر العهد بهم. وركب صاحب بيروت بمن عندهُ من جموع الفرنج في صَبيحة تلك الليلة وطلعوا الى الحصن وكان خاليًا من الرجال. فهرب من كان بهِ ومن جملتهم امُّ حجّي وولدُها حجي فنهبت الفرنجُ الحصنَ وهدموهُ وألقوا حجارتهُ في الوادي ولم يبقوا لهُ اثرًا واحرقوا القرى واسروا من تخلَّف عن الهرب وكان الاكثر قد هربوا واستتروا في الشَّعْراءات والاودية. وقيل انَّ هذه الكائنة وقعت في اواخر دولة الملك العادل نور الدين بن زنكي والملك العادل توفّي في الحادي عشر من شوَّال سنة سبع وستين وخمسمائة (١١٧٢ م) (١

فلمَّا حضر السلطان الملك الناصر بن ايُّوب لفتح بيروت في الحادي عشر من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لاقاهُ حجي الى قرية خَلْدا (٢. فلمَّا فتح السلطان بيروت لمس بيدهِ رأس حجي وقال لهُ: ها قد اخذنا ثارك من الفرنج فطيّب قلبك. وانت مُستقرّ مكان ابيك واخوتك وكتب لهُ منشورًا علامتهُ «الحمد لله وبهِ توفيقي» تحت سطرٍ بعد البَسْمَلة. ومن مضمونهِ بعد الترجمة: «باجراء الامير جمال الدولة (23^r)

١) لا نعلم ما من الصحَّة في خبر هذا الامر الشنيع فانّنا لم نجد لهُ ذكرًا في كتب الفرنجيين التي لدينا مع كثرة تفاصيلها. وقد رواه ابن سباط

٢) وهي اليوم تعرف بخان خلدة موقعها جنوبيّ بيروت كانت قديمًا بلدة صغيرة ولا تزال فيها آثار قديمة

حجّي بن كرامة على ما بيدهِ من جبل بيروت من اعمال الدامور لمّا وصل الى الخدمة السلطانية . وتحقّقنا ما جرى عليهِ من جانب الكفّار خذلهم الله وهو ملكهُ وارثهُ عن ابيهِ وجدّهِ وهي : سرّحمور وعين كسور وَرَمْطون والدُّوَيْر(١ وطردلا وعين درافيل (٢ وفرار(٣ وذلك حبساً منّاً عليهِ واحتساباً اليهِ بمناصحتهِ وخدمته ونهضته في العدوّ المثاغر لهُ » . والتاريخ: « كُتِب بارض بيروت في العَشر الآخر من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة » (١١٨٧ م)

ووجدتُ بين المناشير القديمة منشور لحجّي إردتُ ان أُثبت ذكرهُ هاهنا ليتّضح انَّ حجي المذكور لحق اواخر دولة الملك العادل نور الدين . وهو منشور من الملك العادل المذكور باسم حجي ويخوّلهُ جَبعة فقط وانَّها من أقطاع حجي بن كرامة امير الغرب واقاربهِ وجعلها باسم ثمانية نفر ولعلّهم كانوا جُندَهُ . تاريخهُ في آخر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة (١١٧٠ م) . وربَّما كان قد كُتب هذا المنشور في صِغَر حجي زيادةً على ما بايدي اخويهِ . وسمعتُ ممّن لهُ خبرةٌ باخبار السَّلَف انَّهُ لمَّا غدرت الفرنج باولاد كرامة كان عُمر حجي بن كرامة سبع سنين فعلى هذا كان عمرهُ في حضور الناصر بن ايُّوب نيّفاً عن عشرين سنة(٤

١) عين كسور من الغرب الاسفل . امَّا الدوير فلعلَّهُ دوير الرمَّان في الجرد ولم نعرف موقع رَمْطون

٢) طردلا وعين درافيل من الشحَّار . وطردلا اليوم خراب تدعى مزرعة طردلا . بقرب عبَيْه

٣) لم نجد لها ذكرًا . ولعلَّها الفوَّارة في الغرب الاسفل

٤) حاشية وردت في آخر الكتاب بقلم كاتبهِ : « في هذا القول نظرٌ ويمكن

وقد وقفتُ على مكاتبة من السلطان الملك الافضل نور الدين علي ابن الناصر بن ايوب (١ وهو جواب كتابٍ ارسلهُ حجي المذكور اليهِ. مضمونهُ ترغيب واستعطاف (23ᵛ) وحثّ على الجهاد وانَّهُ قد أَقطعهُ الغربَ جميعَهُ وأن يخلّف اقاربهُ على الطاعة السلطانية تاريخهُ سادس عشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (١١٩٧) (٢ وكان الافضل صاحب دمشق وفي ايّامه ارسل جيشاً للغارة على الفرنج ببيروت

ووقفتُ ايضاً على منشور لحجي المذكور من الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك العادل (٣ الى بكر بن ايوب (٤ العلامة « الحمد لله وبهِ توفيقي » ومن مضمونه بعد الترجمة بإجراء المذكور على ما بيده من جبل

ان يكون لكرامة ولدان اسم الاوّل جمال الدين حجّي وكانت لهُ جمعة بمنشور الملك العادل ثم توفي ورُزق ولدًا ثانيًا سمّاهُ باسمِ حجّي فيكون هو الذي لاقى الملك الناصر بن ايوب الى حلدا لمّا قدم بيروت والله اعلم »

١) الملك الافضل هو ابن صلاح الدين الايوبي تولى الامر في دمشق سنة ٥٨٢ (١١٨٦م) الى سنة ٥٩٢ (١١٩٦م) فانتزعها منهُ الملك العادل عمّهُ واعطاهُ بدلها صرخد ثم دخل الديارَ المصرية فولّاهُ الملك المنصور ابن الملك العزيز رتبة الاتابكيّة. ولّما قصد الملك العادل عمّهُ الديارَ المصريّة واخذها ولّى الملكَ الافضل سُميساطَ فمات بها سنة ٦٢٢ ﻫ (١٢٢٥ م)

٢) في هذا التاريخ نظرٌ لانّ الملك الافضل كان خُلع من سلطنة دمشق قبل ذلك بسنة كما مرَّ في الحاشية السابقة

٣) هو اخو الملك الافضل وابن صلاح الدين تولى الديار المصرية عن ابيهِ ثم استقلّ فيها بعد وفاتهِ سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م) توفي الملك العزيز سنة ٥٩٥ (١١٩٨م)

٤) نظنّهُ احدَ عمال الملك العزيز الايوبي ولم نطّلع على شيء من اخباره

بيروت من اعمال الدامور على عادته المستقرَّة في ايام الملك الناصر بن أيوب. وتاريخ منشور الملك العزيز في الخامس والعشرين من جمادي الاولى سنة تسع عشرة وستمائة (١٢٢٢ م)

ووقفتُ ايضاً على كتاب لحجي من السلطان بالعلامة المذكورة من مضمونه المختصر انهُ جهّز الى الفرنج بان يُجْروا حجي واصحابهُ على عادتهم ورسومهم واطلاقاتهم. وان لا يعسروا عليه عادةً وإن خالفوا لا يلوموا الّا انفسهم ويضمن لحجي اذا طيّب قلبهُ وشرح صدرهُ ان لا يعسر عليه الفرنج. وهذا يدلُّ على مهادنة الفرنج في ذلك الوقت وانَّ حجي ارسل وتشكّى منهم

وحجي المذكور جرى لهُ حوادث كثيرة مع الفرنج لانَّ في ايَّامهِ كانت قوَّة شوكتهم وكانوا قد قتلوا اخوتهُ واخربوا حصنهم وربَّما كان خاطرهُ مكدَّرًا عليهم(١ ...

وقد سمعتُ بعض المتقدّمين يقول لمَّا خُرب حصن سرحْمور سكن حجي واقاربهُ طردلا ثمَّ بعدها اعبَيه واماَّ عليّ بن بُحتر فانفرد الى عرامون ومنهُ الذرّيَّة وسكنوا طردلا ثمَّ بعدها اعبَيه. ومن ولد عليّ المذكور زينُ الدين وذرّيتهُ الذين سكنوا عرامون وسيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى. وربَّما كانت مدَّة حجي المذكور طويلةً لاننا قلنا عنهُ انهُ حضر فتوح بيروت مع الملك الناصر بن أيوب وعمرهُ نيّف وعشرون سنة وبقي الى بعد السنة الستمائة سنين كثيرة. ولم أقف لحجي المذكور ولا لوالده كرامة ولا لعمّه

١) قد ورد هنا في الاصل منشور آخر أعطي لحجّي بن محمَّد بن حجّي رواهُ المؤرخ هنا سهوًا وقد نبّه على غلطهِ في حاشية سيأتي ذكرهُ في محلّهِ

علي ولا لجدّه بحتر على ذكر وفاة ولا مولد . والظاهر لنا انّ الاقدمين وثقوا بمعرفة اخبار من قبلهم واهملوا الكتابة فنسي من جاء بعدَهم اخبارَهم ولهذا عملتُ هذه التذكرة لتدوين ذكر السلف . ولمحمَّد بن عليّ الغزّي شاعر لعراء بني الغرب بيتان من مقامةٍ جعلها مديحًا في السلف وذكرًا لانسابهم :

أَبقى حجاةُ كرامةٌ في بحترٍ وجُميهر شَرُفت بهِ قحطانُ
فلكندةٍ ولجُندبٍ ولِمَذحِجٍ سعدٌ بهِ في طيّهِ نعمانُ(١

ذكر ولدهِ محمَّد بن حجّي

ثم من بعده نذكر ولدهُ الامير نجم الدين محمَّد بن حجي بن كرامة . كان في مكان والدهِ حجي وعلى إقطاعاتهِ واملاكهِ وقاعدتهِ في مُثاغرة للفرنج وهذه نسخة مِثال من الملك الصالح ايُّوب ابن الملك الكامل محمَّد سلطان مصر والشام الى نجم الدين محمَّد المذكور . العلامة : ايوب بن محمد ابن ابي بكر بن ايوب . هذه العلامة بعد البسملة المعظَّمة . وسطرُ مضمونهِ : ليعلم الاميرُ الاجلّ الاخصّ المقدّم نجمُ الدين زين القبائل عُمدة الملوك والسلاطين اطال الله بقاءهُ وادام توفيقهُ وحراستهُ وتسديدهُ ورعايتهُ شكرَنا لخدمتهِ ومضاء عزمتهِ ومَحض ولائهِ وطاعتهِ ليطيبْ قلبهُ ويشرح صدرهُ ويثق منّا باجرائهِ على مشكور قلعتهِ ومستقرّ قاعدتهِ والاحسان الذي تقرّ

١) راجع لفهم هذين البيتين جدول نسب امراء بني الغرب في آخر الكتاب . ويظهر من هذا الشعر انّ اسم « حجّي » مخفَّف يُلفَظ « حَجَى » وفي الاصل قد ورد على صورٍ مختلفة فكُتب « جحى وجحيّ وحجى وحجيّ » فتأمَّل

بهِ عينهُ وينبسط أملهُ والزيادة في معلومهِ الشريف لهُ ولمن معهُ فيستجلب كلٌّ من يقدر عليهِ للخدمة ويعرّفهم ما لهم منها وفي المحافظة عليها من سابغ النِعَم. ونحن بمشيئة الله واصلون الى البلاد عن قريب فليكن الامير على أُهبة للقائنا هو ومن معهُ ليظهر عليهم اثر الانعام وليُحرزوا من الأكرام والتقريب اوفر الاقسام ويطالع بمجدداتهِ (١ وكُتب في سادس شهر ذي الحجَّة (٢. ولم يُذكر اي سنة سكن نجم الدين المذكور طردلا وتزوّج من الغزنويَّة من المطاوعة (٣ واماَّ وفاتهُ فاني قد وجدتُ بخطوط السلَف مكرَّرًا في عدَّة مواضع وهو انَّ اولاد ابن امير الغرب (25ʳ) نجم الدين محمد واخيهِ شرف الدين عليّ قُتلوا في ثغرة الجوزات (٤ بكسروان في السادس من ربيع الآخر سنة اربعين وستمائة (١٢٤٢م). واسماء اولادهِ جمال الدين حجي وسعد الدين خضر

الطبقة الاولى

ولدهُ جمال الدين حجّى بن نجم الدين محمَّد بن حجّي

ثمَّ من بعدهِ نذكر ولدهُ جمال الدين ويُعرف بجمال الدين الكبير. لهُ

١) كذا في الاصل وفيهِ تصحيف ظاهر

٢) راجع الصفحة ٦٦٨ من كتاب اخبار الاعيان

٣) الاصل مبهمٌ في هذه الالفاظ الاخيرة لعلَّهُ يريد انَّهُ تزوَّج بفتاة من قومٍ يدعون المطاوعة الذين اصلهم من الغزنويَّة . والغزنويَّة دولة ملكت في الهند .

٤) في الاصل التباس وفيهِ ورد ما حرفهُ : « وهو (كذا) قتلوا اولاد ابن امير الغرب نجم الدين محمَّد واخيهِ شرف الدين عليّ في ثغرة الجوزات » . ولم نطَّلع على موقع ثغرة الجوزات

منشور من الملك الناصر(١ يوسف ابن الملك العزيز سلطان دمشق(٢ العلامة : «الحمد لله على نعمائه» جهاتهُ : عرامون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمطون وقدرون ومُرتعون والصباحيَّة وسرحمور وعيناب وعين عنوب والدوير(٣ تاريخـهُ في خامس وعشرين صفر سنة خمسين وستمائة (١٢٥٢ م)

وله ايضاً منشور من الملك الظاهر بيبرس: العـلامة «المستعان بالله» وجهاتهُ: عاليـه ومجدلياً وشارون وعرامون وعين درافيل وطردلا ودقُّون وعين كسور وقدرون وشِمْلال ومَرْتعون وسرحّمور وبطلون وعيناب والدوير وبتاثر ويَنْصور وكفرعميّهْ وعيتات (٤ تاريخهُ في رجب من سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١م)

---

١) جاء في ذيل الكتاب :« حاشية مقدَّمة على منشور الناصر . ومن الناصر هذا توقيع ايضاً لجمال الدين حجّي باجرائهِ على اقطاعهِ وعوائده ووصيَّتـهِ بهِ . تاريخهُ صفر سنة ثمان واربعين وستمائة (١٢٥٠م) ويُسند في التوقيع على المنشور الذي بيدهِ من الملك الصالح عماد الدين »

٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمَّـد بن غازي بن صلاح الدين كان مالكاً على حلب فدعاهُ اهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م). ولما ظهر التاتار اخذوا منهُ حلب ففرَّ منهم هارباً الى غزَّة ثمَّ شخص الى هولاغو فاكرمهُ اوَّلًا ثم امر بقتلهِ وقتـل اخيهِ الملك الظاهر غازي سنة ٦٥٩ (١٢٦١)

٣) اغلب هذه القرى موقعها في مقاطعة الغرب الاسفل. وقد مرَّ ان الدُّوَير من مقاطعة الجرد. ولم نعرف موقع رمطون وقدرون ومرتعون والصباحيَّة

٤) عين عنوب وسرّحمور وعرامون وعين كسور من الغرب الاسفـل. وعاليَه وعيناث ويَنْصور وشِمْلال (ويقال شملان) وعيناب ومَجدليّاً من الغرب

وكان لهُ ولد اسمهُ نجم الدين محمّد سمي ّ جدّهِ وكان اكبر ولدهِ فعقّهُ وظهر منهُ ما اوجب طردهُ عنهُ. ولجمال الدين منشور من الملك المنصور قلاوون من مضمونهِ بان يقيم عوض ولدهِ نجم الدين محمدٍ اخاهُ شهابَ الدين احمد وذلك لسوء سيرة نجم الدين وعدم شكر الناس منهُ. وجهاتهُ جهات المنشور الاوَّل تاريخهُ في الحادي والعشرين من ذي الحجَّة سنة (١ (٦٧ 25)

ولمَّا حضر هلاوون (٢ ملك التاتار الى مملكة الشام واضطربت دولة الاسلام توجّه جمال الدين محمد المذكور الى دمشق فلم يلحق الملك الناصر صاحبها ثم استولى كَتْبغا عليها بالنيابة عن استاذهِ هلاوون. فاجتمع جمال الدين بالمذكور وكتب لهُ منشورًا على طرّتهِ غير العلامة فوق البسملة: «مالك بسيطة الارض هولاكو خان زيدت عظمتهُ». واما العلامة فبعد البسملة الشريفة سُطّرت بعدها بخطٍّ ضعيف «توكلتُ على الله». وأمَّا بدء الترجمة فهو: «رُسم بالامر العالي المولوي السلطاني الملكيّ السيدي المجيديّ زاد الله في علائهِ وضاعف موادَّ نفاذهِ ومضائهِ ان يُجرى في اقطاع الامير الاجلّ الاوحد الاعزّ المختار جمال الدين عمدة الملوك والسلاطين حجّي

الاعلى. ودفّون وعين درافيل من الشحّار التي قاعدتها اعبيْه. وكفرعميّه والدوير وشارون من الجُرْد والقاعدة فيها بتاثر. امَّا قدرون ومرتعون وبطلون فلم نستدلَّ على موقعها

١) كذا جاء بدون تعريف السنة. وجاء في ذيل الكتاب: «وقفتُ على تمليك من جمال الدين حجّي المذكور لاولادهِ جميعهم دون محمَّد وجَعْل محمَّد محروماً. وتاريخ التمليك ثاني ذي القعدة سنة ست وثمانين وستمائة (١٢٨٧ م) وهو مثبوت على القضاة

٢) يريد هولاغو ملك التتار فاتح بغداد المتوفَّى سنة ٦٦٤ (١٢٦٦ م)

ابن محمد ابن امير الغرب ادام الله تأييدهُ وتمكينهُ وتمهيدهُ ما رُسم لهُ بهِ من الاقطاع كما تضمَّنهُ المنشور الناصري الذي بيـدهِ ». واما جهاتهُ فهي المذكورة في المنشور الاوَّل اختصرتُ عن ذكرها وعن ذكر بقية شرح المنشور. وتاريخهُ سابع رجب سنة ثماني وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م)

ومن مضمون جوابٍ من ملك الامراء آقوش (١ النجيبيّ نائب الشـام عن الملك الظاهر بيبرس (٢ لنجم الدين المذكور يشكرهُ على ما اخبرهُ بهِ من امر زواج صاحب قبرس لبنت صاحب بيروت . ويقول في الجواب انَّهُ لا يسمع عن نجم الدين الَّا خيرًا ولا يقال في حقهِ الَّا الجيّد وانهُ يطيب قلبهُ ويشرح صدره

[ووقفتُ على مكتوب (٣ من برناط (٤ الفرنجيّ صاحب صيداء انهُ اعطى (24^r) حجّي المذكور شكارة بدار ثلثة اهراء قمح في قرية الدامور ملكًا لهُ ولولدهِ ولمن يقوم مقامهُ وانَّ ذلك بواسطة سير نرناط (٤ دُمُونيـه

١) راجع ص ٤٩

٢) راجع الصفحة ٤٥

٣) هذا المكتوب كان المؤلّف قدَّمهُ سهوًا فذكرهُ في جملة مناشير جمال الدين حجّي بن كرامة ونبَّه في حاشية على غلطهِ (راجع ص ٧٨)

٤) كذا ورد هذا الاسم بالاصل وفي آخر الكتاب اوردهُ على صورة « ترناط » ولعلَّهُ في كلا الكتابتين تصحيف ولم نجد في تواريخ الفرنج اسمًا لاصحاب صيداء يطابق هذا الاسم غير اسم Renaud de Sagette. الَّا انَّ هذا توفّي نحو سنة ١٢٠٢ م (راجع كتاب Rey: *Les Familles d Outre-mer*, p. 432) اما في تاريخ المنشور (اعني سنة ١٢٥٥) فكان المتولي على صيداء يلْيان ابن الامير باليان بن رينلد (ارناط)

والكند اسطبل (١ سير حوان (٢ تاريخهُ نهـار الخميس الموافق لسنة الف وخمسمائة وسبع وستين للاسكندر (٣]

ومن كتابٍ من آقوش المذكور ايضًا الى جمال الدين يفيدهُ (26r) انهُ بلغهُ انهُ قلّ رجالهُ وانّ هذا الوقت يجب فيهِ التيقُّظ وان يقوم بتجهيز الرجال الى جهة صيداء

ومن مضمون مثالٍ من ملك الامراء لاجين (٤ نائب الشام عن الملك المنصور قلاوون الى جمال الدين وزين الدين ابن عليّ انَّهُ اذا بلغهما توجُّه المقرّ الشمسيّ سنقر المنصوري (٥ بالعساكر المنصورة الى جهة كسروان والجرد

١) الكند اسطبل تعريب اللفظة اللاتينيَّة (Comes stabuli) اي امير آخور والفرنج يدعونهُ (Connétable)

٢) كذا في الاصل ونظن ان « حوان » تصحيف جوان يريد جوان دي لاتور (Johann de la Tour) كان متولّيًا رتبة كند اسطبل في صيداء من سنة ١٢٥٣ الى ١٢٦١ (راجع جداول الفرسان الالمانيين .Tab. Ord. Theut 103, 114, 117)

٣) ورد في حاشية الكتاب ما نصُّهُ: « نذكر بيان هذا التاريخ مع تاريخنا اليوم وهي سنة اربعين وثمانمائة عربيَّة هجرية (١٤٣٦ م) وتوافق سنة الاسكندر الف وسبعمائة وثمانية واربعين فيكون لتاريخ المكتوب المذكور مائة واحدى وثمانون سنة شمسيَّة سريانيَّة التي عليها التاريخ الرومي. فيكون تاريخها العربي مائة سنة وثمانين سنة ونصف هلاليَّة عربيَّة تقريبًا. فهذا التاريخ كان في ايَّام جمال الدين حجّي بن محمَّد بن حجّي وذلك في اواخر دولة بني ايُّوب في الشام واوائل دولة الترك بمصر وربَّما كان تاريخ هذا المكتوب سنة اربع وخمسين وستمائة هجرية ٤) راجع الصفحة ٤٧

٥) راجع ص ٤٥. والمقرّ من القاب الشرف في عهد المؤلف. قال الظاهري في زبدة كشف الممالك (ص ١٠١): «اجلّ المكاتبات المقرّ الكريم ثمّ المقرّ العالي». ويريد بالشمسي النسبة الى شمس الدين

يتوجّها اليهِ بجموعهما وأسرتيهما وانّ من سبي امرأةً منهم كانت لهُ جاريةً او صبيًّا كان لهُ مملوكًا ومن احضر منهم رأسًا فلهُ دينار وانّ سنقر توجّه لاستئصال شأفتهم ونهب اموالهم وسبي ذراريّهم وانفسهم · تاريخهُ سابع جمادى الاولى سنة ست وثمانين وستمائة (١٢٨٧ م)

ومن مضمون مثال آخر من لاجين ايضًا الى جمال الدين بمفردهِ بان يحضر الى دمشق هو واولادهُ طيّبي القلوب منشرحي الصدور ليجدّدوا الأيمان على نفوسهم للسلطان كما جدّدها الامراء ومقدّمو الحَلْقة وان لا يناجزوا ولا يسبقهم الى الطاعة الشريفة غيرهم· تاريخهُ في العشرين من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة .(١٢٩٠ م) وهذا الحَلَف كان للسلطان الملك الاشرف خليل لانّ والدهُ المنصور قلاوون توفّي في السادس من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة· وقد برز ظاهرَ مصر لقصد عكّة وربّما كان تأخّر سنقر المنصوري عن كسروان بهذا السبب فتأخر امرهم الى سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢ م) وجرى الامر كما ذكرناهُ في توجُّه العساكر المصريّة (26^٧) الى كسروان وعودهم منهُ شبه المكسورين· ثمّ كانت ابادة آل كسروان سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م) في ايّام الناصر محمد بن قلاوون (١

وجمال الدين هذا جرى في أيّامهِ حوادث كثيرة منها كتب بني ابي الجيش(٢ على اقاربهِ وسجنهم تلك المدّة الطويلة(٣ مع اعوانهِ بني ثعلب

١) راجع ص ٤٨ ٢) راجع ص ٧٠

٣) سعى بنو الجيش بآل تنوخ عند السلطان فسجن منهم ثلاثة امراء بمصر وهم جمال الدين حجّي وسعد الدين خضر وزين الدين محمَّد. ثمَّ اطلق سبيلهم لمَّا عرف برارتهم

وخروج اقطاعهم واملاكهم عند فتوح طرابلس المحلّقة بها . وسنذكر ذلك ان شاء الله عند ذكرنا زين الدين بن علي ونستوفي تمام ذكر الاقطاعات عند ذكر ناصر الدين الحسين . ومنها حركة القطب (١ وغير ذلك . وكان جمال الدين رجلًا طيبًا ديّنًا خيّرًا لم يوجد في زمانهِ مثلهُ وكان يُعَدّ من الاولياء لزم القناعة والزهد في آخر عمرهِ . ولما استرجعوا الاقطاعات والاملاك قنع منها بعد الكثير بالقليل وهي عين درافيل ومزرعة شمشوم ومزرعة مرتعون وشكارة وقرطبة (٢ عطيــة من اقاربهِ بخطوطهم من غير منشور وذلك في سنة اربع وتسعين وستماية . سكن طردلا اوّل عمرهِ . ثمّ اخذ بيت ابرهيم من الطوارقة من بني عبدالله (٣ وعوّض عنهُ ببيتهِ في طردلا وموضعهُ الآن يعرف بدار الامراء . جدّد جمال الدين عمارة البيت الذي اخذهُ بعد سَنَد القطبُ وسكنهُ بعدهُ ولدهُ شجاع الدين عبد الرحمن وهو المعروف ببيت شجاع الدين الى وقتنا هذا وهو اوّل من سكن اعبَيْه من الامراء . ثمّ تشبّه بهِ اخوهُ سعــد الدين وولدهُ ناصر الدين على ما سنذكرهُ ان شاء الله . وهذا تاريخ مولدهِ نقلًا عن خطّ ناصر الدين الحسين (27^r) قال : ميلاد العمّ جمال الدين حجّي بن محمد منقول عن خطّهِ (تغمّدهُ الله برحمتهِ) في ليلة اسفر صباحها الثلثاء الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخر سنة ثلاث

١) يريد قطب الدين السعيديّ وُجد مقتولًا في كفرعَمَّيه فوقعت الشبهــة بقتلهِ على امراء الغرب فسارت اليهم عساكر الشام ونهبوا اموالهم واعتقلوا منهم سنة ٦٧٧ (١٢٧٨م) . وسيأتي ذكر قطب الدين هذا

٢) هذه المزارع معروفة الى يومنا الّا بعضها وهي في مقاطعــة الغرب . امّا قرطبة فهي ضيعة كبيرة قرب العاقورة

٣) راجع ص ٧٠

وثلاثين وستمائة (١٢٣٦م) . ووفاتهُ نقلًا عن خطّ ناصر الدين ايضاً العصر من نهار الثلثاء في الثاني عشر من شوّال سنـة سبع وتسعين وستمائة (١٢٩٨م)

واسماء اولادهِ نجم الدين محمَّد عقَّ اباهُ فطردهُ الى عيناب وتزوّج بنت كبانس من ميسنون (١ . ومن ذرّيتهِ الامراء بعيناب . وامّهُ غير امّ اخوتهِ وهو اكبرهم . وسيأتي ان شاء الله ذكرهُ في غير هذا الموضع . ثمَّ شهاب الدين احمد وشجاع الدين عبد الرحمن وشمس الدين عبدالله وفخر الدين عبد الحميد

ووقفتُ على كتاب تمليك تاريخـهُ (٢ من جمال الدين حجّي لاولادهِ الاربعة اختصهم بهِ دون نجم الدين محمد اخيهم وهو يجمع اقطاعهُ وملكة عملهِ وذلك نكايةً في حقّ نجم الدين محمد وقصدًا للتبرئ منهُ



ذكر سعد الدين خضر اخي جمال الدين

ثم بعد جمال الدين حجي نذكر اخاهُ الامير سعد الدين خضر بن محمَّد ابن حجي . كان هذا رجلًا جليل القدر زائد الحشمة حسن الشكل مغرًى بالخيل الملاح والصيد . وقيـل انَّهُ كان اوّل من لعب بالطيور الجوارح من البيت وانّ صاحب قبرس اهدى اليهِ طيورًا وربَّما كان الذي اهداها اليـهِ صاحب بيروت وذلك اقرب الى العقـل . وكانت غلمانهُ من عبيد الحبش

١) لم نسمع لميسنون ذكرًا ٢) كذا بدون تعيين التاريخ

اشتراهم بماله فكان يرسل معهم خيلهُ يُرتعهم في المَتن وكفر سُلوان(١ وتملَّك (27ᶠ) مروجاً لمراعي خيله

وقد وجدتُ باسم سعد الدين منشورًا من الملك المعزّ أيبك التركمانيّ اوَّل سلاطين الترك(٢ والعلامة : « حسبي الله » جهاتهُ من الشوف والمعاصر الفوقانيّة (٣ وبَعذران وعين ماطور وبشـلون وعين اوزَيه وكفرنبرخ وابريح وغريفة (٤ ومن وادي التيم تنُّورة وظهر حمار (٥ . ومن اقليم الخرُّوب (٦ برجة وبعاصير والشحيم (٧ تاريخهُ في السابع والعشرين ربيع

١) كفرسلوان من مقاطعة المَتن معروفة الى يومنا

٢) هو اوَّل ملوك الاتراك في مصر بعـد الدولة الايوبيَّة كان مملوكاً لنجم الدين ايوب فاعتقهُ ثم صار اتابكاً للعساكر. ولمَّا قُتل الملك المعظَّم توران شاه وخُلعت زوجتهُ شجرة الدر عن السلطنَة تولَّى ايبك الامر سنة ٦٢٨ (١٢٥٠) حتَّى تآمرت عليهِ شجرة الدرّ فقتلتهُ سنة ٦٥٥ (١٢٥٧م)

٣) لعلَّهُ يريد معاصر الفخَّار من قرى الشوف . ومن هذه المقاطعة بعذران وعين ماطور (راجع اخبار الاعيان في جبل لبنان ص ٣٠). وقد ورد هنا في ذيل الكتاب ما نصُّـهُ : « هذان المنشوران استرجاع »

٤) بثلون (وعند العامَّة بتلون) وعين اوزيه (ويقال وزَيه) وكفرنَبرَخ وإبريح (وعند العامَّة بريح) ذكرها صاحب اخبار الاعيان (ص ٣٠) في جملة قرى مقاطعة العُرقوب لا في الشوف . امَّا الغُرَيفة فعدّها من الشوف السويجانيّ . ولا شكَّ انَّ تقسيم المقاطعات قد تغيَّر مع الزمان

٥) وادي التيم مقاطعـة لا تدخل في لبنان تعَدُّ من جبـل الشيخ وهي غربيّ دمشق بجهات حاصبيًا وراشيًا . ومن قراها عين تنوُّرة . اما ظهر حمار فلم نجد لها ذكرًا ولعلَّها المعروفة اليوم بظهر الاحمر

٦) اقليم الخرُّوب من مقاطعات لبنان شرقيّ شمالي صيداء وغربيّ الشوف

٧) مرَّ ذكر برجة . والشحيم قاعدة اقليم الخرُّوب . وفي قربها بعاصير او المعاصير

الاول من سنة اربع وخمسين وستمائة (١٢٥٦ م) (قلتُ) هذا المنشور قد حيَّر الفكر لانَّ ايبك المذكور كان سلطان مصر ولم يحكم على الشام لانها كانت للسلطان الناصر يوسف آخر ملوك بني أيُّوب بدمشق وقتلهُ هولاكو بعد اسرهِ لهُ بعدّة[١ وقبلهُ قُتل المعزّ ايبك بمصر في ربيع الاوَّل سنة خمس وخمسين وستمائة (١٢٥٧ م) قبل اسر الناصر المذكور بثلاث سنين وكان بين أيبك والناصر المذكورين حروب وعداوة شديدة

ووجدتُ ايضاً منشورًا من الملك المنصور قلاوون (٢ جهاتهُ المغيثة وحقّ الطريق والمعار(٣ وعاليه ومجدلبعنا . تاريخهُ الثامن عشر من شوّال سنة ثماني وسبعين وستمائة (١٢٧٩ م)

ووجدت ايضاً منشورًا من الملك الناصر محمَّد بن قلاوون (٤ جهاتهُ عاليه وعيتات واللبانة والدوير والصباحيَّة وقِطَع ارض من العمروسية ومن درب المغيثة الرُّبع والسدس. وذلك ارتجاع عن الحلقة الطرابلسية تاريخهُ رابع ذي الحجَّة سنة ثلاث وسبعين وستمائة (١٢٧٤ م)

وسكن سعد الدين طردلا اوَّل عمرهِ ثم تشبَّه باخيهِ جمال الدين حجي وطلع (28^r) الى اعنيه وعمَّر العلّيتين المتلاحقتين الواحدة بالاخرى سكنهما باقي عمرهِ ثمَّ سكنهما بعدهُ ولدهُ صلاح الدين فعُرفتا بهِ. وتزوَّج امرأةً من كفرسلوان كان ابوها من ذوي اليسار وسعة الرزق فاق اهل بلاد بيروت بكثرة الاموال . ثمَّ توفيت فتزوَّج سارة بنت الشيخ العلم من كفر فاقود (٥ وهو علم الدين علم بن سابور بن حسَّان بن طارق من

١) راجع ص ٨٢ ٢) راجع ص ٤١
٣) لم نجد ذكرًا لهذه القرى ٤) راجع ص ٤٨
٥) كفر فاقود قرية من مقاطعة المناصف

اصول بني عبدالله وامُّهُ من البيت. نشأ بطردلا وتزوَّج من كفرفاقود ورحل اليها في لفيف قرابتهِ ولزمهُ معضاد بن عبد الدين فصائل (كذا) ابن معضاد. وكان معضاد اميرًا ومقدَّمًا على الاشراف وكان اقطاعهُ عين حجّة وادفول ونصف قطرة (١ ثمَّ انتقل ذلك الى بني سعدان ومن بني سعدان الى علاء الدين عليّ بن زين الدين. واما الشيخ العَلَم فانَّهُ رُزق الدين والدنيا والسعة والحرمة الوافرة وكان مشكورًا عند اهل زمانهِ

ولنرجع الى ذكر سعد الدين خضر. فلمَّا كبر في العمر نزل عمَّا كان في يدهِ لولدهِ الحسين واستراح في بيتهِ (٢ وكان مولدهُ في رجب سنة تسع وثلاثين وستمائة ووفاتهُ نهار الخميس ثاني عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة. اسماء اولادهِ ناصر الدين الحسين وامّهُ الكفرسلوانيّة. ثمَّ عزّ الدين الحسن وعلاء الدين عليّ وفتح الدين محمَّد وشرف الدين سليمان وصلاح الدين يوسف وزين الدار (٣ وامّهم سارة بنت الشيخ العلم وهي زوجتهُ الثانية

---

١) جاء في الاصل في ذيل الكتاب ما حرفهُ: «اخذوهُ من جمال الدين محمود بن معضاد المذكور» (اه). امَّا الضيع المذكورة فهذا موقعها: عين حجّة وادفول (ويقال لها اليوم دفون) من الغرب الاعلى. وقطرة (او كفر قطرة) من المناصف

٢) جاء في حاشية الكتاب: «ومن الدليل ان سعد الدين المذكور في آخر عمره لم يتعلَّق على اقطاعٍ مرسومٌ وجدتهُ من الناصر محمد بن قلاوون من مضمونهِ انهُ يلازم الخدمة وليس لهُ اقطاع ولهُ سعارى (كذا) مبلغ من درهـا (كذا) وانَّها لا تعارض. وتاريخ المرسوم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م)»

٣) راجع جداول النسب في آخر الكتاب. امَّا زين الدار فهي اخت المذكورين

(28^v) ومن الطبقة الاولى جدّ الامراء بعرامون

قد تقدَّم الكلام في انَّ زين الدين بن عليّ كان معاصرًا لجمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ابنَيْ نجم الدين بن محمد حجّي (١ وانَّهُ ابن عم جدّهما فيجب ذكرهُ بعدهما (٢ وذكر ما كان في ايَّام هؤلاء الثلاثة من الحوادث المعاصرة لكونهم في زمن واحد

ذكر الامير زين الدين صالح بن عليّ
ابن بحتر بن عليّ امير الغرب

كان زين الدين من اشجع اهل زمانهِ واشدّهم بأسًا ذا كرم وافر ومروءة زائدة (٣ وهو الذي شيَّد مجد البيت مع ناصر الدين الحسين ولو لم يكن الَّا عمائرهما لكان لهما بها المجد الوافر

١) وفي حاشية الكتاب ما نصُّهُ : انَّ سعد الدين المذكور كان قبل وفاتهِ قد اوصى لولدهِ ناصر الدين الحسين بنصف جميع املاكهِ ولاخوتهِ الخمسة المذكورين بالنصف الثاني فكان ناصر الدين مخصوصًا بالنصف وحدهُ دونهم

٢) راجع جدول نسب زين الدين في آخر الكتاب

٣) ورد في ذيل كتاب المؤلف ما نصُّهُ : وموجب معاصرتهِ لجمال الدين وسعد الدين انَّهُ كان مولدهُ في اواخر ايَّام ابيهِ وكان لهُ اخٌ يسمَّى بحترًا سميّ جدّهِ وكان اكبر من زين الدين المذكور بسنين كثيرة لانهُ كان رجلًا يتصرَّف لنفسهِ في سنة اثنتين وستمائة (حسب ما تقدم ذكر المكتوب) بنصف فدَّان من رمطون والله اعلم . فزين الدين بن عليّ المذكور قد شُهر عنهُ انَّهُ وُلّي يتيمًا صغيرًا عند جمال الدين حجي وسعد الدين خضر ولدي محمَّد بن محمَّد فكان

وقد وجدت بخطّ بعض السلف : حضر ابن ودود (كذا) وابن حاتم(١ الى الغرب وصحبتهما العساكر وجمعا عليهِ العشران من ولاية بعلبك والبقاعين فكسرهم اولاد امير الغرب ونهبوهم ثمّ امَّنوهم وخلّوا سبيلهم وذلك بقرية عيتات اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة (١٢٥٩ م). وسمعتُ ممَّن لهم دُربة باخبار الناس انَّ زين الدين المذكور كان سبب كسرتهم ولهُ في هذه الكائنة شهرة كبيرة

(قلتُ) وهذه الكائنة حدثت في ايَّام الناصر يوسف سلطان الشام والمُعزّ ايبك التركماني سلطان مصر (٢ كان بينهما خلف وحرب وكانت الفرنج بالسواحل(٣ والمظنون عليهِ انَّ الشاميين كانوا قد نسبوا امراء الغرب الى المصريين فعملوا معهم ذلك. ومن الدليل (29^r) على ذلك وجود المنشور الذي من المعزّ ايبك باسم سعد الدين خضر المقدَّم ذكرهُ في ترجمة سعد الدين المذكور وقلنا انَّ الفكر يتحيَّر فيهِ لكون بيروت من الشام والمنشور مصريّ. وكان الناصر يروم اخذ مصر والمعزّ يروم قهر الناصر وبقي الامر بينهما على المنازعة حتى مشى بينهما نجم الدين البادرَّاي (٤ فاصلح بينهما واتَّفقا على ان الشام الى العريش(٥ تكون للناصر والديار المصرية للمعز وذلك في سنة ثلاث وخمسين وستمائة (١٢٥٥ م).

عندها وتزوَّج اختها صادقة وسكن عرامون. وقد سبق ذكرهُ وبيَّنَّا عنهُ انهُ كان اصغر سنًّا من جمال الدين وسعد الدين والله اعلم

١) لم نطَّلع على شيء من اخبارهما ٢) راجع ص ٨٨

٣) قال المؤلف في ذيل كتابهِ: «ولم اطَّلع على موجب ذلك»

٤) لم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ

٥) العريش مدينة من اعمال مصر بقرب حدود الشام على شاطئ البحر

وقد تقدَّم ذكر قتل المعزّ بمصر وقتل هولاكو للناصر. ثمَّ استقرَّ بعد المعزّ في مملكة مصر قطز (١ ثمَّ خرج قطز بالعساكر المصرية لقتال التتار

وسمعتُ ممَّن لهُ دُرْبَةٌ بأخبار الاوائل بانّ زين الدين بن عليّ كان قد توجّه الى التتار لمَّا استـولوا على دمشق وكان كتبغا فويز (٢ نائباً عن هولاكو. فخاف زين الدين منهم وتوجّه اليهم اكتفاء من شرّهم . وكان جمال الدين حجي بن محمَّد بن حجي قد تقدمهُ اليهم كما ذكرنا. فلمَّا بلغهما خبر قدوم قُطُز بالعساكر المصريَّة تشاورا وحصـل بينهما اتّفاق على ان يتوجَّه زين الدين الى العسكر المصري ويقيم جمال الدين عند التتار بدمشق حتَّى اذا انتصر احد الفريقين سدَّ المُنتصِر خلّة رفيقهِ وخلّة البـلاد قصدهما بذلك اصلاح الحال. فحضر زين الدين القتال الذي صار في عين الجالوت (٣ بين عسكر مصر والتتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثماني وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م) . فانهزم التتـــار وتحصَّن منهم شرذمة (29^v) في ذروة الجبل. فكان زين الدين المذكور مع مماليك السلطان

١) هو ثالث ملوك الترك في الديار المصرية . كان من مماليك المعزّ ايبك ورقي في دولتهِ ثمَّ صار اتابك العساكر في ايَّام الملك المنصور عليّ ابن المعزّ فلمَّا خُلع المنصور تسلطن قُطُز سنة ٦٥٧ (١٢٥٩ م) وتسمَّى بالملك المظفَّر وحارب التتار فغلبهم عند عين جالوت وفي بيسان . وقُتـل بعد انتصارهِ بقليل قتلهُ الامير ركن الدين ظاهر بيبرس بموافقة الامراء بعد سنة لملكهِ

٢) كتبغا هذا كان احد امراء هولاغو ملك التتار استنابهُ على البـلاد الشاميَّة ثمَّ قُتل سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) في عين جالوت لمَّا ظفر المسلمون بالتتار. ويقال لهُ في كتب التواريخ كتبوغا فويز بك (راجع تاريخ ابن اياس الجزء الاوَّل ص ٩٨)

٣) هي مدينة صغيرة بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين

في حصار التتار وكان يرمي عن قوس قويّ فاعجب مماليكَ السلطان رميهُ وصاروا يقدّمون لهُ النشّـــاب من تراكيشهم (١ ثمّ حضر قدّام السلطان وكان اشتهر مجيئـــهُ الى التتار فشهد لهُ مماليكُ السلطان رفقتُهُ في حَصر التتار في ذروة الجبل بما فعلهُ فعفا عنهُ . وكانوا قد قدّموا بين يدي السلطان الملك المسعود صاحب الصُّبَيبة (٢ من ملوك بني أيوب وكان غير مشكور السيرة لموافقته للتتار على الفساد فضُربت رقبتهُ

وذُكر عن زين الدين المذكور انّهُ قال : واللهِ ما خفتُ في يومٍ اكثر منهُ . وذكروا عنهُ انّهُ قال كان يوم الوقعة يوم عظيم وكان مع العسكر ثلاثمائة حمل طبلخانات لم يُسمع لدقّهـــا صوت البتّة لعظم صوت الضرب بالسلاح على القراقل (٣ والخُوَذ وصراخ الرجال . وكان للمذكور فرسٌ اهداهُ لهُ التتار حسن المنظر هائل المخبر ضخم القدّ قيل انّ دَوْر حافرهِ كان يبلغ ثلثة اشبار وانّهُ سبق خيولًا كثيرة

وعند عود الملك المظفَّر قُطز الى مصر قُتل وتسلطن بعدهُ الملك الظاهر بيبرس وذلك في السابع عشر من ذي القعـــدة سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م) وبقي في السلطنـــة سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة ايّام واستناب جمال الدين آقوش النجيبيّ الصـــالحيّ (٤ على الشام سنة ستين وستمائة (١٢٦٢ م) واستمرّ في النيابة الى شهر ربيع الاوّل سنة (30^r)

١) التَرْكَش فارسيّة هي الجعبة
٢) نظن انّهُ يريد الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان الأيوبي صاحب الصُّبَيبة وهي قلعة في شمالي شرقيّ بانياس على ميلٍ منها
٣) لعلّهُ يريد بالقراقل الدروع . والقَرقَل في الاصل قميص بلا اكمام
٤) هو الامير آقوش المار ذكرهُ (ص ٤٩)

سبعين وستمائة (١٢٧٢ م) ثمَّ عزلهُ بعلاء الدين ايدكين الفخريّ الاستادار (١ .

وفي ايَّام الظاهر بيبرس سُجن زين الدين بن عليّ المذكور وجمال الدين حجي بن محمَّد واخوهُ سعد الدين خضر بن محمَّد

خبر اعتقال الملك الظاهر بيبرس لامراء بني الغرب

(قلتُ) ويجب ان نذكر توطئةً يُستدَلّ بهـا على كيفيَّة سجن الثلثة المذكورين. وذلك انَّ الملك الظاهر كانت تعلَّقت آمالهُ بفتوح السواحل وصار يتوقَّع لسماع اخبار الفرنج والاطلاع على احوالهم وكشف طبقاتهم

(قلتُ) وفي أيَّام سلطنتهِ كُتب منشور جمال الدّين حجي المؤرّخ ثامن رجب سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١) بحُكم ملازمتهِ للخدمة الشريفة مع بدر الدين بن رحَّال (٢ وقد تقدَّم ذكر هذا المنشور(٣ . (قلتُ) وربَّما كان بدر الدين هذا جعلوهُ في قُبالة فرنج صيداء وبيروت مناغرًا لهم

ثمَّ نذكر المكاتبتين اللتين ارسلهما جمـال الدين آقوش النجيبي نائب الشام الى زين الدين المذكور والى جمـال الدين حجي ولم يُذكَر لهما تاريخ سوى ايَّام الشهر الذي كُتبتا فيهِ ولم تُذكر السنة. وكذا كانت المراسيم في ذلك الوقت فيُقال: «كُتِب في كذا وكذا من الشهر الفلانيّ المبارك».

١) كان احد الامراء الكبار في مصر على عهـد بني ايوب ولمَّا تولى الملك نجم الدين أيُّوب قبض عليهِ واحتاط على موجودهِ . ثم اعتقهُ الظاهر بيبرس وولَّاه نيابة الشام وكان الظاهر من جملة ماليكهِ سابقًا . لا نعلم سنة وفاتهِ

٢) لم نطَّلع على شيء من اخباره ٣) راجع ص ٨١

ولم تُذكَر السنة وانّما كانوا يذكرون السنين في المناشير والتواقيع

ومضمون احدى المكاتبتين: « وصلت مكاتبة الاميرين الاعزَّين الاخصَّين جمال الدين وزين الدين عمادَي الملوك (٣٠ب) والسلاطين ادام الله تأييدهما وعلمنا ما ذكراهُ وشكرنا همَّتهما. واما مثاغرتهما وقيامُهما بما ينبغي من الخدمة فنحن نعلم ذلك منهما ونحرّضهما على القيام بما هما بصددهِ ومطالعتنا على اخبار العدوّ المخذول في كلّ وقتٍ بحسبهِ. واما الامير حُسام الدين نوار (١ فقد كتبنا اليهِ بأنَّهُ متى وقع صوتٌ يُسرع مع جماعتهِ الى جهتكما فتتَّفق كلمتهُ وكلمتكما. والكتاب عطفها (٢ فتوصلانهِ اليهِ. واما قضيّة صاحب بيروت وتزوّج ابنتهِ بملك قبرس (٣ فقد علمناهُ ولنا علم ايضاً في حديث الهُدنة ومخالفتها. ونِعم ما فعلاهُ باطّلاعنا على هذا فلا يقطعا اخبارهما موَّيدَين (اه)

ومضمون الكتابة الاخرى: « وردت مكاتبة الاميرين الاجلّين الاعزّين الأخصَّين المحترمين المجاهدين الغازيين جمال الدين وزين الدين بهاءَي الاسلام مجدَي الامراء عدَّتي الملوك والسلاطين أنجح الله قدرهما وأسعد جدَّهما وكَبَت ضدَّهما ووُقف عليها وعُلم مضمونُها وعُرف ما هما عليهِ من الاجتهاد والمناصحة وهو المعهود منهما والمشهور عنهما. فليُطيّب

---

١) يظهر من قرينة الكلام انَّهُ كان احد عمَّال ملوك الاتراك المصريين في سلحل الشام

٢) يريد انهُ أودع في ضمن هذه المكاتبة رسالةً ليبلّغاها الى حسام الدين المذكور

٣) راجع ص ٨٣

الاميران ايّدهما الله قلبيهما وليشرحا صدريهما فهما على ما يشتهيان ويؤثران وما بلغنا عنهما الّا الخير ولا قيل عنهما الّا الجميل. وليس ثَمَّ ما يضيقُ بهِ صدرهما ولم نسمع في حقّهما الّا كلاماً طيّباً فليستمرّا على ما هما عليهِ من المناصحة والاجتهاد والمطالعة بالاخبار ومساعدة العسكر المنصور والغُزاة بتلك الجهة. وليجريا على ما عُهد منهما من المناصحة ومن سلفهما في (31^r) الأيّام السالفة عند الدُّوَل المتقدّمة فانهما يجنيان ثمرة ذلك والله يؤيّدهما بالتوفيق »

وفيهِ ملحقٌ: « قد بلغنا ان جموعكما قد تفرّقت وانتما تعلمان انَّ في هذا الوقت تظهر مناصحة الدين والدولة القاهرة. فليتقدَّم الاميران ايّدهما الله بردّ الرجال الى جهة صيداء وليجتهدا في المساعدة على حفظ هذا الثغر مؤيَّدَين ان شاء الله تعالى »

ورأيتُ مرسوماً للملك الظاهر بيبرس الى زين الدين المذكور وجمال الدين حجي يدلُّ على انهُ ارسلهُ اليهما من مصر مضمونهُ: « هذه المكاتبة الى الاميرين المختارَين المحترمَين الاخصَّين المجاهدين جمال الدين وزين الدين فخرَي القبائل والعشائر مجدَي الامراء اختيارَي الدولة عميدي الملوك والسلاطين ادام الله رفعتهما وجدَّد مسرّتهما. تتضمّن سلامنا عليهما واهداء تحيتنا اليهما ونعلمهما بانّا وقفنا على مكاتبتهما الواصلة الى نوّابنا بدمشق يذكران فيها استمرارهما على الخدمة والنصح لدولتنا القاهرة. ووصل الينا كتاب نوّابنا بدمشق المحروسة يذكرون ما عليهِ الاميران من الخدمة والاجتهاد في المناصحة وفرحنا بذلك ووقع عندنا اهتمام الاميرين في الخدمة احسن موقع فليستمرّا على ذلك وليهتمّا بهِ وليطيّبا قلبهما وليشرحا صدرهما فسوف يجنيان

واخاهما ثمرة (٣١) خدمتهما ومحبتهما وليطالعانا بالاخبار والمحذرات والله يوفقهما (انتهى)

(قلتُ) وهذا مما يدلّ على انّ الملك الظاهر كان قد صرف ذهنهُ الى جهة الفرنج وانّهُ كان محاربًا لهم وانّ خاطرهُ كان قد مال الى جهتي زين الدين وجمال الدين المذكورين ليتجسسا لهُ اخبار الفرنج ويطالعاهُ بها وان يكونا مثاغرين على صيداء وبيروت مع من كان من جهة السلطان. ولهذا وقع عندهُ الكذب في حقهما بموقعٍ اوجب سجنهما

وذلك انّهُ اشتهرت على ما اخبرنا السلف معاداة بني ابي الجيش لبني الغرب بالبغضة والحسد فتوجّه احدهم بكتابٍ مزوَّر عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين الى الإبرِنش (١ صاحب طرابلس مضمونهُ ما يوافق غرض الإبرنش ويُغضب الملك الظاهر. فكتب الإبرنش جواب الكتاب بما يوجب وقوع الدرك على المذكورين عند وقوف السلطان عليهِ. فتحيَّل ابن ابي الجيش حتى بلَّغ الجواب المذكور الى الملك الظاهر يقصد بهِ اذيَّة امراء بني الغرب ليشفي خاطرهُ منهم

فعند ذلك طلب السلطان الثلاثة وهم زين الدين وجمال الدين حجي واخوهُ سعد الدين خضر وسجنهم مدَّةً طويلة لم اعلم كم هي. فمن قلَّل يقول سبع سنين ومن اكثر يقول تسع سنين. وكانوا قد فرقوا بينهم فجعلوا

١) الابرنش معرّبة عن اللفظة الافرنسيَّة (prince) بمعنى الامير. وكان البرنس المتولي في ذلك الزمان على طرابلس يدعى بوهيمند السادس وكان اميرًا على انطاكية وطرابلس معًا. وفي ايَّامهِ فتح الملك الظاهر بيبرس مدينة انطاكية سنة ١٢٦٧ م فبقيت لهُ طرابلس وحدها. وتوفي بوهيمند سنة ١٢٧٥ وفتحت طرابلس بعد ذلك بمدَّةٍ سنة (١٢٨٨م) فتحها الملك المنصور قلاوون

زين الدين ابن عليّ في سجن مصر وجمال الدين حجي في الكرك واخاهُ سعد الدين خضر بقلعة عجلون

ووقفتُ على كتاب مُرْسَل من عجلون يدلُّ على انّ سعد الدين المذكور كان مسجونًا (32^r) بعجلون ثمّ احضروا جمال الدين من الكرك وسعد الدين من عجلون وجمعوا الثلاثة في سجن مصر. وحكي انهُ لمَّا قصدوا نقل سعد الدين من عجلون الى مصر استبشر بذلك فقالوا لهُ: انت ذاهب الى انحس من عجلون فلأيّ شيءٍ تفرح. قال: افرح باجتماعي باعزّ الناس عليّ واحبّهم اليّ اخي وابن اخي

وكان بعض الامراء بمصر قد رقّ خاطرهُ على المذكورين فكلّم السلطان في امرهم فلم يسمع السلطان كلامهُ وقال: هؤلاء لا أُفرج عنهم ولا أُوذيهم حتى افتح طرابلس وصيداء وبيروت. وقيل انّ الامير الذي تكلّم فيهم بدرُ الدين بيليك(١ الخزندار وكان قد صار نائبًا عن السلطان المذكور فاستمرّ المذكورون في السجن الى بعد وفاة السلطان ولم يُخرج عنهم اقطاعًا ولا ملكًا

(قلتُ) وربما كان في مدّة سجنهم بمصر طغيان نجم الدين محمَّد بن جمال الدين حجي بن محمَّد (٢ وتسلُّطهُ على اولاد علم الدين معن بن

---

١) هو احد مماليك الملك الظاهر اشتراه صغيرًا وهو امير فلمَّا تسلطن جعلَهُ الظاهر نائب السلطنة وفوَّض اليهِ جميع احوال المملكة. ثمَّ صار الامر بعد الظاهر الى ولدهِ الملك السعيد ابي المعالي بن بيبرس فاقرّه في ولايته الّا انهُ مات بعد قليل سنة ٦٧٦ (١٢٧٨ م)

٢) هو الولد الذي عقّ اباهُ جمال الدين فحرمهُ الميراث (راجع ص ٨٧)

معتب (١ وعلى غيرهم وتجرّؤهُ على قتل قُطب الدين السعـدي (٢ في كفرعمّيهْ (ان كان هو قاتلهُ) لغيبة المذكورين عنـهُ

وسمعتُ ممَّن نقـل الاخبار عن الاوائل انَّهُ لمَّا جرى على الغرب ما جرى لاجل قتل قطب الدين كما سنذكر ان شاء الله (٢ فيما بعد وبلغ الخبر زين الدين ابن عليّ وهو بسجن مصر تلهَّف على ما جرى وقال: آه لو كنتُ حاضرًا . فقال لهُ الموكَّلون عليهِ : ما عساك كنت تفعل يا مولانا ؟ فردَّ عنهُ الجواب جمالُ الدين بعقلهِ وقال : لكان أصلح القضيَّة . وهذا يدلُّ على انَّ الافراج عنهم كان عقيب هذه الحركة بمدَّة قليلة . وذلك بيّن ظاهر لمن ينظر في هذه التذكرة

ونحن نذكر بيان كلّ الحركة (٢٣ ٧) كما سمعنا الامر نقلًا عن القدماء ونطابقـهُ مع الاوراق الموجودة عندنا مؤرَّخةً بذكر هذه الحركة ثم نعوض ذلك على ما ذُكر في كُتب المؤرّخين الذين كانت ايَّامهم مطابقـة لايَّام الواقعة المذكورة . وجلُّ القَصْد بذلك وضع الامور على المطابقة بقرائن يقبلها العقل ويسوّغها الفكر وقد اجتهدتُ على صحة ذلك وما توفيقي الَّا بالله

(اقول) لمَّا قدّر الله بوفاة السلطان الملك الظاهر بدمشق في السابع والعشرين محرَّم سنـة ست وسبعين وستمائة (١٢٧٧ م) اخفى بدر الدين بيليك موتهُ وتوجَّه بالعسكر الى مصر ومعهم محفَّة يظهر ان السلطان فيها

---

١) هو معن بن معتب بن ابي المكارم الذي ورد ذكرهُ في شجـرة التنوخيين (راجع جداول النسب في آخر الكتاب)

٢) راجع ص ٨٦ و ١٠٤

ضعيف فلمَّا وصل اظهر مَوْتهُ واجلس ولدهُ الملك السعيد بَرَكة(١ على عرش السلطنة في اوائل ربيع الاول سنة ست وسبعين وستمائة وجعلوا عزَّ الدين أيدمر(٢ نائباً على الشام ثمَّ افرجوا عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين المذكورين

ثمَّ بعد ذلك كانت وفاة بدر الدين بيليك نائب السلطنة واستقرَّ عوضهُ شمس الدين الفارقانيّ (٣

ووقفتُ على كتاب من زين الدين بن علي الى جمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين وسائر كبار الغرب كلّ واحد باسمهِ وعند البسملة الشريفة الظاهري (٤ . ملخَّص مضمونهِ: « انَّ كلّ ما جرى عليهِ هو من تزوير بني ابي الجيش . وانَّهُ لمَّا أمسكوهُ طلبهما بنو ابي الجيش في العسكر فما لحقوهما وانَّهُ حمد الله على ذلك. وانَّهُ ما اساء اليهم قطّ وانَّهُ ان جرى عليهِ امرٌ فهو منهم فليأخذا بثارهِ ويكونا من الرجال. وانَّهُ ان يخلص

---

١) هو بركة خان الملك السعيد ابو المعالي ابن الملك الظاهر تولى السلطنة سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٨ م) ومات بعد سنتين تقنطر بهِ الفرَس في ميدان الكرك فانكسر ضلعهُ ومات من يومهِ

٢) هو ايدمر الحطيري كان احد الامراء الكبار تولى مدَّةً نيابة الشام في ايَّام الملك السعيد ثمَّ جُعل استادار العالية في ايَّام محمَّد بن قلاوون. ومن آثاره جامع ابتناهُ في بولاق. كانت وفاتهُ نحو سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠ م)

٣) هو الامير آق سنقر الفارقاني استقرَّ نائب السلطنة بعد الامير بيليك فاقام على ذلك مدة يسيرة ثم قبض عليهِ الملك السعيد وسجنهُ بثغر الاسكندريَّة ثم ارسل بحتفهِ فخُنق سنة ٦٧٦ (١٢٧٨ م)

٤) كذا في الاصل. ولا نفهم ما المراد بقولهِ : « عند البسملة الشريفة الظاهريّ »

يكافئهما. وانهُ تحقق انَّ الذي جرى عليهِ صادر من بني ابي الجيش. وأنهم بعد ذلك ارسلوا كتباً على يد ابي الغيث بن ابراهيم (١ من عرامون الى شهاب الدين بن سحر (٢ يقدّمها ويتحدَّث عليها (٣. وأنَّ الكتب شكاوى عليهِ ويسألها امساك ابي الغيث (33 r) المذكور ومقابلتهُ».

وهذا يدلُّ على انهم امسكوهُ في عسكر وانَّ جمال الدين واخاهُ كانا في البلاد. وربَّما كان هذا العسكر في غير هذه البلاد فتوجَّه زين الدين اليهِ فتُمسك فيهِ

واما قولهُ في الكتاب انَّهم طلبوهما في العسكر فما لحقوهما فيدلّ على انَّ زين الدين سُجن قبلهما فيكون العسكر تطلَّب جمال الدين وسعد الدين بعد ذلك وامسكوهما وسجنوهما بعجلون والكرك. والدليل على ذلك انَّ سجنهما كان في ايّام الظاهر بيبرس والكتاب المذكور كُتب في ايام الظاهر لا خلاف فيهِ

ورايتُ محضرًا (٤ كُتب بعد هذه الواقعة تاريخهُ ثامن وعشرون من صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣ م) فاوردتُ اثباتهُ عند ذكر ما جرى على المذكورين من الكذب والزور. ومن مضمونهِ: « انَّ شهودهُ يعلمون انَّ تقيّ الدين نجا بن ابي الجيش بن مفرح (٥ يُعرف بالزور

١) لا نعرف لهُ خبرًا ٢) كذا في الاصل بلا ضبط ولا نقط

٣) لعلَّهُ يريد بقولهِ « يقدّمها ويتحدَّث عليها » انهُ حصل على نسخ من هذه الكتب فقدمها زينُ الدين الى جمال الدين واخيهِ وتحدَّث عنها في كتابهِ لها

٤) المَحضَر كالسجل والصكّ

٥) جاء في حاشية من اصل الكتاب ما حرفهُ: « ومفرح جدّ تقيّ الدين نجا كان افضل من ذرّيتهِ معتبرًا بين الناس. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين

والافتراء والكذب فينسب زورًا للامراء زين الدين صالح بن علي وجمال الدين حجّي واخيه لِأَبويهِ سعد الدين خضر المكاتبات الى الفرنج المخذولين وغيرهم. وذلك لأنّهُ معاند لهم وساعٍ في اذيّتهم وفيما يضرُّهم بكل طريق. وانّ تقيّ الدين المذكور توجّه الى صيداء وعكة في سلخ شهر محرم سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣ م) بكتبٍ مزوَّرة بخطهِ عن المذكورين ولم يكن عندهم من ذلك علم ولا يعلم شهوده انّ المذكورين يُنسبَون الى شيءٍ من ذلك» . وفيهِ شهود الميادنة (١ من بلد صيداء ولهم شهود بالتركيّة من قوم تحت شهاداتهم (٧٧ بخطّ قاضٍ. وهذا المحضر كُتب في ايّام المنصور قلاوون فقدَّمتُ ذكرهُ ليكون تلقاء الكتاب المذكور ليعلم الواقف على هذه التذكرة عداوة بني ابي الجيش لهذا البيت. وكان يجب تأخيرهُ الى ايّام المنصور قلاوون لأنهُ كُتب عن حادثةٍ وقعت في ايّام غير الحادثة التي ذُكرت في ايّام الملك الظاهر بيبرس

[ووقعتُ(٢ على محضَر ثانٍ كُتب لزين الدين بن عليّ ولولدَيهِ عليّ وبحتر وللجمال الدين حجي ولولدهِ محمّد ولاخيهِ سعد الدين لخضر. ومن مضمونهِ: انهم مناصحون الدولة المنصوريّة مجتهدون في قمع المفسدين واخماد

الاوراق القديمة مشترًى باسم نجم الدين محمَّد بن حجّي بن كرامة وهو بخطّ مفرح هذا وهو مفرح بن ابي الجيش بن مفرح وهو خطّ مليح يدلّ على ذكاء كاتبه. وتاريخهُ شهر ربيع الاول من سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١٢٤٠م). وجرت العادة ان يُعتبَر الذي يكتب كرجل فاضل وبليغ عارف بامر الكتابة»

١) الميدان مزرعة من اقليم جزّين

٢) ما وضعناهُ هنا بين معكفين [ ] قد ورد في ذيل الكتاب الّا انّهُ من الاصل زاده المؤلف ونبّهَ عليهِ

الفتن وانَّهُ ليس منهم احد يحبُّ الفرنج او يميل اليهم او يناصحهم وانَّ جميع ما نُسبوا اليهِ من الاجتماع بالفرنج عند نزول العساكر المنصورة بساحل مدينة صيداء بسم الله فتحها في شهور سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨ م) كان تشنيعاً من اعدائهم ومبغضيهم ليس لهُ اصل ولا حقيقة. والتاريخ في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة. وهذا في ايَّام الملك المنصور قلاوون ايضاً. فيكون من ثمَّ قد وهم بالغيب من زعم انَّ الثلاثة المذكورين سُجنوا مرَّتين. والنسخة الثانيــة في ايَّام قلاوون وافرج عنهم بيدرا. والله اعلم]

ولنرجع الآن الى ترتيب الحوادث في اوقاتها تتلو بعضها بعضاً على دول الملوك وايَّامهم. ومن الحوادث في ايَّام زين الدين وجمال الدين وسعد الدين انَّهُ حضر الى الغرب في نهار الخميس في العشر الآخر من شهر صفر سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨ م) عساكر وعشران من ولاية بعلبكّ والبقاعَين وصيداء وبيروت لقضيَّة قتــل قطب الدين السعدي. وهذا كان قد استقطع كفر عميَّه من امراء الغرب فقُتل فيها وذكروا انَّ الذي قتلهُ هو نجم الدين محمد العاقّ لابيهِ جمال الدين(١ وقد تقدَّم ذكرهُ وطَرْدُ ابيهِ

١) وجاء في حاشيــة بلحف الكتاب ما نصُّهُ: «اقوال الناس الشائعة انَّ نجم الدين محمد المذكــور هو الذي قتل القُطب. وقيل ان القطب حضر الى كفرعميه فوُجد عند الصباح مقتولاً وأخفى قاتلُهُ نفسَهُ ولم يتحقَّق الناس الامرَ فاتَّهموا بهِ نجم الدين المذكور. وزعم البعض انهُ قُتِل بايعاز زين الدين عليّ ولكنَّ الخبر الاوَّل اشهر واكثر رواةً واوضح لانَّ زين الدين بن عليّ كان معتقلاً. وقال البعض انَّ غلام القطب حمل جثَّة سيّدهِ ورماهُ في دار السعــادة والله اعلم»

له (١. فاقامت العساكر والعشران في الغرب سبعة ايّام في نهب وأسر وحريق وهدم وخراب. وكان نجم الدين محمد المذكور وشرف الدين علي ابن زين الدين بن علي قد هربا مع رفقة لهما الى شقيف كفرغوص (٢ فتحصّنوا بهِ. فحضر اليهم بعض العساكر فانزلوهم واعتقلوهم وساروا بهم وهم يتبعون المنهزمين من الغرب حتى وصلوا الى كفرفاقود(٣ فافرجوا عن المذكورين في كفرفاقود. وذكروا ان الشيخ العلَم (34^r) لمّا وصل الهاربون من الغرب الى كفرفاقود جهّز المِعزى لتدوس الطريق وتُخفي آثار الهاربين على من يتبعهم من العسكر. ولم نسمع انّهُ جرى على الغرب انحس من هذه الحادثة. ثمّ صار الامر الى يدي الملك السعيد بركة بن الظاهر ونائبهُ بالشام عزّ الدين ايدمر

ووقفتُ على نسخة مرسومٍ لم يُذكَر اسم كاتبهِ لكنهُ للملك السعيد بركة المذكور كتبهُ الى عزّ الدين (٤. ومن مضمون هذه النسخة بعد اختصار التمجيد وبعض الفاظٍ ضربتُ عن ذكرها ما نصُّهُ: « انّ الامراء الاجلاّء المقدَّمين الأعزاز زين الدين وجمال الدين وسعد الدين اولاد امير الغرب أيّدهم الله واحاط بهم علمهُ المبارك صدقاتُنا شمَلَتْهم بالاحسان اليهم صدقة مولانا الشهيد رضي الله عنهُ ورحمةٌ من ابوابنا العالية (٥ وهم الآن ملازمون الباب العزيز. وكانوا يقالون من المفسدين في بلادهم ولو انّهم اولادهم من

١) راجع ص ٨٦ و ١٠٠ ٢) نظنها من اقليم الشحّار
٣) راجع ص ٨٩
٤) عزّ الدين ايدمر نائب الشام السابق ذكره
٥) في هذا الكلام بعض التباس. ولا نعلم من المُراد بهذا المولى الشهيد أهو عليّ او الحسين او الحاكم بامر الله

الفتن وانَّهُ ليس منهم احد يحبُّ الفرنج او يميل اليهم او يناصحهم وانَّ جميع ما نُسبوا اليهِ من الاجتماع بالفرنج عند نزول العساكر المنصورة بساحل مدينة صيداء بسم الله فتحها في شهور سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨ م) كان تشنيعاً من اعدائهم ومبغضيهم ليس لهُ اصل ولا حقيقة. والتاريخ في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة. وهذا في ايَّام الملك المنصور قلاوون ايضاً. فيكون من ثمَّ قد وهم بالغيب من زعم انَّ الثلاثة المذكورين سُجنوا مرَّتين. والنسخة الثانيــة في ايَّام قلاوون وافرج عنهم بيدرا. والله اعلم]

ولنرجع الآن الى ترتيب الحوادث في اوقاتها تتلو بعضها بعضاً على دول الملوك وايَّامهم. ومن الحوادث في ايَّام زين الدين وجمال الدين وسعد الدين انَّهُ حضر الى الغرب في نهار الخميس في العشر الآخر من شهر صفر سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨ م) عساكر وعشران من ولاية بعلبكّ والبقاعين وصيداء وبيروت لقضيّة قتــل قطب الدين السعدي. وهذا كان قد استقطع كفر عميِّه من امراء الغرب فقُتل فيها وذكروا انَّ الذي قتلهُ هو نجم الدين محمد العاقّ لابيهِ جمال الدين(١ وقد تقدَّم ذكرهُ وطَرْدُ ابيهِ

١) وجاء في حاشيــة بلحف الكتاب ما نصُّهُ: « اقوال الناس الشائعة انَّ نجم الدين محمد المذكــور هو الذي قتل القُطب. وقيل ان القطب حضر الى كفرعميِّه فوُجد عند الصباح مقتولًا وأخفى قاتلُهُ نفسَهُ ولم يتحقّق الناس الامرَ فاتّهموا بهِ نجم الدين المذكور. وزعم البعض انهُ قُتِل بايعاز زين الدين عليّ ولكنَّ الخبر الاوَّل اشهر واكثر رواةً واوضح لانَّ زين الدين بن عليّ كان معتقلًا. وقال البعض انَّ غلام القطب حمل جثّة سيّدهِ ورماهُ في دار السعــادة والله اعلم »

له (١. فاقامت العساكر والعشران في الغرب سبعة ايّام في نهب وأسر وحريق وهدم وخراب. وكان نجم الدين محمد المذكور وشرف الدين علي ابن زين الدين بن علي قد هربا مع رفقةٍ لهما الى شقيف كفرغوص (٢ فتحصّنوا بهِ. فحضر اليهم بعض العساكر فانزلوهم واعتقلوهم وساروا بهم وهم يتبعون المنهزمين من الغرب حتى وصلوا الى كفرفاقود(٣ فافرجوا عن المذكورين في كفرفاقود. وذكروا ان الشيخ العلَم (34r) لمّا وصل الهاربون من الغرب الى كفرفاقود جهّز المِعزى لتدوس الطريق وتُخفي آثار الهاربين على من يتبعهم من العسكر. ولم نسمع انّهُ جرى على الغرب انحس من هذه الحادثة. ثمّ صار الامر الى يدي الملك السعيد بركة بن الظاهر ونائبهُ بالشام عزّ الدين ايدمر

ووقفتُ على نسخة مرسوم لم يُذكَر اسم كاتبهِ لكنهُ للملك السعيد بركة المذكور كتبهُ الى عزّ الدين (٤. ومن مضمون هذه النسخة بعد اختصار التمجيد وبعض الفاظٍ ضربتُ عن ذكرها ما نصُّهُ: « انّ الامراء الاجلاء المقدَّمين الأعزاز زين الدين وجمال الدين وسعد الدين اولاد امير الغرب أيّدهم الله واحاط بهم علمهُ المبارك صدقاتُنا شملتْهم بالاحسان اليهم صدقة مولانا الشهيد رضي الله عنهُ ورحمةٌ من ابوابنا العالية (٥ وهم الآن ملازمون الباب العزيز. وكانوا يقاتلون من المفسدين في بلادهم ولو انّهم اولادهم من

١) راجع ص ٨٦ و ١٠٠ ٢) نظنها من اقليم الشحّار
٣) راجع ص ٨٩
٤) عزّ الدين ايدمر نائب الشام السابق ذكره
٥) في هذا الكلام بعض التباس. ولا نعلم من المُراد بهذا المولى الشهيد أهو عليّ او الحسين او الحاكم بامر الله

اجل ما شملتهم من الصدقات واعترافهم بذلك (١ . والآن أُنهوا الى بين ايدينا الامر الذي جرى عند تجريد العسكر الى بلاد الغرب بعد موت قطب الدين السعدي لمّا توجه المجلس السامي الامير سيف الدين الزيني (٢ فسُبِيَت نساء الفلاَّحين وجُعِلنَ جواري وأُخذت اطفالهم فصاروا مماليك . وبلغنا ان بعض الفلاَّحين استردُّوا حريمهم واولادهم بعد دفع ثمنهم ونُهبت خيولهم واغنامهم وابقارهم وقُماشهم . فلمَّا بلغنا هذا الإنهاء لم يعجبنا (٣٤ ٧) ذلك ولا وافق غرَضنا وأباهُ عدلُنا . وما كان القصد من هذا التجريد سوى تتبُّع المفسدين الذين اعتمدوا الفساد في البلاد وضَبْط من وافقهم على ذلك . وقد سأل اولئك الفلاَّحون الاميرَ الأجلَّ الاخصَّ جمال الدين حجّي ان يتوجَّه الى خدمة المجلس العالي ليلتمس من صدقات هذه الدولة ورحمتها ان يتقدَّم المجلس العالي بطلب حريم الفلاَّحين واولادهم في ايّ جهةٍ كانوا وان يُعادوا الى اهلهم. وكذلك مَنْ بيع منهم وقُبِض ثمنهُ فانَّنا نأمر بان يعتمد المجلس العالي طلبَ ذلك الشخص الذي حاول هذه الامور ويَستعيد منهُ الثمن . وان تُطلَب خيلهم واغنامهم وابقارهم وقُماشهم وتُعاد اليهم ولو كان ذلك عند امير او جندي او مقدَّم او تركماني او عند ايّ كانْ كان لانَّا قد انكرنا كون نساء المسلمين يُسْبَيْنَ وتُسْتَرَقّ اولادهم . وقد سألوا ان يُطَّلع على اولادهم فمن كان منهم من اهل الفساد وهو مدرك إدراك الرجال يبقى في اعتقال السلطنة خلَّد الله بقاءها وتحت

١) كذا في الاصل ولا يخفى ما في هذا الكلام من الابهام والتعقيد . ولعل المراد انَّ التهمة وقعت عليهم زورًا وهم ممن شملتهم نِعَمُنا يعترفون بافضالنا وانَّما المذنبون اولادهم

٢) لم نطلع على شيء من اخباره

رحمتنا. ومن كان خلاف ذلك وهو دون البلوغ او لم يَبْدُ منهُ فساد فقد طلبوا من صدقاتنا الانعام عليهم بحضور الجميع الى الباب الشريف ويُفسَح للامير جمال الدين حجّي في العود الى الديار المصرية ولمن يحضر معهُ من اهلهِ واصحابهِ. وقد اجبنا سؤالهم ذلك لأنهم ملازمون الباب الشريف وصدقاتُنا تجري عليهم وهم في إحساننا»

وتاريخ هذا المرسوم (٣٥) ثاني جُمادى الاولى سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨م) وهو يدلُّ على انهم كانوا قد افرجوا عن الثلاثة اي زين الدين وجمال الدين وسعد الدين وقولهُ «صدقاتُنا شملتهم بالاحسان اليهم صدقة مولانا الشهيد» فهو دليل على انّ السلطان بَرَكة هو الذي افرج عنهم من سجن ابيهِ. (قلتُ) فيكون الافراج عنهم فيما بين تاريخ المرسوم السابق ذكرهُ وجلوس بركة في السلطنة وهو قريبٌ من سنة وشهرين. وقد ذكرنا انّ خبر حركة القطب بلغتهم وهم مقيمون في السجن (١

ومن الممكن انّ الافراج عنهم كان عند سماعهم الخبر اتّفاقًا قدّرهُ الله. ولفظ المرسوم يدلُّ على ذلك. وان قلنا انهم كانوا قد حضروا من مصر الى بلاد الغرب ولمّا جرت حركة القُطب عادوا الى مصر من سببها فانّي لم اجد دليلًا على ذلك فضلًا من انهُ لم يكن اتّفق عود الثلاثة الى مصر بجملتهم

١) ورد في حاشية الكتاب ما نصّهُ: «ومن الناس من قال انّ القطب قُتل باشارة زين الدين ابن عليّ المذكور فان كان هذا صحيح يكون نجم الدين محمّد ابن جمال الدين بريئًا من قتلهِ. وقيل انّ الثلاثة المسجونين قد حضروا الى بلاد الغرب ثم عادوا الى مصر من جهة حركة القطب واخذوا المرسوم المذكور وارسلوهُ الى دمشق على يد جمال الدين وبقي زين الدين وسعد الدين بمصر والله اعلم»

بيروت من اعمال الدامور على عادته المستقرَّة في ايَّام الملك الناصر بن أيوب. وتاريخ منشور الملك العزيز في الخامس والعشرين من جمادي الاولى سنة تسع عشرة وستمائة (١٢٢٢ م)

ووقفتُ ايضاً على كتاب لحجي من السلطان بالعلامة المذكورة من مضمونه المختصر انَّهُ جهَّز الى الفرنج بان يُجْزوا حجي واصحابهُ على عادتهم ورسومهم واطلاقاتهم. وان لا يعسروا عليهِ عادةً وإن خالفوا لا يلوموا الَّا انفسهم ويضمن لحجي اذا طيّب قلبهُ وشرح صدرهُ ان لا يعسر عليهِ الفرنج. وهذا يدلُّ على مهادنة الفرنج في ذلك الوقت وانَّ حجي ارسل وتشكَّى منهم

وحجي المذكور جرى لهُ حوادث كثيرة مع الفرنج لانَّ في ايَّامهِ كانت قوَّة شوكتهم وكانوا قد قتلوا اخوتهُ واخربوا حصنهم وربَّما كان خاطرهُ مكدَّرًا عليهم (١ ...

وقد سمعتُ بعض المتقدّمين يقول لمَّا خُرب حصن سرحمُور سكن حجي واقاربهُ طردلا ثمَّ بعدها اعبَيه واماَّ عليّ بن بُحتر فانفرد الى عرامون ومنهُ الذرّيَّة وسكنوا طردلا ثمَّ بعدها اعبَيه. ومن ولد عليّ المذكور زينُ الدين وذرّيتُهُ الذين سكنوا عرامون وسيأتي ذكرهم ان شاءَ الله تعالى. وربَّما كانت مدَّة حجي المذكور طويلةً لاننا قلنا عنهُ انَّهُ حضر فتوح بيروت مع الملك الناصر بن أيوب وعمرهُ نيّف وعشرون سنة وبقي الى بعد السنة الستمائة سنين كثيرة. ولم أقف لحجي المذكور ولا لوالدهِ كرامة ولا لعمّهِ

١) قد ورد هنا في الاصل منشور آخر أعطي لحجّي بن محمَّد بن حجّي رواهُ المؤرخ هنا سهوًا وقد نبّه على غلطهِ في حاشية سيأتي ذكرهُ في محلّهِ

ا انَّ الاقدمين وثقوا
دَهم اخبارَهم ولهذا
لي الغزّي شاعر اعراء
ذكرًا لانسابهم :

فت بهِ قحطانُ
طيّهِ نعمانُ(١

بن حجي بن كرامة .
دتهِ في مُشاغرة للفرنج
الملك الكامل محمَّد
لامة : ايوب بن محمد
مة . وسطرُ مضمونهِ :
ن القبائل عُمدة الملوك
ديده ورعايتهُ شكرَنا
هُ ويشرح صدرهُ
ان الذي تقرُّ

كتاب .
قد

بهِ عينهُ وينبسط أملهُ والزيادة في معلومهِ الشريف لهُ ولمن معهُ فيستجلب كلَّ من يقدر عليهِ للخدمة ويعرّفهم ما لهم منها وفي المحافظة عليها من سابغ النِعَم. ونحن بمشيئة الله واصلون الى البلاد عن قريب فليكن الامير على أهبة للقائنا هو ومن معهُ ليظهر عليهم اثر الانعام وليُحرزوا من الاكرام والتقريب اوفر الاقسام ويطالع بمجدداتهِ (١ وكَتب في سادس شهر ذي الحجَّة (٢. ولم يُذكر اي سنة سكن نجم الدين المذكور طردلا وتزوَّج من الغزنويَّة من المطاوعة (٣ واماَّ وفاتهُ فاني قد وجدتُ بخطوط السلَف مكرَّرًا في عدَّة مواضع وهو انَّ اولاد ابن امير الغرب (25ʳ) نجم الدين محمد واخيهِ شرف الدين عليّ قُتلوا في ثغرة الجوزات (٤ بكسروان في السادس من ربيع الآخر سنة اربعين وستمائة (١٢٤٢م). واسماء اولادهِ جمال الدين حجي وسعد الدين خضر

الطبقة الاولى

ولدهُ جمال الدين حجّى بن نجم الدين محمَّد بن حجّي

ثمَّ من بعدهِ نذكر ولدهُ جمال الدين ويُعرف بجمال الدين الكبير. لهُ

١) كذا في الاصل وفيهِ تصحيف ظاهر

٢) راجع الصفحة ٦٦٨ من كتاب اخبار الاعيان

٣) الاصل مبهمٌ في هذه الالفاظ الاخيرة لعلَّهُ يريد انَّهُ تزوَّج بفتاة من قوم يدعون المطاوعة الذين اصلهم من الغزنويَّة . والغزنويَّة دولة ملكت في الهند .

٤) في الاصل التباس وفيهِ ورد ما حرفهُ : « وهو (كذا) قتلوا اولاد ابن امير الغرب نجم الدين محمَّد واخيهِ شرف الدين عليّ في ثغرة الجوزات » . ولم نطَّلع على موقع ثغرة الجوزات

منشور من الملك الناصر(١ يوسف ابن الملك العزيز سلطان دمشق(٢ العلامة : « الحمد لله على نعمائه » جهاتهُ : عرامون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمطون وقدرون ومُرتعون والصباحيَّة وسرحمور وعيناب وعين عنوب والدوير(٣ تاريخـهُ في خامس وعشرين صفر سنة خمسين وستمائة (١٢٥٢ م)

ولهُ ايضاً منشور من الملك الظاهر بيبرس: العــلامة « المستعان بالله » وجهاتهُ: عاليـه ومجدلياً وشارون وعرامون وعين درافيل وطردلا ودقُّون وعين كسور وقدرون وشِمْلال ومَرْتعون وسرحّمور وبطلون وعيناب والدوير وبتاثر ويَنْصور وكفرعميَّهْ وعيتاث (٤ تاريخهُ في رجب من سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١م)

---

١) جاء في ذيل الكتاب :« حاشية مقدَّمة على منشور الناصر . ومن الناصر هذا توقيع ايضاً لجمال الدين حجّي باجرائهِ على اقطاعهِ وعوائده ووصيّتــهِ بهِ . تاريخهُ صفر سنة ثمان واربعين وستمائة (١٢٥٠م) ويُسند في التوقيع على المنشور الذي بيدهِ من الملك الصالح عماد الدين »

٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمَّــد بن غازي بن صلاح الدين كان مالكاً على حلب فدعاهُ اهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م). ولما ظهر التاتار اخذوا منهُ حلب ففرَّ منهم هارباً الى غزَّة ثمَّ شخص الى هولاغو فاكرمهُ اوّلاً ثم امر بقتلهِ وقتــل اخيهِ الملك الظاهر غازي سنة ٦٥٩ (١٢٦١)

٣) اغلب هذه القرى موقعها في مقاطعة الغرب الاسفل. وقد مرَّ ان الدُّوَير من مقاطعة الجرد. ولم نعرف موقع رمطون وقدرون ومرتعون والصباحيَّة

٤) عين عنوب وسرّحمور وعرامون وعين كسور من الغرب الاسفــل وعاليَه وعيتاث ويَنصور وشِمْلال (ويقال شملان) وعيناب ومَجدَلياً من الغرب

وكان لهُ ولد اسمهُ نجم الدين محمَّد سميّ جدّهِ وكان اكبر ولدهِ فعقَّهُ وظهر منهُ ما اوجب طردَهُ عنـهُ . ولجمال الدين منشور من الملك المنصور قلاوون من مضمونهِ بان يقيم عوض ولدهِ نجم الدين محمدٍ اخاهُ شهابَ الدين احمد وذلك لسوء سيرة نجم الدين وعدم شكر النـاس منهُ . وجهاتهُ جهات المنشور الأوَّل تاريخهُ في الحادي والعشرين من ذي الحجَّة سنة (١ (٦٧ 25)

ولمَّا حضر هلاوون (٢ ملك التـاتار الى مملكة الشام واضطربت دولة الاسلام توجَّه جمال الدين محمد المذكور الى دمشق فلم يلحق الملك الناصر صاحبها ثم استولى كتبغا عليها بالنيـابة عن استاذهِ هلاوون . فاجتمع جمال الدين بالمذكور وكتب لهُ منشورًا على طرَّتهِ غير العلامة فوق البسملة : « مالك بسيطة الارض هولاكو خان زيدت عظمتهُ » . وامَّا العلامة فبعد البسملة الشريفة سُطّرت بعدها بخطٍ ضعيف « توكلتُ على الله » . وأمَّا بدء الترجمة فهو : « رُسم بالامر العالي المولوي السلطاني الملكيّ السيـدي المجيديّ زاد الله في علائهِ وضاعف موادَّ نفاذهِ ومضائهِ ان يُجرى في اقطاع الامير الاجلّ الاوحد الاعزّ المختار جمـال الدين عمدة الملوك والسلاطين حجّي

الاعلى . ودقُّون وعين درافيل من الشَّحار التي قاعدتها اعبَيْه . وكفرعمَّيْه والدوير وشارون من الجُرْد والقاعدة فيها بتاثر . امَّا قدرون ومرتعون وبطلون فلم نستدلَّ علي موقعها

١) كذا جاء بدون تعريف السنة . وجاء في ذيل الكتاب : « وقفتُ على تمليك من جمال الدين حجّي المذكور لاولادهِ جميعهم دون محمَّد وجَعْل محمَّـد محرومًا . وتاريخ التمليك ثاني ذي القعدة سنة ست وثمانين وستمائة (١٢٨٧ م) وهو مثبوت على القضاة

٢) يريد هولاغو ملك التتار فاتح بغداد المتوفَّى سنة ٦٦٤ (١٢٦٦ م)

منشور من الملك الناصر(١ يوسف ابن الملك العزيز سلطان دمشق(٢ العلامة : « الحمد لله على نعمائهِ » جهاتهُ : عرامون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمطون وقدرون ومُرتعون والصباحيَّة وسرحمور وعيناب وعين عنوب والدوير(٣ تاريخــهُ في خامس وعشرين صفر سنة خمسين وستمائة (١٢٥٢ م)

ولهُ ايضاً منشور من الملك الظاهر بيبرس: العــلامة « المستعان بالله » وجهاتهُ: عاليــه ومجدلياً وشارون وعرامون وعين درافيل وطردلا ودقُّون وعين كسور وقدرون وشِمْلال ومَرْتعون وسرحّمور و بطلون وعيناب والدوير وبتاثر وبَيْصور وكفرعميَّة وعيتاث (٤ تاريخهُ في رجب من سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١م)

---

١) جاء في ذيل الكتاب :« حاشية مقدَّمة على منشور الناصر . ومن الناصر هذا توقيع ايضاً لجمال الدين حجّي باجرائهِ على اقطاعهِ وعوائدهِ ووصيَّتــهِ بهِ . تاريخهُ صفر سنة ثمان واربعين وستمائة (١٢٥٠م) ويُسند في التوقيع على المنشور الذي بيدهِ من الملك الصالح عماد الدين »

٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمَّــد بن غازي بن صلاح الدين كان مالكاً على حلب فدعاهُ اهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م). ولما ظهر التاتار اخذوا منهُ حلب ففرَّ منهم هارباً الى غزَّة ثمَّ شخص الى هولاغو فاكرمهُ اوّلاً ثم امر بقتلهِ وقتــل اخيهِ الملك الظاهر غازي سنة ٦٥٩ (١٢٦١)

٣) اغلب هذه القرى موقعها في مقاطعة الغرب الاسفل. وقد مرَّ ان الدُّوَير من مقاطعة الجرد. ولم نعرف موقع رمطون وقدرون ومرتعون والصباحيَّة

٤) عين عنوب وسرحّمور وعرامون وعين كسور من الغرب الاسفــل وعاليَه وعيناث وبَيْصور وشِمْلال (ويقال شملان) وعيناب ومَجدَلَيًّا من الغرب

والكند اسطبل (١ سير حوان (٢ تاريخهُ نهــار الخميس الموافق لسنة الف وخمسمائة وسبع وستين للاسكندر (٣]

ومن كتابٍ من آقوش المذكور ايضاً الى جمال الدين يفيدهُ (26^r) انهُ بلغهُ انهُ قلّ رجالهُ وانّ هذا الوقت يجب فيهِ التيقُّظ وان يقوم بتجهيــز الرجال الى جهة صيداء

ومن مضمون مثالٍ من ملك الامراء لاجين (٤ نائب الشام عن الملك المنصور قلاوون الى جمال الدين وزين الدين ابن عليّ انّهُ اذا بلغهما توجُّه المقرّ الشمسيّ سنقر المنصوري (٥ بالعساكر المنصورة الى جهة كسروان والجرد

١) الكند اسطبل تعريب اللفظة اللاتينيَّة (Comes stabuli) اي امير آخور والفرنج يدعونهُ (Connétable)

٢) كذا في الاصل ونظن ان « حوان » تصحيف جوان يريد جوان دي لاتور (Johann de la Tour) كان متولّياً رتبة كند اسطبل في صيداء من سنة ١٢٥٣ الى ١٢٦١ (راجع جداول الفرسان الالمانيــين .Tab. Ord. Theut 103, 114, 117)

٣) ورد في حاشية الكتاب ما نصُّهُ: « نذكر بيان هذا التاريخ مع تاريخنا اليوم وهي سنة اربعين وثمانمائة عربيَّة هجرية (١٤٣٦ م) وتوافق سنة الاسكندر الف وسبعمائة وثمانية واربعين فيكون لتاريخ المكتوب المذكــور مائة واحدى وثمانون سنة شمسيَّة سريانيَّة التي عليهــا التاريخ الرومي. فيكون تاريخها العربي مائة سنة وثمانين سنة ونصف هلاليَّة عربيَّة تقريباً. فهذا التاريخ كان في ايَّام جمال الدين حجّي بن محمَّد بن حجّي وذلك في اواخر دولة بني أيُّوب في الشام واوائل دولة الترك بمصر وربَّما كان تاريخ هذا المكتوب سنة اربع وخمسين وستمائة هجرية ٤) راجع الصفحة ٤٧

٥) راجع ص ٤٠. والمقرّ من القاب الشرف في عهد المؤلف. قال الظاهري في زبدة كشف الممالك (ص ١٠١): « اجلّ المكاتبات المقرّ الكريم ثمَّ المقرّ العالي». ويريد بالشمسي النسبة الى شمس الدين

منشور من الملك الناصر(١ يوسف ابن الملك العزيز سلطان دمشق(٢ العلامة : « الحمد لله على نعمائه » جهاتهُ : عرامون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمطون وقدرون ومُرتعون والصباحيّة وسرحمور وعيناب وعين عنوب والدوير(٣ تاريخــهُ في خامس وعشرين صفر سنة خمسين وستمائة (١٢٥٢ م)

ولهُ ايضاً منشور من الملك الظاهر بيبرس: العــلامة « المستعان بالله » وجهاتهُ: عاليــه ومجدلياً وشارون وعرامون وعين درافيل وطردلا ودقُّون وعين كسور وقدرون وشِمْلال ومَرْتعون وسرحّمور و بطلون وعيناب والدوير وبتاتر وبَيْصور وكفرعميَّة وعيتات (٤ تاريخهُ في رجب من سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١م)

---

١) جاء في ذيل الكتاب : « حاشية مقدَّمة على منشور الناصر . ومن الناصر هذا توقيع ايضاً لجمال الدين حجّي باجرائهِ على اقطاعهِ وعوائدهِ ووصيَّتــهِ بهِ . تاريخهُ صفر سنة ثمان واربعين وستمائة (١٢٥٠م) ويُسند في التوقيع على المنشور الذي بيدهِ من الملك الصالح عماد الدين »

٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمَّــد بن غازي بن صلاح الدين كان مالكاً على حلب فدعاهُ اهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م). ولما ظهر التاتار اخذوا منهُ حلب ففرَّ منهم هارباً الى غزَّة ثمَّ شخص الى هولاغو فاكرمهُ اوَّلاً ثم امر بقتلهِ وقتــل اخيهِ الملك الظاهر غازي سنة ٦٥٩ (١٢٦١)

٣) اغلب هذه القرى موقعها في مقاطعة الغرب الاسفل. وقد مرَّ ان الدُّوَير من مقاطعة الجرد. ولم نعرف موقع رمطون وقدرون ومرتعون والصباحيَّة

٤) عين عنوب وسرّحمور وعرامون وعين كسور من الغرب الاسفــل. وعاليَه وعيتات وبَيْصور وشِمْلال (ويقال شملان) وعيناب ومَجدَليَّاً من الغرب

وخروج اقطاعهم واملاكهم عند فتوح طرابلس المحلّقة بها. وسنذكر ذلك ان شاء الله عند ذكرنا زين الدين بن علي ونستوفي تمام ذكر الاقطاعات عند ذكر ناصر الدين الحسين. ومنها حركة القطب (١ وغير ذلك. وكان جمال الدين رجلًا طيبًا ديّنًا خيّرًا لم يوجد في زمانهِ مثلهُ وكان يُعَدّ من الاولياء لزم القناعة والزهد في آخر عمرهِ. ولما استرجعوا الاقطاعات والاملاك قنع منها بعد الكثير بالقليل وهي عين درافيل ومزرعة شمشوم ومزرعة مرتعون وشكارة وقرطبة (٢ عطية من اقاربهِ بخطوطهم من غير منشور وذلك في سنة اربع وتسعين وستماية. سكن طردلا اول عمرهِ. ثمّ اخذ بيت ابرهيم من الطوارقة من بني عبدالله (٣ وعوّض عنهُ ببيتهِ في طردلا وموضعهُ الآن يعرف بدار الامراء. فجدّد جمال الدين عمارة البيت الذي اخذهُ بعد سَنَد القطبُ وسكنهُ بعدهُ ولدهُ شجاع الدين عبد الرحمن وهو المعروف ببيت شجاع الدين الى وقتنا هذا وهو اوّل من سكن اعبَيْه من الامراء. ثمّ تشبّه بهِ اخوهُ سعد الدين وولدهُ ناصر الدين على ما سنذكرهُ ان شاء الله. وهذا تاريخ مولدهِ نقلًا عن خطّ ناصر الدين الحسين (27^r) قال: ميلاد العمّ جمال الدين حجّي بن محمد منقول عن خطّهِ (تغمّدهُ الله برحمتهِ) في ليلة اسفر صباحها الثلثاء الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخر سنة ثلاث

١) يريد قطب الدين السعيديّ وُجد مقتولًا في كفرعمّيه فوقعت الشبهة بقتلهِ على امراء الغرب فسارت اليهم عساكر الشام ونهبوا اموالهم واعتقلوا منهم سنة ٦٧٧ (١٢٧٨م). وسيأتي ذكر قطب الدين هذا

٢) هذه المزارع معروفة الى يومنا الّا بعضها وهي في مقاطعة الغرب. امّا قرطبة فهي ضيعة كبيرة قرب العاقورة

٣) راجع ص ٧٠

منشور من الملك الناصر(١ يوسف ابن الملك العزيز سلطان دمشق(٢ العلامة : « الحمد لله على نعمائه » جهاتهُ : عرامون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ورمطون وقدرون ومُرتعون والصباحيّة وسرحمور وعيناب وعين عنوب والدوير(٣ تاريخـهُ في خامس وعشرين صفر سنة خمسين وستمائة (١٢٥٢ م).

وله ايضاً منشور من الملك الظاهر بيبرس: العـلامة « المستعان بالله » وجهاتهُ: عاليـه ومجدلياً وشارون وعرامون وعين درافيل وطردلا ودقّون وعين كسور وقدرون وشِمْلال ومَرْتعون وسرحّمور وبطلون وعيناب والدوير وبتاتر وبَيْصور وكفرعميّة وعيتات (٤ تاريخهُ في رجب من سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١م)

---

١) جاء في ذيل الكتاب: « حاشية مقدَّمة على منشور الناصر . ومن الناصر هذا توقيع ايضاً لجمال الدين حجّي باجرائهِ على اقطاعهِ وعوائده ووصيّتـهِ بهِ . تاريخهُ صفر سنة ثمان واربعين وستمائة (١٢٥٠م) ويُسند في التوقيع على المنشور الذي بيدهِ من الملك الصالح عماد الدين »

٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمّـد بن غازي بن صلاح الدين كان مالكاً على حلب فدعاهُ اهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م). ولما ظهر التاتار اخذوا منهُ حلب ففرَّ منهم هارباً الى غزَّة ثمَّ شخص الى هولاغو فاكرمهُ اوَّلًا ثم امر بقتلهِ وقتـل اخيهِ الملك الظاهر غازي سنة ٦٥٩ (١٢٦١)

٣) اغلب هذه القرى موقعها في مقاطعة الغرب الاسفل. وقد مرَّ ان الدُّوَير من مقاطعة الجرد. ولم نعرف موقع رمطون وقدرون ومرتعون والصباحيّة

٤) عين عنوب وسرّحمور وعرامون وعين كسور من الغرب الاسفـل. وعاليَه وعيتات وبَيْصور وشِمْلال (ويقال شملان) وعيناب ومجدليّاً من الغرب

اشتراهم بماله فكان يرسل معهم خيلهُ يُرتعهم في المَتْن وكفر سُلوان(١ وعَلَّك (27r) مروجاً لمراعي خيله

وقد وجدتُ باسم سعد الدين منشورًا من الملك المعزّ أيبك التركماني اوّل سلاطين الترك(٢ والعلامة: «حسبي الله» جهاتهُ من الشوف والمعاصر الفوقانيـة (٣ وبَعْذران وعين ماطور وبشـلون وعين اوزَ يه وكفرنبرخ وابريح وغريفة (٤ ومن وادي التيم تنُّورة وظهر حمار (٥ . ومن اقليم الخرُّوب (٦ برجة وبعاصير والشحيم (٧ تاريخهُ في السابع والعشرين ربيع

١) كفرسلوان من مقاطعة المَتْن معروفة الى يومنا

٢) هو اوَّل ملوك الاتراك في مصر بعـد الدولة الايوبيَّة كان مملوكاً لنجم الدين ايوب فاعتقهُ ثم صار اتابكاً للعساكر. ولمَّا قُتل الملك المعظَّم توران شاه وخُلعت زوجتهُ شجرة الدر عن السلطنَة تولَّى ايبك الامر سنة ٦٢٨ (١٢٥٠) حتَّى تآمرت عليهِ شجرة الدرّ فقتلتهُ سنة ٦٥٥ (١٢٥٧م)

٣) لعلَّهُ يريد معاصر الفخَّار من قرى الشوف. ومن هذه المقاطعة بعذران وعين ماطور (راجع اخبار الاعيان في جبل لبنان ص ٣٠). وقد ورد هنا في ذيل الكتاب ما نصُّـهُ: «هذان المنشوران استرجاع»

٤) بثلون (وعند العامَّة بتلون) وعين اوزيه (ويقال وزَيه) وكفرنَبْرَخ وإبريح (وعند العامَّة بريح) ذكرها صاحب اخبار الاعيان (ص ٣٠) في جملة قرى مقاطعة العرْقوب لا في الشوف. امَّا الغُرَيفة فعدّها من الشوف السويجانيّ. ولا شكَّ انَّ تقسيم المقاطعات قد تغيَّر مع الزمان

٥) وادي التيم مقاطعـة لا تدخل في لبنان تعَدُّ من جبـل الشيخ وهي غربيّ دمشق بجهات حاصبياً وراشياً. ومن قراها عين تنوُّرة. اما ظهر حمار فلم نجد لها ذكرًا ولعلَّها المعروفة اليوم بظهر الاحمر

٦) اقليم الخرُّوب من مقاطعات لبنان شرقيّ شمالي صيداء وغربيّ الشوف

٧) مرّ ذكر برجة. والشحيم قاعدة اقليم الخرُّوب. وفي قربها بعاصير او المعاصير

. وستمائة (١٢٣٦م) . ووفاتهُ نقلًا عن خطّ ناصر الدين ايضاً العصر
الثلثاء في الثاني عشر من شوّال سنـــة سبع وتسعين وستمائة
(

. لاده نجم الدين محمَّد عقَّ اباهُ فطردهُ الى عيناب وتزوّج
. يسمون (١ . ومن ذرّيتهِ الامراء بعيناب . وامّهُ غير امّ
. وسيأتي ان شاء الله ذكرهُ في غير هذا الموضع . ثمَّ شهاب
ن عبد الرحمن وشمس الدين عبدالله وفخر الدين عبد

. لك تاريخـــهُ(٢ من جمال الدين حجّي لاولادهِ
الدين محمد اخيهم وهو يجمع اقطاعهُ وملكة
الدين محمد وقصداً للتبرى منهُ

اصول بني عبدالله وامُّهُ من البيت. نشأ بطردلا وتزوَّج من كفرفاقود ورحل اليها في لفيف قرابتهِ ولزمهُ معضاد بن عبد الدين فصائل (كذا) ابن معضاد. وكان معضاد اميرًا ومقدَّمًا على الاشراف وكان اقطاعهُ عين حجّة وادفول ونصف قطرة (١ ثمَّ انتقـل ذلك الى بني سعدان ومن بني سعدان الى علاء الدين عليّ بن زين الدين. واماَّ الشيخ العَلَم فانَّهُ رُزق الدين والدنيا والسعـة والحرمة الوافرة وكان مشكورًا عند اهل زمانهِ

ولنرجع الى ذكر سعد الدين خضر. فلمَّا كبر في العمر نزل عمَّا كان في يدهِ لولدهِ الحسين واستراح في بيتـهِ (٢ وكان مولدهُ في رجب سنـة تسع وثلاثين وستمائـة ووفاتـهُ نهـار الخميس ثاني عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة. اسماء اولادهِ ناصر الدين الحسين وامّهُ الكفرسلوانيّة. ثمَّ عزّ الدين الحسن وعلاء الدين عليّ وفتح الدين محمَّـد وشرف الدين سليمان وصلاح الدين يوسف وزين الدار (٣ وامّهم سارة بنت الشيخ العلم وهي زوجتهُ الثانية

---

١) جاء في الاصل في ذيل الكتاب ما حرفهُ: «اخذوهُ من جمال الدين محمود بن معضاد المذكور» (اه). امَّا الضيع المذكورة فهذا موقعها: عين حجَّـة وادفول (ويقال لها اليوم دفون) من الغرب الاعلى. وقطرة (او كفر قطرة) من المناصف

٢) جاء في حاشية الكتاب: «ومن الدليل ان سعد الدين المذكور في آخر عمره لم يتعلَّق على اقطاعٍ مرسومٌ وجدتهُ من الناصر محمد بن قلاوون من مضمونهِ انهُ يلازم الخدمة وليس لهُ اقطاع ولهُ سعارى (كذا) مبلغ من درهـا (كذا) وانَّها لا تعارض. وتاريخ المرسوم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥م)»

٣) راجع جداول النسب في آخر الكتاب. امَّا زين الدار فهي اخت المذكورين

(28^v) ومن الطبقة الاولى جدّ الامراء بعرامون

قد تقدّم الكلام في انّ زين الدين بن عليّ كان معاصرًا لجمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ابنَيْ نجم الدين بن محمد حجّي (١ وانّهُ ابن عم جدّهما فيجب ذكرهُ بعدهما (٢ وذكر ما كان في ايّام هؤلاء الثلاثة من الحوادث المعاصرة لكونهم في زمن واحد

ذكر الامير زين الدين صالح بن عليّ ابن بحتر بن عليّ امير الغرب

كان زين الدين من اشجع اهل زمانهِ واشدّهم بأسًا ذا كرم وافر ومروءة زائدة (٣ وهو الذي شيّد مجد البيت مع ناصر الدين الحسين ولو لم يكن الّا عمائرهما لكان لهما بها المجد الوافر

١) وفي حاشية الكتاب ما نصّهُ : انَّ سعد الدين المذكور كان قبل وفاتهِ قد اوصى لولدهِ ناصر الدين الحسين بنصف جميع املاكهِ ولاخوتهِ الخمسة المذكورين بالنصف الثاني فكان ناصر الدين مخصوصًا بالنصف وحدهُ دونهم

٢) راجع جدول نسب زين الدين في آخر الكتاب

٣) ورد في ذيل كتاب المؤلف ما نصّهُ : وموجب معاصرتهِ لجمال الدين وسعد الدين انّهُ كان مولدهُ في اواخر ايّام ابيهِ وكان لهُ اخٌ يسمّى بحترًا سميّ جدّهِ وكان اكبر من زين الدين المذكور بسنين كثيرة لانهُ كان رجلًا يتصرّف لنفسهِ في سنة اثنتين وستمائة (حسب ما تقدم ذكر المكتوب) بنصف فدّان من رمطون والله اعلم. فزين الدين بن عليّ المذكور قد شُهر عنهُ انّهُ وُلّي يتيمًا صغيرًا عند جمال الدين حجي وسعد الدين خضر ولدي محمّد بن محمّد فكان

وقد وجدت بخطّ بعض السلف: حضر ابن ودود (كذا) وابن حاتم(١ الى الغرب وصحبتهما العساكر وجمعا عليهِ العشران من ولاية بعلبك والبقاعين فكسرهم اولاد امير الغرب ونهبوهم ثمّ امَّنوهم وخلّوا سبيلهم وذلك بقرية عيتات اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة (١٢٥٩ م). وسمعتُ ممَّن لهم دُربة باخبار الناس انَّ زين الدين المذكور كان سبب كسرتهم ولهُ في هذه الكائنة شهرة كبيرة

(قلتُ) وهذه الكائنة حدثت في ايَّام الناصر يوسف سلطان الشام والُمعزّ ايبك التركماني سلطان مصر(٢ كان بينهما خُلف وحرب وكانت الفرنج بالسواحل(٣ والمظنون عليهِ انَّ الشاميين كانوا قد نسبوا امراء الغرب الى المصريين فعملوا معهم ذلك. ومن الدليل (29^r) على ذلك وجود المنشور الذي من المعزّ ايبك باسم سعد الدين خضر المقدَّم ذكرهُ في ترجمة سعد الدين المذكور وقلنا انَّ الفكر يتحيَّر فيهِ لكون بيروت من الشام والمنشور مصريّ. وكان الناصر يروم اخذ مصر والمعزّ يروم قهر الناصر وبقي الامر بينهما على المنازعة حتى مشى بينهما نجم الدين البادرَّاي(٤ فاصلح بينهما واتَّفقا على ان الشام الى العريش(٥ تكون للناصر والديار المصرية للمعز وذلك في سنة ثلاث وخمسين وستمائة (١٢٥٥ م).

عندها وتزوَّج اختها صادقة وسكن عرامون. وقد سبق ذكرهُ وبيَّنَّا عنهُ انهُ كان اصغر سنًّا من جمال الدين وسعد الدين والله اعلم

١) لم نطَّلع على شيء من اخبارهما ٢) راجع ص ٨٨

٣) قال المؤلف في ذيل كتابهِ: «ولم أطَّلع على موجب ذلك»

٤) لم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ

٥) العريش مدينة من اعمال مصر بقرب حدود الشام على شاطئ البحر

وقد تقدّم ذكر قَتْل المعزّ بمصر وقتل هولاكو للناصر. ثمّ استقرّ بعد المعزّ في مملكة مصر قطز (١ ثمّ خرج قطز بالعساكر المصرية لقتال التتار

وسمعتُ ممَّن لهُ دُرْبَةٌ باخبار الاوائل بانّ زين الدين بن عليّ كان قد توجّه الى التتار لمَّا استـــولوا على دمشق وكان كَتبغا فويز (٢ نائبًا عن هولاكو. فخاف زين الدين منهم وتوجّه اليهم اكتفاء من شرّهم. وكان جمال الدين حجي بن محمَّد بن حجي قد تقدمهُ اليهم كما ذكرنا. فلمَّا بلغهما خبر قدوم قُطُز بالعساكر المصريَّة تشاورا وحصــل بينهما اتّفاق على ان يتوجَّه زين الدين الى العسكر المصري ويقيم جمال الدين عند التتار بدمشق حتّى اذا انتصر احد الفريقين سدَّ المُنتصِر خلّة رفيقهِ وخلَّة البـــلاد قصدهما بذلك اصلاح الحال. فحضر زين الدين القتال الذي صار في عين الجالوت (٣ بين عسكر مصر والتتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثماني وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م). فانهزم التتـــار وتحصَّن منهم شرذمة (29v) في ذروة الجبل. فكان زين الدين المذكور مع مماليك السلطان

١) هو ثالث ملوك الترك في الديار المصرية. كان من مماليك المعزّ ايبك ورقي في دولتهِ ثمَّ صار اتابك العساكر في ايَّام الملك المنصور عليّ ابن المعزّ فلمَّا خُلع المنصور تسلطن قُطُز سنة ٦٥٧ (١٢٥٩ م) وتسمَّى بالملك المظفَّر وحارب التتار فغلبهم عند عين جالوت وفي بيسان. وقُتــل بعد انتصارهِ بقليل قتلهُ الامير ركن الدين ظاهر بيبرس بموافقة الامراء بعد سنة لملكهِ

٢) كتبغا هذا كان احد امراء هولاغو ملك التتار استنابهُ على البـــلاد الشاميَّة ثمَّ قُتل سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) في عين جالوت لمَّا ظفر المسلمون بالتتار. ويقال لهُ في كتب التواريخ كتبوغا فويز بك (راجع تاريخ ابن اياس الجزء الاوَّل ص ٩٨).

٣) هي مدينة صغيرة بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين

في حصار التتار وكان يرمي عن قوس قويّ فاعجب مماليكَ السلطان رميهُ وصاروا يقدّمون لهُ النشّـــاب من تراكيشهم (١ ثمّ حضر قدّام السلطان وكان اشتهر مجيئـــهُ الى التتار فشهد لهُ مماليكُ السلطان رفقتُهُ في حَصر التتار في ذروة الجبل بما فعلهُ فعفا عنهُ . وكانوا قد قدّموا بين يدي السلطان الملك المسعود صاحب الصُّبَيبة (٢ من ملوك بني أُيوب وكان غير مشكور السيرة لموافقته للتتار على الفساد فضُربت رقبتهُ

وذُكر عن زين الدين المذكور انَّهُ قال : واللهِ ما خفتُ في يومٍ اكثر منهُ . وذكروا عنهُ انَّهُ قال كان يوم الوقعة يوم عظيم وكان مع العسكر ثلاثمائة حمل طبلخانات لم يُسمع لدقّهـا صوت البتَّة لعظم صوت الضرب بالسلاح على القراقل (٣ والخُوَذ وصراخ الرجال . وكان للمذكور فرسٌ اهداهُ لهُ التتار حسن المنظر هائل المخبر ضخم القدّ قيل انَّ دَوْر حافرهِ كان يبلغ ثلثة اشبار وانَّهُ سبق خيولًا كثيرة

وعند عود الملك المظفَّر قُطز الى مصر قُتل وتسلطن بعدهُ الملك الظاهر بيبرس وذلك في السابع عشر من ذي القعـــدة سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م) وبقي في السلطنـــة سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة ايَّام واستناب جمال الدين آقوش النجيبيّ الصـــالحيّ (٤ على الشام سنة ستين وستمائة (١٢٦٢ م) واستمرَّ في النيابة الى شهر ربيع الاوَّل سنة (30r)

١) التَرْكَش فارسيَّة هي الجعبة

٢) نظن انَّهُ يريد الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان الأُيوبي صاحب الصُّبَيْبة وهي قلعة في شمالي شرقيّ بانياس على ميلٍ منها

٣) لعلَّهُ يريد بالقراقل الدروع . والقَرْقَل في الاصل قميص بلا اكمام

٤) هو الامير آقوش المار ذكرهُ (ص ٤٩)

سبعين وستمائة (١٢٧٢ م) ثمّ عزلهُ بعلاء الدين ايدكين الفخريّ الاستادار (١

وفي ايّام الظاهر بيبرس سُجن زين الدين بن عليّ المذكور وجمال الدين حجي بن محمَّد واخوهُ سعد الدين خضر بن محمَّد

خبر اعتقال الملك الظاهر بيبرس لامراء بني الغرب

(قلتُ) ويجب ان نذكر توطئةً يُستدَلّ بهـا على كيفيّة سجن الثلثة المذكورين. وذلك انّ الملك الظاهر كانت تعلّقت آمالهُ بفتوح السواحل وصار يتوقَّع لسماع اخبار الفرنج والاطلاع على احوالهم وكشف طبقاتهم (قلتُ) وفي ايّام سلطنتهِ كُتب منشور جمال الدّين حجي المؤرّخ ثامن رجب سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١) بحُكم ملازمتهِ للخدمة الشريفة مع بدر الدين بن رحَّال (٢ وقد تقدَّم ذكر هذا المنشور(٣. (قلتُ) وربّما كان بدر الدين هذا جعلوهُ في قُبالة فرنج صيداء وبيروت مثاغرًا لهم

ثمّ نذكر المكاتبتين اللتين ارسلهما جمـال الدين آقوش النجيبي نائب الشام الى زين الدين المذكور والى جمـال الدين حجي ولم يُذكَر لهما تاريخ سوى ايّام الشهر الذي كُتبتا فيهِ ولم تُذكر السنة. وكذا كانت المراسيم في ذلك الوقت فيُقال: «كُتِب في كذا وكذا من الشهر الفلانيّ المبارك».

١) كان احد الامراء الكبار في مصر على عهـد بني ايوب ولمّا تولى الملك نجم الدين أيوب قبض عليهِ واحتاط على موجودهِ. ثم اعتقهُ الظاهر بيبرس وولّاه نيابة الشام وكان الظاهر من جملة مماليكهِ سابقًا. لا نعلم سنة وفاتهِ

٢) لم نطَّلع على شيء من اخباره ٣) راجع ص ٨١

ولم تُذكَر السنة وانّما كانوا يذكرون السنين في المناشير والتواقيع

ومضمون احدى المكاتبتين: « وصلت مكاتبة الاميرين الاعزّين الاخصّين جمال الدين وزين الدين عمادَي الملوك (٣٠٧) والسلاطين ادام الله تأييدهما وعلمنا ما ذكراهُ وشكرنا همّتهما. واماَّ مثاغرتهما وقيامُهما بما ينبغي من الخدمة فنحن نعلم ذلك منهما ونحرّضهما على القيام بما هما بصددهِ ومطالعتنا على اخبار العدوّ المخذول في كلّ وقتٍ بحسبهِ. واماَّ الامير حُسام الدين نوار (١ فقد كتبنا اليهِ بأنَّهُ متى وقع صوتٌ يُسرع مع جماعتهِ الى جهتكما فتتّفق كلمتهُ وكلمتكما. والكتاب عطفها (٢ فتوصلانهِ اليهِ. واماَّ قضيّة صاحب بيروت وتزوّج ابنتهِ بملك قبرس (٣ فقد علمناهُ ولنا علم ايضاً في حديث المُدْنَة ومخالفتها. ونِعم ما فعلاهُ باطّلاعنا على هذا فلا يقطعا اخبارهما مؤيَّدَين (اه)

ومضمون الكتابة الاخرى: « وردت مكاتبة الاميرين الاجلّين الاعزّين الأخصّين المحترمين المجاهدين الغازيين جمال الدين وزين الدين بهاءَي الاسلام مجدَي الامراء عدَّتي الملوك والسلاطين أنجح الله قدرهما وأسعد جدّهما وكبَت ضدّهما ووُقف عليها وعُلم مضمونها وعُرف ما هما عليهِ من الاجتهاد والمناصحة وهو المعهود منهما والمشهور عنهما. فليُطيب

١) يظهر من قرينة الكلام انَّهُ كان احد عمَّال ملوك الاتراك المصريين في ساحل الشام

٢) يريد انهُ أودع في ضمن هذه المكاتبة رسالةً ليبلّغاها الى حسام الدين المذكور

٣) راجع ص ٨٣

الاميران أيدهما الله قلبيهما وليشرحا صدريهما فهما على ما يشتهيان ويؤثران وما بلغنا عنهما الّا الخير ولا قيل عنهما الّا الجميل. وليس ثَمّ ما يضيقُ بهِ صدرهمـــا ولم نسمع في حقّهما الّا كلاماً طيّباً فليستمرّا على ما هما عليهِ من المناصحة والاجتهـــاد والمطالعة بالاخبار ومساعدة العسكر المنصور والغُزاة (31^r) بتلك الجهة. وليجريا على ما عُهد منهما من المناصحة ومن سلَفهما في الأيّام السالفة عند الدُّوَل المتقدّمة فانهما يجنيان ثمرة ذلك والله يؤيّدهما بالتوفيق »

وفيهِ ملحقٌ: « قد بلغنا ان جموعكما قد تفرّقت وانتما تعلمان انَّ في هذا الوقت تظهر مناصحـــة الدين والدولة القاهرة. فليتقدَّم الاميران أيدهما الله بردّ الرجال الى جهة صيـــداء وليجتهدا في المساعدة على حفظ هذا الثغر مؤيّدَين ان شاء الله تعالى »

ورأيتُ مرسوماً للملك الظاهر بيبرس الى زين الدين المذكور وجمال الدين حجي يدلُّ على انهُ ارسلهُ اليهمـــا من مصر مضمونهُ: « هذه المكاتبة الى الاميرين المختـــارَين المحترمَين الاخصّين المجاهدين جمال الدين وزين الدين فخرَي القبائل والعشائر مجدَي الامراء اختيارَي الدولة عميدي الملوك والسلاطين ادام الله رفعتهما وجدَّد مسرَّتهما. تتضمَّن سلامنـــا عليهما واهداء تحيتنا اليهما ونعلمهما بانّا وقفنا على مكاتبتهما الواصلة الى نوّابنا بدمشق يذكران فيها استمرارهما على الخدمة والنصح لدولتنا القاهرة. ووصل الينا كتاب نوّابنا بدمشق المحروسة يذكرون ما عليهِ الاميران من الخدمة والاجتهاد في المناصحة وفرحنا بذلك ووقع عندنا اهتمام الاميرين في الخدمة احسن موقع فليستمرَّا على ذلك وليهتمّا بهِ وليطيّبا قلبهما وليشرحا صدرهما فسوف يجنيان

واخاهما ثمرة (31) خدمتهما ومحبتهما وليطالعانا بالاخبار والتحذرات والله يوفقهما (انتهى)

(قلتُ) وهذا مما يدلّ على انّ الملك الظاهر كان قد صرف ذهنهُ الى جهة الفرنج وانّهُ كان محاربًا لهم وانّ خاطرهُ كان قد مال الى جهتي زين الدين وجمال الدين المذكورين ليتجسّسا لهُ اخبار الفرنج ويطالعاهُ بها وان يكونا مثاغرين على صيداء وبيروت مع من كان من جهة السلطان. ولهذا وقع عندهُ الكذب في حقهما بوقعٍ اوجب سجنهما

وذلك انّهُ اشتهرت على ما اخبرنا السلف مُعاداة بني ابي الجيش لبني الغرب بالبغضة والحسد فتوجّه احدهم بكتابٍ مزوَّر عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين الى الإبرِنش (١ صاحب طرابلس مضمونهُ ما يوافق غرض الإبرنش ويُغضب الملك الظاهر. فكتب الإبرنش جواب الكتاب بما يوجب وقوع الدرك على المذكورين عند وقوف السلطان عليهِ. فتحيّل ابن ابي الجيش حتى بلّغ الجواب المذكور الى الملك الظاهر يقصد بهِ اذيّة امراء بني الغرب ليشفي خاطرهُ منهم

فعند ذلك طلب السلطان الثلاثة وهم زين الدين وجمال الدين حجي واخوهُ سعد الدين خضر وسجنهم مدّةً طويلة لم اعلم كم هي. فمن قلّل يقول سبع سنين ومن اكثر يقول تسع سنين. وكانوا قد فرقوا بينهم فجعلوا

١) الابرنش معرّبة عن اللفظة الافرنسيّة (prince) بمعنى الامير. وكان البرنس المتولي في ذلك الزمان على طرابلس يدعى بوهيمند السادس وكان اميرًا على انطاكية وطرابلس معًا. وفي ايامهِ فتح الملك الظاهر بيبرس مدينة انطاكية سنة ١٢٦٧ م فبقيت لهُ طرابلس وحدها. وتوفي بوهيمند سنة ١٢٧٥ وفتحت طرابلس بعد ذلك بمدّةٍ سنة (١٢٨٨م) فتحها الملك المنصور قلاوون

زين الدين ابن عليّ في سجن مصر وجمال الدين حجي في الكرك واخاه سعد الدين خضر بقلعة عجلون

ووقفتُ على كتاب مُرْسَلٍ من عجلون يدلُّ على انّ سعد الدين المذكور كان مسجونًا (32r) بعجلون ثمّ احضروا جمال الدين من الكرك وسعد الدين من عجلون وجمعوا الثلاثة في سجن مصر. وحكي انَّهُ لمَّا قصدوا نقل سعد الدين من عجلون الى مصر استبشر بذلك فقالوا لهُ: انت ذاهب الى انحس من عجلون فلأيّ شيء تفرح. قال: افرح باجتماعي باعزّ الناس عليّ واحبّهم اليَّ اخي وابن اخي

وكان بعض الامراء بمصر قد رقّ خاطرهُ على المذكورين فكلّم السلطان في امرهم فلم يسمع السلطان كلامهُ وقال: هؤلاء لا أُفرج عنهم ولا أُوذيهم حتى افتح طرابلس وصيداء وبيروت. وقيل انَّ الامير الذي تكلّم فيهم بدرُ الدين بيليك(١ الخزندار وكان قد صار نائبًا عن السلطان المذكور فاستمرّ المذكورون في السجن الى بعد وفاة السلطان ولم يُخرج عنهم اقطاعًا ولا ملكًا

(قلتُ) وربما كان في مدَّة سجنهم بمصر طغيان نجم الدين محمَّد بن جمال الدين حجي بن محمَّد (٢ وتسلُّطهُ على اولاد علم الدين معن بن

١) هو احد مماليك الملك الظاهر اشتراه صغيرًا وهو امير فلمَّا تسلطن جعلَهُ الظاهر نائب السلطنة وفوَّض اليهِ جميع احوال المملكة . ثمَّ صار الامر بعد الظاهر الى ولدهِ الملك السعيد ابي المعالي بن بيبرس فاقرّه في ولايته الّا انهُ مات بعد قليل سنة ٦٧٦ (١٢٧٨ م)

٢) هو الولد الذي عقَّ اباهُ جمال الدين فحرمهُ الميراث

معتب (١ وعلى غيرهم وتجرّؤهُ على قتل قُطب الدين السعـدي (٢ في كفرعميه (ان كان هو قاتلهُ) لغيبة المذكورين عنـهُ

وسمعتُ ممّن نقـل الاخبار عن الاوائل انَّهُ لمَّا جرى على الغرب ما جرى لاجل قتل قطب الدين كما سنذكر ان شاء الله (٢ فيما بعد وبلغ الخبر زين الدين ابن عليٍ وهو بسجن مصر تلهَّف على ما جرى وقال: آه لو كنتُ حاضرًا . فقال لهُ الموكَّلون عليهِ : ما عساك كنت تفعل يا مولانا ؟ فردَّ عنهُ الجواب جمالُ الدين بعقلهِ وقال: لكان أَصلح القضيَّة . وهذا يدلُّ على انَّ الافراج عنهم كان عقيب هذه الحركة بمدَّة قليلة . وذلك بيّن ظاهر لمن ينظر في هذه التذكرة

ونحن نذكر بيان كلّ الحركة (٧ 32) كما سمعنا الامر نقلًا عن القدماء ونطابقـهُ مع الاوراق الموجودة عندنا مؤرّخةً بذكر هذه الحركة ثم نعوض ذلك على ما ذُكر في كتُب المؤرّخين الذين كانت ايَّامهم مطابقـة لايَّام الواقعة المذكورة . وجلُّ القصد بذلك وضع الامور على المطابقة بقرائن يقبلها العقل ويسوّغها الفكر وقد اجتهدتُ على صحة ذلك وما توفيقي الَّا بالله

(اقول) لمَّا قدَّر الله بوفاة السلطان الملك الظاهر بدمشق في السابع والعشرين محرَّم سنـة ست وسبعين وستمائة (١٢٧٧ م) اخفى بدر الدين بيليك موتهُ وتوجَّه بالعسكر الى مصر ومعهم محفَّة يظهر ان السلطان فيها

---

١) هو معن بن معتب بن ابي المكارم الذي ورد ذكرهُ في شجـرة التنوخيين (راجع جداول النسب في آخر الكتاب)

٢) راجع ص ٨٦ و ١٠٤

ضعيف فلمَّا وصل اظهر مَوْتهُ واجلس ولدهُ الملك السعيد بَرَكَة(١ على عرش السلطنة في اوائل ربيع الاول سنة ست وسبعين وستمائة وجعلوا عزَّ الدين أيدمر (٢ نائبًا على الشام ثمَّ افرجوا عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين المذكورين

ثمَّ بعد ذلك كانت وفاة بدر الدين بيليك نائب السلطنة واستقرَّ عوضهُ شمس الدين الفارقانيّ (٣

ووقفتُ على كتاب من زين الدين بن علي الى جمـال الدين حجي واخيهِ سعد الدين وسائر كبار الغرب كلّ واحد باسمهِ وعند البسملة الشريفة الظاهري (٤ . ملخَّص مضمونهِ: « انَّ كلّ ما جرى عليـهِ هو من تزوير بني ابي الجيش . وانَّهُ لمَّا أمسكوهُ طلبهما بنو ابي الجيش في العسكر فما لحقوهما وانَّهُ حمد الله على ذلك. وانَّهُ ما اساء اليهم قطّ وانَّهُ ان جرى عليهِ امرٌ فهو منهم فليأخذا بثـارهِ ويكونا من الرجال. وانَّهُ ان يخلص

---

١) هو بركة خان الملك السعيد ابو المعالي ابن الملك الظاهر تولى السلطنة سنة ٦٧٦ﻫ (١٢٧٨ م) ومات بعد سنتـين تقنطر بهِ الفرس في ميدان الكرك فانكسر ضلعهُ ومات من يومهِ

٢) هو ايدمر الخطيري كان احد الامراء الكبار تولى مدَّةً نيابة الشام في ايَّام الملك السعيد ثمَّ جُعل استادار العالية في ايَّام محمَّـد بن قلاوون. ومن آثاره جامع ابتناهُ في بولاق. كانت وفاتهُ نحو سنة ٧٤٠ﻫ (١٣٤٠ م)

٣) هو الامير آق سنقر الفارقاني استقرَّ نائب السلطنة بعد الامير بيليك فاقام على ذلك مدة يسيرة ثم قبض عليهِ الملك السعيد وسجنهُ بثغر الاسكندريَّة ثم ارسل بخنقهِ فخُنق سنة ٦٧٦ (١٢٧٨ م)

٤) كذا في الاصل. ولا نفهم ما المراد بقولهِ : « عند البسملة الشريفـة الظاهريّ »

يكافئهما. وانهُ تحقق انَّ الذي جرى عليهِ صادر من بني ابي الجيش. وأنَّهم بعد ذلك ارسلوا كتباً على يد ابي الغيث بن ابراهيم (١ من عرامون الى شهاب الدين بن سحر (٢ يقدّمها ويتحدَّث عليهـا (٣ . وأنَّ الكُتب شكاوى عليهِ ويسألها امساك ابي الغيث (33) المذكـور ومقابلتهُ ».

وهذا يدلُّ على انهم امسكوهُ في عسكر وانَّ جمال الدين واخاهُ كانا في البلاد. وربَّما كان هذا العسكر في غير هذه البلاد فتوجَّه زين الدين اليهِ فتمسك فيهِ

وامَّا قولهُ في الكتاب انَّهم طلبوها في العسكر فما لحقوها فيدلّ على انَّ زين الدين سُجن قبلهما فيكون العسكر تطلَّب جمال الدين وسعد الدين بعد ذلك وامسكوها وسجنوها بعجلون والكرك. والدليـل على ذلك انَّ سجنهما كان في ايَّام الظاهر بيبرس والكتاب المذكور كُتب في ايَّام الظاهر لا خلاف فيهِ

ورايتُ محضرًا (٤ كُتب بعد هذه الواقعة تاريخـهُ ثامن وعشرون من صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣ م) فاردتُ اثباتهُ عند ذكر ما جرى على المذكورين من الكـذب والزور. ومن مضمونهِ: « انَّ شهودهُ يعلمون انَّ تقيّ الدين نجا بن ابي الجيش بن مفرح (٥ يُعرف بالزور

١) لا نعرف لهُ خبرًا ٢) كذا في الأصل بلا ضبط ولا نقط

٣) لعلَّهُ يريد بقولهِ « يقدّمها ويتحدَّث عليها » انهُ حصل على نسخ من هذه الكتب فقدمها زينُ الدين الى جمال الدين واخيهِ وتحدَّث عنها في كتابهِ لهما

٤) المَحضَر كالسجل والصكّ

٥) جاء في حاشية من اصل الكتاب ما حرفهُ: « ومفرح جدّ تقيّ الدين نجا كان افضل من ذرّيتهِ معتبرًا بين الناس. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين

والافتراء والكذب فينسب زورًا للامراء زين الدين صالح بن علي وجمال الدين حجي واخيه لِأَبويهِ سعد الدين خضر المكاتبات الى الفرنج المخذولين وغيرهم. وذلك لأنَّهُ معاند لهم وساعٍ في اذيَّتهم وفيما يضرُّهم بكل طريق. وانَّ تقيَّ الدين المذكور توجَّه الى صيداء وعكة في سلخ شهر محرم سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣ م) بكتُب مزَّورة بخطهِ عن المذكورين ولم يكن عندهم من ذلك علم ولا يعلم شهودهُ انَّ المذكورين يُنسبَون الى شيءٍ من ذلك». وفيهِ شهود الميادنة (١ من بلد صيداء ولهم شهود بالتركيَّة من قوم تحت شهاداتهم (٣٣٧) بخط قاضٍ. وهذا المحضر كُتب في ايَّام المنصور قلاوون فقدَّمتُ ذكرهُ ليكون تِلقاء الكتاب المذكور ليعلم الواقف على هذه التذكرة عداوة بني ابي الجيش لهذا البيت. وكان يجب تأخيرهُ الى ايَّام المنصور قلاوون لأنهُ كُتب عن حادثةٍ وقعت في ايَّام غير الحادثة التي ذُكرت في ايَّام الملك الظاهر بيبرس

[ووقفتُ(٢ على محضَر ثانٍ كُتب لزين الدين بن عليّ ولولدَيهِ عليّ وبحتر ولجمال الدين حجي ولولدهِ محمَّد ولاخيهِ سعد الدين لخضر. ومن مضمونهِ: انهم مناصحون الدولة المنصوريَّة مجتهدون في قمع المفسدين واخماد

الاوراق القديمة مشترًى باسم نجم الدين محمَّد بن حجّي بن كرامة وهو بخطّ مفرح هذا وهو مفرح بن ابي الجيش بن مفرح وهو خطّ مليح يدلّ على ذكاء كاتبه. وتاريخهُ شهر ربيع الاول من سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١٢٤٠م). وجرت العادة ان يُعتبَر الذي يكتب كرجل فاضل وبليغ عارف بأمر الكتابة»

١) الميدان مزرعة من اقليم جزّين

٢) ما وضعناهُ هنا بين معكفين [ ] قد ورد في ذيل الكتاب الَّا انَّهُ من الاصل زاده المؤلف ونبَّهَ عليهِ

الفتن وانَّهُ ليس منهم احد يحبُّ الفرنج او يميل اليهم او يناصحهم وانَّ جميع ما نُسبوا اليهِ من الاجتماع بالفرنج عند نزول العساكر المنصورة بساحل مدينة صيداء بسم الله فتحها في شهور سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨ م) كان تشنيعاً من اعدائهم ومبغضيهم ليس لهُ اصل ولا حقيقة. والتاريخ في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة. وهذا في ايَّام الملك المنصور قلاوون ايضاً. فيكون من ثمَّ قد وهم بالغيب من زعم انَّ الثلاثة المذكورين سُجنوا مرَّتين. والنسخة الثانيــة في ايَّام قلاوون وافرج عنهم بيدرا. والله اعلم]

ولنرجع الآن الى ترتيب الحوادث في اوقاتها تتلو بعضها بعضاً على دول الملوك وايَّامهم. ومن الحوادث في ايَّام زين الدين وجمال الدين وسعد الدين انَّهُ حضر الى الغرب في نهار الخميس في العشر الآخر من شهر صفر سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨ م) عساكر وعشران من ولاية بعلبكَّ والبقاعين وصيداء وبيروت لقضيَّة قتــل قطب الدين السعدي. وهذا كان قد استقطع كفر عميّه من امراء الغرب فقُتل فيها وذكروا انَّ الذي قتلهُ هو نجم الدين محمد العاقّ لابيهِ جمال الدين(١ وقد تقدَّم ذكرهُ وطَرْدُ ابيهِ

١) وجاء في حاشيــة بلحف الكتاب ما نصُّهُ: « اقوال الناس الشائعة انَّ نجم الدين محمد المذكــور هو الذي قتل القُطب. وقيل ان القطب حضر الى كفرعميه فوُجد عند الصباح مقتولًا وأخفى قاتلهُ نفسَهُ ولم يتحقَّق الناس الامرَ فاتَّهموا بهِ نجم الدين المذكور. وزعم البعض انهُ قُتِل بايعاز زين الدين عليّ ولكنَّ الخبر الاوَّل اشهر واكثر رواةً واوضح لانَّ زين الدين بن عليّ كان معتقلًا. وقال البعض انَّ غلام القطب حمل جثَّة سيّدهِ ورماهُ في دار السعــادة والله اعلم »

له (١. فاقامت العساكر والعشران في الغرب سبعة ايّام في نهب وأسر وحريق وهدم وخراب. وكان نجم الدين محمد المذكور وشرف الدين علي ابن زين الدين بن علي قد هربا مع رفقةٍ لهما الى شقيف كفرغوص (٢ فتحصّنوا بهِ. فحضر اليهم بعض العساكر فانزلوهم واعتقلوهم وساروا بهم وهم يتبعون المنهزمين من الغرب حتى وصلوا الى كفرفاقود(٣ فافرجوا عن المذكورين في كفرفاقود. وذكروا ان الشيخ العلَم (34r) لمّا وصل الهاربون من الغرب الى كفرفاقود جهّز المِعزى لتدوس الطريق وتُخفي آثار الهاربين على من يتبعهم من العسكر. ولم نسمع انّهُ جرى على الغرب انحس من هذه الحادثة. ثمّ صار الامر الى يدي الملك السعيد بركة بن الظاهر ونائبهُ بالشام عزّ الدين ايدمر

ووقفتُ على نسخة مرسومٍ لم يُذكَر اسم كاتبهِ لكنهُ للملك السعيد بركة المذكور كتبهُ الى عزّ الدين (٤. ومن مضمون هذه النسخة بعد اختصار التمجيد وبعض الفاظٍ ضربتُ عن ذكرها ما نصُّهُ: « انّ الامراء الاجلاَّء المقدَّمين الأعزاز زين الدين وجمال الدين وسعد الدين اولاد امير الغرب أيّدهم الله واحاط بهم علمهُ المبارك صدقاتُنا شملَتْهم بالاحسان اليهم صدقة مولانا الشهيد رضي الله عنهُ ورحمةٌ من ابوابنا العالية (٥ وهم الآن ملازمون الباب العزيز. وكانوا يقالون من المفسدين في بلادهم ولو انّهم اولادهم من

١) راجع ص ٨٦ و ١٠٠ ٢) نظنها من اقليم الشحّار

٣) راجع ص ٨٩

٤) عزّ الدين ايدمر نائب الشام السابق ذكره

٥) في هذا الكلام بعض التباس . ولا نعلم من المُراد بهذا المولى الشهيد أهو عليّ او الحسين او الحاكم بامر الله

اجل ما شملتهم من الصدقات واعترافهم بذلك (١ . والآن أنهوا الى بين ايدينا الامر الذي جرى عند تجريد العسكر الى بلاد الغرب بعد موت قطب الدين السعدي لمّا توجه المجلس السامي الامير سيف الدين الزيني (٢ فسُبيت نساء الفلاّحين وجُعلن جواري وأُخذت اطفالهم فصاروا مماليك . وبلغنا ان بعض الفلاّحين استردُّوا حريمهم واولادهم بعد دفع ثمنهم ونُهبت خيولهم واغنامهم وابقارهم وقُماشهم . فلمَّا بلغنا هذا الإنهاء لم يعجبنا (٣٤^٧) ذلك ولا وافق غرَضنا وأباهُ عدلُنا . وما كان القصد من هذا التجريد سوى تتبُّع المفسدين الذين اعتمدوا الفساد في البلاد وضَبْط من وافقهم على ذلك . وقد سأَل اولئك الفلاّحون الاميرَ الأجلَّ الاخصَّ جمال الدين حجّي ان يتوجَّه الى خدمة المجلس العالي ليلتمس من صدقات هذه الدولة ورحمتها ان يتقدَّم المجلس العالي بطلب حريم الفلاّحين واولادهم في ايّ جهةٍ كانوا وان يُعادوا الى اهلهم . وكذلك مَنْ بيع منهم وقُبِض ثمنهُ فانَّنا نأمر بان يعتمد المجلس العالي طلبَ ذلك الشخص الذي حاول هذه الامور ويَستعيد منهُ الثمن . وان تُطلَب خيلهم واغنامهم وابقارهم وقُماشهم وتُعاد اليهم ولو كان ذلك عند امير او جندي او مقرّ او تركمانيّ او عند ايّ كائنٍ كان لانّا قد انكرنا كون نساء المسلمين يُسبَيْنَ وتُسترَق اولادهم . وقد سألوا ان يُطلَّع على اولادهم فمن كان منهم من اهل الفساد وهو مدرك إدراك الرجال يبقى في اعتقال السلطنة خلَّد الله بقاءها وتحت

١) كذا في الاصل ولا يخفى ما في هذا الكلام من الابهام والتعقيد . ولعل المراد انّ التهمة وقعت عليهم زورًا وهم ممن شملتهم نِعَمُنا يعترفون بافضالنا وانّما المذنبون اولادهم

٢) لم نطلع على شيء من اخباره

رحمتنا . ومن كان خلاف ذلك وهو دون البلوغ او لم يَبْدُ منهُ فساد فقد طلبوا من صدقاتنا الانعام عليهم بحضور الجميع الى الباب الشريف ويُفسَح للامير جمال الدين حجّي في العود الى الديار المصرية ولمن يحضر معهُ من اهلهِ واصحابهِ . وقد اجبنا سؤالهم ذلك لأنهم ملازمون الباب الشريف وصدقاتُنا تجري عليهم وهم في إحساننا »

وتاريخ هذا المرسوم (35) ثاني جُمادى الاولى سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨م) وهو يدلُّ على انهم كانوا قد افرجوا عن الثلاثة اي زين الدين وجمال الدين وسعد الدين وقولهُ « صدقاتُنا شملتهم بالاحسان اليهم صدقة مولانا الشهيد » فهو دليل على انَّ السلطان بَرَكَة هو الذي افرج عنهم من سجن ابيهِ . (قلتُ) فيكون الافراج عنهم فيما بين تاريخ المرسوم السابق ذكره وجلوس بركة في السلطنة وهو قريبٌ من سنة وشهرين . وقد ذكرنا انَّ خبر حركة القطب بلغتهم وهم مقيمون في السجن (١

ومن الممكن انَّ الافراج عنهم كان عند سماعهم الخبر اتّفاقًا قدّرهُ الله . ولفظ المرسوم يدلُّ على ذلك . وان قلنا انَّهم كانوا قد حضروا من مصر الى بلاد الغرب ولمَّا جرت حركة القُطب عادوا الى مصر من سببها فانّي لم اجد دليلًا على ذلك فضلًا من انهُ لم يكن اتّفق عود الثلاثة الى مصر بجملتهم

١) ورد في حاشية الكتاب ما نصُّهُ : « ومن الناس من قال انَّ القطب قُتل باشارة زين الدين ابن عليّ المذكور فان كان هذا صحيح يكون نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين بريئًا من قتلهِ . وقيل انَّ الثلاثة المسجونين قد حضروا الى بلاد الغرب ثم عادوا الى مصر من جهة حركة القطب واخذوا المرسوم المذكور وارسلوهُ الى دمشق على يد جمال الدين و بقي زين الدين وسعد الدين بمصر والله اعلم »

بل كان توجَّه واحد او اثنان. والمرسوم المذكور يُذكَر فيهِ ان الثلاثة كانوا مقيمين في مصر. وبين حركة القُطب وتاريخ المرسوم المذكور قريبٌ من شهرين ونصف

وبعد تاريخ هذا المرسوم خرج السلطان بَركة الى الشام وغار عسكرهُ على بلاد سيس وانقلبت الامراء عليهِ فاسرع العود الى مصر فتولَّى مكانهُ اخوهُ سلامش(١ في شهر ربيع الاوَّل سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٩م). ثمَّ خُلع وتسلطن الملك المنصور قلاوون في ثاني وعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة واستناب حسامَ الدين لاجين بالشام

وذكر ابن ابي الهيجاء في تاريخهِ قال في سنة سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨م) طلب الملك المنصور امراء الجبال واخذ املاكهم واقطاعاتهم. ولم يحضر اولاد امير الغرب (٣٥ v) فاخرج املاكهم واقطاعاتهم. وقال غيرهُ: كان بنو تغلب من مشغرا(٢ قد هيَّجوا الاهوية في البقاع واثاروا الفتَن فمسكهم لاجين نائب الشام وسجنهم بالقلعة وقرَّر عليهم مائة الف درهم تأديباً. ثم لمَّا حضر الملك المنصور لفتح طرابلس اتَّصل بنو تغلب بعَلَم الدين سنجر الشجاعي شادّ الصحبة السلطانية ونقلوا لهُ عن الجبلية بصيداء وبيروت انَّ بايديهم املاكاً واقطاعات بغير استحقاق. فاخرجوها جميعاً خلا ابن المُعين وكان سنجر المذكور قد ضربهُ واخذ خطَّهُ بخمسين الف درهم فاعتذر الى سنجر عن خروج اقطاعهِ بما عليهِ للخزانة فلم ينزعوا عنهُ اقطاعهُ(٣.

١) لُقِّب بالملك العادل سيف الدين ولم يكن لهُ من العمر الَّا سبع سنين ونصف لمَّا سُلْطِن فخلعهُ بعد خمسة اشهر قلاوون الالفي

٢) مشغرا من كبار القرى في اقليم الشوف البياضي في غربيّ البقاع

٣) جاء في حاشية للمؤلف ما نصُّهُ: « من الاصل: وفي ايَّام سنجر المذكور

وممّا كانوا اخرجوهُ املاك اولاد امير الغرب واقطاعاتهم. وكانت أملاكهم بمكاتيب مثبتة بالشرع الشريف فجعلوه للحَلْقة(١ بطرابلس لمّا فُتِحت وكان فتوح طرابلس في اوّل ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة (١٢٨٩م)

فلمّا تُوفى الملك المنصور قلاوون تسلطن ولدهُ الملك الاشرف خليل ابن قلاوون (٢ في سابع ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة (١٢٩٠م) وقبض على لاجين (٣ نائب الشام وجعل مكانهُ علم الدين سنجر الشجاعي (٤. وفي ايّام الملك الاشرف خليل بعد فتوحهِ لصيداء وبيروت استرجع اولاد امير الغرب إقطاعهم عن الحلقة الطرابلسية وجعلوها على درك بيروت. وما كان تأخّر من اقطاعهم بلا استرجاع استرجعوهُ في ايّام اخي الملك (36r) الاشرف(٥ وهو الملك الناصر(٦ محمّد بن قلاوون في اوّل سلطنتهِ الاولى. وكانت سلطنة الملك الناصر المذكور بعد قتل اخيهِ الملك

قد مُسِكَ زين الدين ابن عليّ وضيّق السجاعيّ عليهِ وآذاهُ. ومن الدليل على ذلك قصّة بخطّ بُحتر ولد زين الدين المذكور الذي كان يأمر الطبلخاناة. وهي تتضمّن انّ ولدهُ زين الدين قُبِض عليهِ وصُودِر. وقد كتبتُ بصحة هذه القصّة ولصقتها تجاه هذه الورقة ويجب ان تكون في اصل هذه الترجمة عند ذكرنا فعلة علم الدين السجاعيّ في الجبليّة بصيداء وبيروت. وهذه القصّة المذكورة وجدتُها بعد كتابة هذه الاوراق ولو وجدتها قبل ذلك لكتبتها في الاصل». (قلنا) كذا ورد في ذيل الكتاب ولم نجد هذه الورقة المشار اليها لعلّها سقطت من الاصل

١) الحَلْقة فرقة من الجند يلازمون السلطان او اصحاب الرتب

٢) راجع ص ٤٢ ٣) راجع ص ٤٧ ٤) راجع ص ٤٢

٥) ورد في هامش الاصل: «قلتُ ولمّا استرجعوا الاملاك والاقطاعات بقي الجميع في ديوان الجيش فنزل وتحرروا عليهِ غيرهُ من الجند (كذا) وصار الملك اقطاعاً» ٦) راجع ص ٤٨

الاشرف خليـل في العشر الاوسط من محرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٢ م) وهي سلطنتهُ الاولى. وسنذكر ان شاء الله تتمة الكلام في الاقطاعات عند ذكرنا للدوك(١ وما كان في ايام ناصر الدين الحسين بن خضر من الحوادث. وقد رأيت بخط بعض السلف انهُ عقيب فتوح بيروت في ولاية شهاب الدين بن برق (٢ حضر الى بيروت ست شواني وواقعوا المسلمين وقعةً لم يعهدوا مثلها. وذكروا انَّ صاحب بيروت (الفرنجي) كان في الشواني المذكورة

ولم اجد من مناشير زين الدين ابن علي سوى منشور واحـد وهو من الملك الناصر محمد بن قلاوون (٣ علامتهُ «الله أملي». ومن مضمونهِ اعادة

١) الدوك تعيين حدود الاملاك وتثمينها للضرائب السلطانية

٢) يظهر من قرينة الكلام انَّ شهاب الدين بن برق كان والياً على بلاد الشام من قبل ملوك مصر الشراكسة في ايام الاشرف خليل بن قلاوون

٣) جاء في حاشية الكتاب للمؤلف ما نصهُ: «ثمَّ من بعد كتابة هذه الاوراق وجدتُ منشوراً لزين الدين بن علي المذكور وهو من الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل محمَّد سلطان مصر. علامتهُ «ايوب بن محمـد بن ابي بكر بن ايوب» وتحت العلامة المذكورة «الحمـد لله وبهِ توفيقي» وهي بخط السلطان المذكور. ومن مضمونهِ انَّهُ يُجري لزين الدين الاقطاع بالناحية الغربية والقبليَّة بجبل بيروت. وهي: القباطية ومزارعها بعكّين ومزارعها شملال ومزرعتها من العبليَّة (؟) وبتاتر بكمالها وكفرعميه ومزرعتهـا وذلك لما بان من حسن خدمتهِ ومناصحتهِ ومثاغرتهِ ونهضتـهِ وكفايتهِ وليسلّم ذلك بقلب منشرح وأمل منفسح ويستمرّ على مناصحتهِ وخدمتهِ وحفظ الثغور المندوب اليها بالناحية الغربية ويجرى على ما بيده من الاملاك المستمرة عليهِ وعلى والدهِ من قبلهِ بالغرب وهي بيصور ومزارعها مجدلبًا والدوير وثلث عرامون ومزارعها كدغور (كذا) ومزرعتها البيره. تاريخهُ في التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ستة واربعين وستمائة (٦٤٨م). وهذا المنشور يتقدَّم ذكرهُ على ذكر المنشور الذي من الملك الناصر محمد بن قلاوون

زين الدين الى الخدمة الشريفة مع خاصّتهِ وطواشيهِ(١ الخمسة. وهو من جملة ما كان باسمهِ من املاكهِ واقطاعهِ وباسم جمال الدين حجي وولدهِ بحكم التزامهِ الموانى والثغور والمناظر المعروفة بهم بساحل بيروت. جهاتهُ من الفريديس (٢ من صيداء ثلاثة افدنةٍ وشكارة وقِطَع ارض بالعمروسيّة (٣ وحصّة الملك بخلدا. وما هو من اقطاعهِ القديم باسمهِ واسم اولادهِ كفرعميه وبتاتر. وما هو باسم جمال الدين يحيي عين عنوب وعيناب. وتاريخ المنشور (٣٦٧) في الرابع من ذي الحجّة سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٤م).

ولم اقف على غير هذا المنشور

ومن مضمون كتاب بهبة شكارة والعمروسية من هنقري بن دمونترب الفرنجي صاحب بيروت (٤ وهو انّهُ قد وهب شكارة بذارها غرارة (٥ ينصبها كرماً بشرط ان لا يبيعها ولا يهبها واذا ما فعل ذلك رجع عن هبتهِ. ومن شروطهِ مساعدتهُ لصحوبيّتهِ (٦ وان لا يترك في بلادهِ هاربًا من بلد بيروت الّا ويردّهُ صلحًا او بغيرهِ وان لا يمكّنهُ في الاقامة ازيد من ثمانية ايّام ولا يمكّن احدًا من بلادهِ يفسد في بلد بيروت اعني الساحل لان بلد بيروت كانت جبالهُ في ذلك الوقت للمسلمين وكان الساحل للفرنج.

١) قال المقريزي في الخطط: الخدّام الملوكيّة يُعرَفون اليوم في الدولة التركية بالطواشية احدهم طواشي وهذه لفظة تركية اصلها بلغتهم طابوشي فتلاعبت بها العامة وقالت طواشيّ وهو الخصيّ. (اه). وكانت امرة الطواشيّة من رُتب دولة الجراكسة في مصر ٢) الفريديس من قرى اقليم العرقوب

٣) العمروسيّة من حارات الشويفات. امّا شكارة فهي محلّ في البقاع. والشكارة ايضًا قطعة ارض يزرعها الحوليّ في ملك غيره

٤) لم نقف على شيء من ذكرهِ في كتب الفرنج

٥) الغرارة اثنا عشر كيلًا ٦) لعلهُ يريد بالصحوبية اصحابَهُ وخدَمَهُ

وتاريخ هذا الكتاب سنة الف وخمسمائة واثنتين وتسعين للاسكندر (١٢٨٠ م) (١ وكاتب هذا الكتاب اسمهُ جُرجِ بن يعقوب وكانت القطعة والكتاب في رقّ وفي ادناهُ خَتْم من شمع احمر يمثّل خيّالًا بفرسهِ ورمحهِ وترسهِ ودائر الختم كتابة بالفرنجية في اصل الختم

ووقفتُ على خطّ يد لزين الدين ابن علي من مضمونهِ انَّهُ قد جعل لابن عمهِ جمال الدين حجّي من الاقطاع الذي اخذهُ لنفسه ولاولادهِ قرية عين درافيل ومزارعها ومزرعة شمشوم بحيث يُقيم جندًا مع اولادهِ وان

١) جاء في ذيل الكتاب ما حرفهُ: «حاشية تُذْكَر في الاصل لبَيان مدَّة هذا التاريخ. نحن في هذا العام في آخر سنة الف وسبعمائة وثماني واربعين من التاريخ الرومي (١٤٣٦م) فيكون مضى على كتابة هذا الكتاب مائة واربع وخمسون سنة شمسية روميَّة اعني مائة وثماني وخمسين سنة هلاليَّة عربيَّة وثمانية اشهر تقريباً. قلتُ وذلك في ثامن سنة من سلطنة الملك الظاهر بيبرس وقبل وفاتهِ بسبع سنين وهذا يدلّ على انَّ سجنهم بعد هذا التاريخ. وقد ذكرنا انَّ الإفراج عنهم كان في سنة وفاة الملك الظاهر فهذا يدلُّ على انَّ سجنهم كان نحو سبع سنين والذي قال انَّ سجنهم كان تسع سنين تكلم بجهل والله اعلم»

(نقول) اوَّلًا انَّهُ يوخذ من هذه الحاشية انَّ المؤلف كان عائشًا في سنة ١٧٤٨ لليونان وهي توافق سنة ١٤٣٦ للمسيح وسنة ٨٤٠ للهجرة. (ثانيًا) وبذلك يصحُّ ما قلناهُ في بعض اعداد المشرق (ص ٧٦٥) عن زمن المؤلف انَّهُ كان في القرن التاسع للهجرة بخلاف قول الدكتور هرتمن الذي زعم انَّهُ كان في القرن العاشر وانَّ عمرهُ كان تسع سنين في سنة ٩٢٦ ﻫ (١٥٢٠م). (ثالثًا) قد وهم المؤلف بقولهِ انَّ الكتاب المذكور اعلاه المؤرخ في سنة ١٥٩٢ للاسكندر كُتِب في السنة الثامنة للملك الظاهر بيبرس لانَّ هذا السلطان تولَّى السلطنة سنة ٦٥٨ ﻫ فتكون السنة الثامنة لملكهِ سنة ٦٦٦ ﻫ وهي توافق سنة ١٢٦٧ مسيحيَّة وسنة ١٥٧٩ للاسكندر فيكون المؤلف اذًا غلط بنحو ثلاث عشرة سنة والصواب انَّ هذا الكتاب قد كتب بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس

اختار أن يُقيم ولدَهُ شمس الدين عبدالله ام غيرَهُ فلهُ الامر. وصدّق اولاد المذكور على خطّ ابيهم. ثمّ كتب بحتر بن صالح ولدهُ تحت خطّ والدهِ ولِخوتهِ انّهُ اعطى جمال الدين (37^r) المذكور ايضاً مزرعة مرتغون (١ بكمالها يستعين بها على وقتهِ طالما هي جارية في اقطاعهِ بغير خدمة يكلّفهُ بها (٢. وفي اسفل الورقة المذكورة خطّ سعد الدين خضر بن محمّد يقول انّهُ قد اعطى اخاهُ جمال الدين حجّي المذكور شكارةً قرطيه التي كانت ملكهُ وكتبها في المنشور باسمهِ يستعملها كلما احتاج اليها. وتاريخ خطّ سعد الدين خضر في عاشر ربيع الاول سنة اربع وتسعين وستمائة (١٢٩٥ م)

قلتُ وزين الدين هذا مشهور في البيت بالسيادة والرئاسة مُدح باشعار كثيرة. وكان شجاعاً يُحبُّ اخبار الحروب. ذكروا عنهُ انّهُ في مدة سجنه بمصر كتب سيرة عنتر بخطّهِ. وكان بنو ابي الجيش شديدي البغض لهُ وكانوا يكمنون في قلوبهم الحقد والحسد كما ذكرنا وكان سكناهم عندهُ بعرامون

ومن جملة مكايدهم معهُ انّ احدهم رأى اسدًا قد تطرّق الى بعض الاماكن القريبة فحضر عند زين الدين ابن عليّ وقال لهُ: انّ دبًا مجاورٌ للمكان الفلاني (يريد مكان الاسد. وكان تمويههُ بالدب عن الاسد غرورًا

١) مرتغون مزرعة واقعة الى الشرق من خلدا والجنوب الشرقي من صحراء الشويفات كانت قديمًا مأهولة وهي الآن كلّها ملك الامير مصطفى ارسلان (عن رسالة للامير شكيب ارسلان)

٢) قال المؤلف في الحاشية: «وظاهر الحال انّ جمال الدين حجّي لما استرجع بنو الغرب الاملاك والاقطاع بعد خروجهم في ايام المنصور قلاوون ما تعرّض الى شيء فجعل المذكورون لهُ هذه الاماكن المذكورة ليستعين بها على ضعف حالهِ»

بزين الدين وطمعاً ان يحدث لهُ الاسد حادثاً) . فتوجّه زين الدين ليلاً الى المكان الذي قيل لهُ عنهُ ولم يصحب معهُ احدًا ومعهُ قوسهُ . فاكمَن هناك . فلمَّا مرَّ بهِ الاسد علم أنهُ مغرور بالقول الذي قيل لهُ ورمى الاسد بسَهم واحد معتمدًا على بيت القلب فمات الاسد منهُ . وعاد زين الدين الى منزلهِ . وعند الصبح (37ب) ارسل الى من اخبرهُ انهُ دبّ يقول لهُ: «اذهب وائتِ بالدبّ الذي قلتَ عنهُ فانهُ مقتول بالمكان الذي ذكرتهُ» . قال ذلك متهكماً

وتزوَّج زين الدين المذكور صادقة بنت نجم الدين محمَّد بن يحيى بن كرامة بن بحتر(١ وسنةُ وفاتهِ نقلاً عن خطّ ناصر الدين الحسين نهار الخميس ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة (١٢٩٦ م)

(واسماء اولادهِ) ناهض الدين بُحتر وشرف الدين عليّ وبدر الدين يوسف . امَّا (عمائرهُ) فاوَّل ما عمَّر الحارة التي عند العين بعرامون وهي اوَّل العمائر العالية المحسَّنة لم يُبنَ في الغرب بيوت احسن منها (٢ . عمَّرها قبل فتوح بيروت . ثم عمَّر القاعة والحمَّام في البستان . وبعد ذلك شرع في العمارة برأس عرامون فابتدأ ان يعمّرها كقلعة وجعلها اقبية ونقر البئر في الصخر فلم تكمل حتَّى توفّي ثمّ جعلوها مساكن عمَّرها الله بوجود اهلها

١) جاء في الحاشية : «توفيت صادقة زوجة زين الدين ابن المذكور وهي امّ اولادهِ جميعهم نهار الخميس سادس وعشرين صفر سنة ثلاث وسبعمائة (١٣٠٣) . وصادقة المذكورة اخت زوجة سيف الدين غلاب وهي امّ علم الدين الرمطونيّ»

٢) ورد في ذيل الكتاب ما حرفهُ : « حاشية من الاصل : لما اسَّس زين الدين العمارة في راس عرامون جعلها ابا حبَّة (نظنّ انهُ يريد حجر الصوَّان المحبَّب)

فصل في ذكر اولاد زين الدين وهم من الطبقة الاولى

ويجب ان نذكر اولاد زين الدين من بعد ذكر ابيهم.

ذكر الامير شرف الدين علي ابن زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر

هو سميُّ جدهِ كان مشهورًا بالجودة وصدق الكلام محمودًا في اموره مشكورًا في سيرتهِ عرضوا عليهِ إمارة اخيهِ ناهض الدين بحتر الآتي ذكرهُ ان شاء الله فأبى اخذها وايَّد عزمهُ بالحلف. ثم بادر الى تبرئة ذمَّة اخيهِ من الديون التي عليهِ وقيل انها كانت سبعين الف درهم فتكون بمعاملة زمانهِ الفين وخمسمائة دينار. ورأيتُ باسم شرف الدين عليّ مصاغات فضَّة وخناجر فضة وآلات وحوائص (١ نحاس وغيرهُ شيئًا كثيرًا يدلُّ ذلك على سيادتهِ وحسن حالهِ بين الناس. ورأيتُ كتابتهُ وذكرهُ في الورق القديم يدلُّ على انهُ كثير المخالطة للدولة (38r). وشرف الدين عليّ كان اكبر اخوتهِ في السن وتأخر بعدهم ولم يبلغ عمرُ احدٍ منهم خمسين سنةً. وفاتهُ نهار الاثنين رابع عشر صفر سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧م) واسم ولدهِ عزُّ الدين حسين

وَبدنات على هيئة القلاع. وذكروا أنَّهُ ورد عليهِ امر من السلطنة ليبطلها وانكروا عليهِ فعلهُ. فعمَّر فوق الاقبية حيطان عليَّتين للسكن. واحتجَّ عند السلطان أنَّهُ يعمِّر بيوتًا للسكن. فتوفي قبل ان يسقِّف الحيطان. ثمَّ طلع ولدهُ بدر الدين يوسف وسقَّف الحيطان كما هي اليوم. ولم اقف على ذكر تاريخ مولد زين الدين عليّ ولكن المشهور عنهُ أنهُ ولد يتيمًا عند جمال الدين بن حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ولدَي محمَّد بن حجّي فعلى هذا يكون المذكور اصغر سنًّا منهما اذ انَّهما ربَّياهُ. وهذا دليل لامع على انَّ زين الدين بن عليّ يتقصَّر (كذا) عن ايَّام ابيهِ واخوتهِ »

١) الحوائص المناطق. وهي من الفاظ القرون المتوسطة

ذكر اخيهِ الامير ناهض الدين بحتر ابن زين الدين صالح بن عليّ بن بُحتُر

كان ناهضُ الدين جواداً كريماً حسن الشكل وافر الحشمة معروفاً بين الناس بالكِبرة (١٠ وتأمَّر على الطبلخاناة خارجاً عن الاقطاع القديم المخصوص بالبيت. وذلك انَّ الهاربين من عساكر الملك الناصر محمد بن قلاوون في تاريخ سنة تسع وتسعين وستمائة (١٣٠٠م) تفرَّقوا في البلاد فحصل لهم اذيَّة من المفسدين وخصوصاً من اهل كسروان وجزّين. واكثرُهم اذيَّةً للهاربين اهل كسروان فانهم بلغوا الى ان امسكوا بعضاً منهم وباعوهم للفرنج. واماَّ السَّلب والقتل فكان كثيراً. وكان ناهض الدين بُحتر اذا مرَّ عليهِ احد من الهاربين احسن اليهِ واضافهُ وقام لهُ بما يحتاج اليهِ. وكذلك فعل علاء الدين عليّ بن حسن بن صبح (٢ في قرية حديثة فشكرهما الناس وصار لهما ذكر ولبس كلاهما الخلع في نهار واحد وتولَّى كلٌّ منهما إمرة طبلخاناة (٣ وذلك بواسطة ملك الامراء جمال الدين آقوش الافرم نائب الشام قاصداً بذلك محاربة المفسدين (38ᵛ) ثمَّ عاملوا اهل كسروان بما ذكرناهُ (٤

١) جاء في الحاشية: «وجدتُ مرسوماً من ايبك نائب الشام عن السلطان الملك العادل كتبغا الى متولي بيروت يوصيه بناهض الدين بحتر المذكور ووالدهِ. وهذا المرسوم مماَّ يدل على انَّ ناهض الدين بحتر المذكور نشأَ في ايَّام والدهِ وانَّهُ كان معيَّناً للامرة دون اخوتهِ شرف الدين عليّ وبدر الدين يوسف. وتاريخ المرسوم المذكور سنة اربع وتسعين وستمائة (١٢٩٥م)»

٢) مرَّ ذكرهُ (ص ٥٢)

٣) الطبلخاناة من الرُّتب العليا في ايَّام ملوك الشراكسة في مصر (راجع ص ٣٢٥) قال المقريزي في كتاب السلوك: وكان اقطاع امير الطبلخاناة يبلغ ثلاثين الف دينار

٤) (راجع ص ٥١ او ٥٢). جاء في هامش الكتاب: «حاشية تُذكر في الاصل:

وقد وقفتُ على المنشور الذي يأمر لناهض الدين بحتر بالطبلخاناة وجهاتهُ كثيرة متفرقة جمعوها حتى صارت امرتهُ طبلخاناة . ولولا خوف الاطالة لذكرتُها

ووجدت بخط ناصر الدين الحسين انهُ أُعطي الامر لناهض الدين بحتر بالطبلخاناة نهار السبت من شهر صفر سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) وكان لهُ بدمشق يوم مشهود فخلع على الحجّاب والنقباء ومن حضر اليهِ بالامرة خمس عشرة خلعة كاملة

وكانت وفاتهُ نهار الجمعة قبل المغرب بساعة في الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة سبعمائة (١٣٠١) بدمشق بدار الطيّار داخل باب الفراديس وحُمل الى عرامون ودفن عند والدهِ بتربتهم . وكان مرضهُ الزنطارية وبقي مرضهُ اثني عشر يوماً . وخلّف ديناً ينيف على سبعين الف درهم فاجتهد اخوهُ علي حتى وفى جميعَ ما كان عليهِ . واسمُ ولدهِ شمس الدين كرامة لم يخلف بعدهُ سواهُ

وجدتُ مرسوماً من حاعان (كذا) الى ناهض الدين بحتر المذكور . من مضمونهِ ان ناصر الدين ابن سعدان من الغربيّة تقرّب الى عزّ الدين الوزيريّ والتمس من الرعايا مالاً وطلب للكشف عليهِ . فقيل لهُ طلع الى الجبل فطلبهُ من المجلس ومن اقاربه الامراء فلم يحضروهُ . فقسم بالله ان لم يحضر لياخذ من المجلس ما يتحرّر حقهُ في الكشف . وتاريخ المرسوم المذكور سنة ست وتسعين وستمائة (١٢٩٦م) في ايام سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين وفي نيابة قبجق على الشام . اما حاعان (؟) صاحب المرسوم فربما كان من حكّام الشام الكبار . واما عزّ الدين الوزيري فربما كان متولياً بيروت وهذا يدل على نحس (كذا) ناصر الدين ابن سعدان وجودة ناهض الدين واقاربه »

ذكر اخيهِ الامير بدر الدين يوسف ابن زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر

لم اعرف شيئاً من اخبارهِ. تزوَّج زين الدار بنت سعد الدين خضر بن محمد بن حجّي. وتوفّي نهار الجمعة سلخ صفر سنة احدى وسبعمائة (١٣٠١). اسماء ولدَيهِ عماد الدين موسى وسيف الدين مفرح. ووفاة امهما زين الدار المذكورة (١ في ثاني وعشرين شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٩م)

[وقد سمعتُ (٢ من غير واحد انَّ بدر الدين يوسف ابن زين الدين المذكور خرج من بيروت فوجد احد اصحابهِ يُعرف بالقاضي التبريزي قد حضر الى عرامون ونزل بالقاعة تحت العين في البستان. فنزل بدر الدين عند القاضي المذكور في القاعـة وكان عنده ناصر الدين ابو الفتح ابن سعدان ابن ابي الجيش مع جماعة وهم قاعدون في مجلس الشراب. فاخذ ناصر الدين ابو الفتح يسقي الجماعة بيدهِ فلمَّا كان الدور لبدر الدين يوسف وضع في القدح سمَّاً فعاش بدر الدين اياماً قلائل متوجعاً من أَلم السمّ وتداوى فلم ينجع فيهِ الدواء ثمَّ توفّي في التاريخ المذكور. وكان بدر الدين يوسف من سادات قومهِ جليل القدر عالي الشان وكان ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين

---

١) جاء في ذيل الكتاب: «حاشية من الاصـل: كنتُ وانا صغير اسمع الناس يقولون انَّ من نساء الامراء بعرامون امرأة ركبت فرساً فجفل وجرى بها فوقعت وتعلقت رجلُها في الركاب فمـاتت. وشتَّ عنّي مَن هي أتكون زين الدار المذكورة او احدى بنات ناصر الدين الحُسين بن سعد الدين خضر المزوَّجات في عرامون وسيأتي ذكرهنَّ فيما بعد هذا ان شاء الله. ثمَّ ذُكـر لي بعد ذلك انَّ التي قتلها الفرس هي امّ ناهض الدين اخت ناصر الدين الحسين والله اعلم»

٢) ما ذكرناهُ بين معكفَّين قد ورد في الحاشية وقد نبَّه المؤلف انهُ من الاصل فالحقناه بالمتن

خضر كثير المحبة لهُ وكثيرًا ما كان ينزل ينام عندهُ بعرامون في ألفة اختهِ زين الدار زوجة بدر الدين. ويقال انهُ هو الذي عمَّر لها القبو الذي تحت الطبقة وقيل انّ عماد الدين ابن بدر الدين يوسف المذكور عمَّرهُ لزوج بنتهِ وسنذكر عمارة القبو عند ذكرنا لعماد الدين موسى. وكان بدر الدين لمَّا قسم من اخيهِ شرف الدين طلع الى الرأس وسقَّف البيوت في الرأس ثمَّ سكنها اربعين يومًا وتوفّي. ثم عمَّر ولدهُ مفرح الطبقة التي فوق القبو الذي عمَّرهُ ناصر الدين الحسين لاختهِ زين الدار]

ذكر الامير شمس الدين كرامة بن بحتر بن صالح تبعًا لذكر ابيهِ وجدّه

كان شابًا حدث السنّ لم يتزوَّج ولم يخلف ابوهُ ولدًا سواهُ. وكان عمهُ شرف الدين عليّ هو المتكلّم عنهُ بوصاة ابيهِ بحتر المذكور. ورأيتُ بين الاوراق القديمة مراسيم من اقوش الافرم نائب الشام وقصصًا كتبها شرف الدين عليّ تدلُّ على انهُ كان المتكلّم عن شمس الدين كرامة ابن اخيهِ. وجهات اقطاعهِ عرامون وبيصور وكفتون وثلث عيناب وثلث عين عنوب وثلث بتاثر وثُلث كفرعمَّيه وثلث حصَّة الملك بمجلدا وحيرشالا (١ ومرتغون وبركة شطرا (٢ ومن الفريديس فدَّان (٣ وكان هذا الاقطاع بامرة عشرة

١) وردت هذه الكلمة في الاصل على صورة « حبر شالا وحير شالا » وقد رواها صاحب اخبار الاعيان (ص ٢٣٣) « حير وبشالا ». امَّا جناب الامير شكيب ارسلان فكتب لنا انّ كلّ ذلك تحريف والصواب « حرف شالا » وهي مزرعة في اراضي قرية كفرمتَّى بجوار مزرعة رمطون

٢) افادنا جناب رشيد افندي الشرتوني انَّ بركة شطرا مزرعة غير مأهولة قريبة من بيصور ما بينها و بين عجلتيا

٣) الفُرَيْدس قرية من اقليم العرقوب قال المؤلف في الحاشية: « وهذا

في ذلك الوقت وانما جُعلت عشرين في ايام الدَّرَك. وربما كانت قبل الفتوح مجهولة العدَّة كما كان غيرها من الاملاك والاقطاع. وشمس الدين كرامة لم يعمَر ولم تطل له مدَّة. وكانت وفاتهُ نهار السبت سادس شهر محرَّم سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧م). وانتقل اقطاعهُ بحكم الوفاة الى ناصر الدين ابن الحسين بن الخضر الآتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى بعد شمس الدين هذا. واما بقيَّة الامراء بعرامون سيأتي ان شاء الله ذكرهم بعد ذكر ناصر الدين الحسين وذكر اخوتهِ والذين تأخَّروا من ذريّتهم فيتأخر ذكرهم الى موضعهِ كما سنرتّبهُ ان شاء الله تعالى

(39) الطبقة الثانية

ولنرجع الآن الى ذكر اولاد سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمد ثم نذكر من بعدهم مَن يتعيَّن ذكرهُ من معاصريهم على ما ينبغي ترتيبهُ ان شاء الله تعالى

ذكر الامير ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمَّد امير الغرب

كان سيّدًا من السادات المعدودين نال الرُّتبة العاليــة في قومهِ وشيَّد البيت وولي رئاستهُ وسياستهُ. وكانت ايامهُ غرر الايَّام وزمانهُ رائد الابتسام عاش في ايَّام الملك الناصر محمد بن قلاوون وتنكز نائبهِ بالشام(١). وكان الزمان ساكنًا باهلهِ راقدًا عن الحوادث. وكانت سيرتهُ احسن سيرة من

الاقطاع كان اوَّلًا من جملة اقطاع جمال الدين حجّي ابن محمَّد بن حجّي كما ذكرنا

١) راجع ص ٦٢

اسداء المعروف واغاثة الملهوف شكرهُ الناس ولحظوهُ بعين الوقار. وكانت كتابتهُ مليحة مع بلاغة وفصاحة. وكان يُحِبّ سماع الشعر وحفظهُ. قيل انّهُ كان يحفظ اغلب ديوان شعر المتنبي. وكان يسأل اصحابَهُ عن نُسَخ ديوانهِ القديمة فيحضرونها لهُ. وقد وُجد بين كتبهِ اربع نُسخ من ديوان هذا الشاعر وهي من اقدم النسخ واعتقها. ونظم الشعر الرقيق ورغب في جمع الكتب وحصَّل منها شيئًا كثيرًا اغلبها دواوين شعر وتواريخ. وكان قد اشتهر اسمهُ فقصدهُ الناس ومدحهُ الشعراء. منهم الشريف ابرهيم بن اسمعيل الحسينيّ خمَّس لهُ مقصورة ابي بكر بن دريد وجعل التخميس مديحًا في المذكور وفي والدهِ سعد الدين. وللشريف ابرهيم ديوان شعر في مدائحهما وصنَّف (40r) ايضًا الشريف المذكور لناصر الدين كتابًا من أتوهِ الكتب واحسنها فُرْجةً التى فيهِ بنوادر ومُلَح ولطائف وكلّ معنًى نفيس سمّاهُ رياض الجنان ورياضة الجَنان

ومنهم شهاب الدين احمد بن الصلاح البعلبكيّ الطبيب المشهور صنَّف لناصر الدين مختصرًا في حفظ الصحّة وسمّاهُ تعديل الاسباب الضروريّة.

[ومنهم (١ الشيخ بهاء الدين محمود خطيب بعلبكّ وشيخ البلاد الشامية في الخطّ المنسوب دَرْجًا يحتوي على الاقلام السبعة كتبهُ على ورق حرير وجعَلَهُ هديّةً اليهِ]

ومنهم محمد بن علي بن محمد العزّي شاعر السَّلَف. كان لهُ كتابةٌ منسوبة وشعر فائق قد عُدَّ انّهُ من طبقة صفيّ الدين الحلّي. صنَّف العزّي المذكور مقامةً مشتركة بوصف ناصر الدين الحسين واقاربهِ جميعًا جعلها باسم

---

١) ما اوردناه بين معكفين جاء في هامش الكتاب

ناصر الدين وذكر نسبتهم اصلًا وفرعًا وجعلها على قواعد النحو واجاد فيها غاية الاجادة. ولهُ في السلف مدائح كثيرة جدًّا سنذكر ان شاء الله تعالى في آخر هذه الترجمة بعض ما قالهُ في ناصر الدين وعند ذكر كلّ واحد من اقاربهِ نذكر ما وصفهُ بهِ العزّي في المقامة المذكورة. فمن وصف ناصر الدين ومديحهِ قولهُ:

قومٌ جحاجحةٌ كرامٌ سادةٌ سادوا بنسبتهم الى ابن المُنذرِ
فهمُ الكواكب وابنُ خضرٍ بدرُهم بل شمس أُفقهم المنيرِ المُقمرِ

ومن منثورها: «هل في الشام مَن يَشيم غير بروق سحائبهِ. او يروقهُ غير جمل كتبهِ وجميل كتائبهِ. فالجدُ والجدْوى وَقفٌ على سيفهِ وقلمهِ. والعفاف والتقوى من طباعهِ وشيمهِ. غالبًا بآرائهِ الغنيَّة عن الرايات. بالغًا بآلائهِ (40^v) غايات النهاية ونهاية الغايات. مع كتابةٍ كالروض باكرهُ من كفّهِ وسميُّ الغمام. وبلاغة تفعل بالعقول ما لا يفعلهُ المُدام». ومنها مدح نؤخر ذكرهُ مع المديح في آخر هذه الترجمة وبالله التوفيق

وقد وجدتُ منشورًا من الملك الاشرف خليل بن قلاوون «باسم ناصر الدين الحُسين وشهاب الدين احمد ابن عمهِ حجّي المستجدّين في الخدمة في الحَلْقة الشاميَّة» والجهات المذكورة في المنشور قدرون ورمطون وطردلا وعين كسور يُرجع بذلك ما كان اخذهُ عثمان في ايام الملك المنصور قلاوون. وتاريخ المنشور اليوم الثالث من ربيع الاوَّل سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢م). والظاهر لنا انَّ هذا اوَّل منشور كُتب باسم المذكورَين لانهُ قال في المنشور انهما «مستجدَّان بالخدمة وخاصّتها ثلاثة طواشيَّة» واماَّ ناصر الدين فقد كُتِب لهُ منشوران بالإِمرة وكلاهما من الملك

الناصر محمد بن قلاوون . (الاوّل) لمَّا اخذ الإمرة عن شمس الدين كرامة ابن بحتر بعد وفاتهِ وكانت خاصَّتهُ عشرة طواشيّة . وجهات المنشور عرامون ومزارعها وحير شالا وكيفون (١ و بيصور وثلث عين عنوب وثلث كفرعمَّيه وثلث بتاتر . ومرتغون ومن الفريديس فدَّان وثلث عينــاب وثلث قطع ارض من العمروسيّة و بركة شطرا ومغدلا (٢ وثلث حصَّة المُلك بجلدا . تاريخهُ تاسع صفر سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧ م)

امَّا (المنشور الثاني) فكُتب سنة رُوك (٣ علاء الدين ابن معبــد وتغيير احوال الاقطاعات فحصل للسلف تعب (41^{r}) وسَعي زائد حتى أبقوا اقطاعهم على حالهِ لم يبدلوهُ بغيرهِ كما جرى للناس جميعاً فكُتِبت للسلف مناشير جُدُد باقطاعاتهم القديمة لم يبدلوا منهــا جهةً واحدة سوى انَّهم زادوا عدَّة الجند وزادوا في غيرهِ الاقطاع . فالمنشور الثــاني الذي كُتب لناصر الدين يذكر فيهِ تمييز العبرة (٤ وزيادتها فجعلوا خاصَّتهُ اثنين وعشرين طواشيًّا وكانوا عشرة قبل الرُّوك كما ذكرنا . واَمَّا جهات المنشور فلم تتغيَّر . وتاريخهُ في الرابع من جمادى الاولى سنة اربع عشرة وسبعمائة (١٣١٤) . وجهــات

١) كيفون من قرى الغرب الاعلى العامرة الى يومنا وهي بالقرب من عيتات

٢) في الاصل « معدلًا » والصواب كما روينا (راجع اخبار الاعيان ص ٢٣٣)

٣) الرُّوك بضمّ الراء تحديد الاملاك وتثمينها لتعيين ما يلحقها من الضرائب . وقد مرَّت بالدال (دُوك) وهو تصحيف . يقال راك الارضَ اذا ثمَّنها وهي لفظة قبطيّة معناها المُلك العام . وكثيرًا ما وردت في تواريخ كتبة القرون الثالث عشر والرابع عشر كالمقريزي وابي المحاسن

٤) يظهر من سياق المعنى ان العبرة كالاقطاع (apanage) او تخمين الحاصلات . وبهذا المعنى وردت في تأريخ المماليك للمقريزي

هذا الاقطاع كانت بيد جمال الدين حجي بن نجم الدين محمد. وانقلبت الى زين الدين ابن عليّ ثم الى اولاده ثمَّ الى شمس الدين كرامة بن بحتر ولد ولده الذي اخذه عنهُ ناصر الدين الحسين

ويجب ان نذكر لمعًا من اخبار اقطاع السَّلَف الى زمن الرُّوك المذكور. كان السلَف قديمًا واضعين ايديهم عليها وكُتِب لهم بها مناشير من الملوك كما ذكرنا(١ فما زالوا على ذلك الى سنة تسع وثمانين (١٢٩٠ م) في ايَّام المنصور قلاوون حيث فُضّل بنو تغلب من مشغرا على الجبليــة بصيداء وبيروت فاخرجوا ما بايديهم من الاملاك والاقطاعات المحلّقة بطرابلس عند فتوحها. ومن جملة ذلك اقطاعات السلَف. وكان الاغلب عليها انَّهم تملَّكوها من عهد بحتر بن عليّ الاوَّل بمحاضر شرعية مُثبتَة مُنفَذة من قاضٍ الى قاض.

١) جاء في الاصل ما نصُّهُ: « حاشية. قلت وربَّما كان السلف المتقدمون قد وضعوا قديمًا ايديهم على البلاد بغير مناشير من قبـل سنة عشرين واربعمائة (١٠٢٩م) ولم يتعيَّن لهم مناشير سوى من ايَّام بحتر بن علي الذي بدأنا بذكره وايَّام بنيهِ. وربما لم يعرفوا دَرَكًا ولا شاغرةً ولا عدَّة جندٍ ولم يحرّروا عليهم عبرة اقطاع ولا غيرهُ. ثمَّ في دولة الملك العادل نور الدين جعلوا لهم عدَّة جنـد كما ذكرنا. وبذلك في ايَّام المنصور قلاوون لمَّا خرجت الاقطاعات فاسترجعها الملك بعدَّة جند ودرَك على بيروت. ولمَّا كان الرُّوك تزايدت العبرة وعدَّة الجند واستقرَّ المُلك اقطاعًا والله عالم بما خفي وما ظهر وهو على كلّ شيء قدير. ووقفتُ على مراسيم من الملوك المتقدّمين على عهد قلاوون المنصور تتضمَّن انهُ ليس لاحد حقّ في ان يعارض امير الغرب في املاكهِ ولا يغيّر عليهِ عادةً ولا يُحدث عليهم رسمًا سوى ما قرّر عليهم وهو قَدْر قليل لعلهُ قريب سبعمائة درهم تُحمل الى ديوان الشام شبه العشر او حول الاراضي او حكر. وكذلك ذكروا في كتب الامـلاك وجعلوا على كلّ قرية مبلغًا مقرَّرًا وهو قَدر قليل يُحمل الى الديوان المعمور

والمحاضر موجودة (41v) في عهدنا هذا. فلمَّا اخرجها المنصور قلاوون لم يكن لنا عِبْرة ولم يقرَّر عليها عدَّة جنـد ولا درك. فلمَّا استرجعوها ايَّام الاشرف خليـل بن قلاوون وفي اوائل ايام اخيهِ الناصر محمَّد بن قلاوون جعلوا لها جندًا معلومًا ودركًا ببيروت. واستمرَّ على ذلك الى وقت الروك سنة ثلاث عشرة وسبعمائة (١٣٢٢م) وهي اوَّل نيابة تنكز في الشام. فلمَّا حضر علاء الدين بن معبد الى بلاد صيداء وبيروت وراكها حصل منهُ جَنَف على الغرب. والروك يُقتضى منهُ تبديل الاقطاعات ومناقلاتهـا من مقطع الى آخر فخشي ناصر الدين من ذلك وتوجَّه الى دمشق وسأل ملك الامراء في التوجُّه الى مصر صحبـة المتوجّهين بالزول (١ فاجابهُ الى سؤالهِ

ووقفتُ على كتاب بخطّ ناصر الدين الى ملك الامراء مضمونهُ بعد البسملة الشريفة(٢ : « ان المملوك (٣ الحسين ابن امير الغرب يقبّل الارض وينهي الى مقامكم ان المملوك واقاربهُ ملتزمون بحفظ ثغر بيروت المحروسة وهم مجتهدون في خدمة مولانا السلطان خلَّد الله ملكهُ وان غالب اقطاعاتهم التي يضعون الايدي عليها هي من املاكهم الثابتة بالشرع الشريف وهي معهم الآن بعدَّة ثلاثين فارسًا وكانت لأبهات (٤ المماليك بثلاثة ارماح

١) كذا في الاصل ولعلَّهُ تصحيف « الروك » الذي مرَّ شرحهُ

٢) راجع هـذا المنشور في تاريخ الاعيان (ص ٢٣٢) وبين النصَّين بعض اختلاف كما ترى

٣) لفظة المملوك من الالفاظ المستعملة في الرسائل القديمة ايذانًا بتذلل الكاتب كما يقال في يومنا « العبد والفقير » الخ

٤) كذا في الاصل ونظنهُ الصواب يريد انَّهم كانوا يتَّخذون هؤلاء الفرسان للابَّهة وشرف الإمرة. وجاء مثل ذلك في تاريخ المقريزي . وقد رُوي في اخبار الاعيان: « وكانت لآبائهم »

الى حين أُقطعت املاك الجبليّة . وانّا رُسِم بكشف البلاد تميّز فيها الذي كان المماليك يوفرونهُ بسبب الرجال الذين يُساعدونهم على حفظ الثغر . وانّهُ متى دخلت هذه الاملاك (42^{r}) في الرُّوك تهلك المماليك ولا ينتفعون بغيرها لأنها مساكنهم وبها رجالهم وعشيرتهم . وسؤالهم من صدقات مولانا ملك الامراء ان يتصدّق عليهم بمطالعةٍ على يد المملوك الى الابواب الشريفة . ومهما اقتضاهُ رأْي مولانا ملك الامراء من إلزامهم بزيادة عدّة تحملها طاقتهم التزمهُ المماليك وما لهم الّا الله تعالى ومراحم مولانا ملك الامراء عزّ نصرهُ . أُنهي الحالُ والرأْيُ اعلى واسمى والحمد لله وحدهُ »

وجواب هذا الكتاب مكتوب في جانب الرسالة السابقة في الهامش وهو : « اذا كملت الاوراق والكشوف ولم يتولّها عتق تُكتَب على يدكم مطالعة بصورة الحال وتتوجّهون الى الباب الشريف ومهما برز بهِ الامر المطاع يكون الاعتماد عليهِ »

ثمّ قصد ناصر الدين التوجُّه الى مصر على الساحل . فأُخبر علاء الدين ابن معبد نائبَ الشام انّ امير الغرب توجّه الى الباب الشريف ليقضي شغلهُ بغير رخصة ملك الامراء . فرسم هذا بابطال توجّه ناصر الدين الى مصر وكتب لهُ مطالعة الى السلطان ذكر فيها قِدَم املاك امراء الغرب فرسم السلطان أنّها تستمرّ بايديهم وانّ الذي زِيدَ فيها يزاد في عدّة الجند نظيرهُ فوجدوهُ النصف فحضرت المناشير بمضاعفة العدّة وهي اثنان وستون جنديًا

وهذه نسخةُ قائمةٍ (١ كُتبت بعد الرُّوك من ديوان الجيش مضمونها

١) قد وردت هذه النبذة في كتاب اخبار الاعيان (ص ٢٣٢ — ٢٣٥)

الذي شهـد بهِ الديوان المعمور انَّ الذي تعيَّن باسم من يُذكَر من الامراء الجبلية اولاد امير الغرب عند الروك (42^r) المبارك لاستقبال سنة ثلث عشرة(١ وسبعمائة المدرك في شهر (؟) سنة اربع عشرة وسبعمائة بمقتضى الاوراق المحضرة من الابواب الشريفة في السنة خارجاً عن الملك والوقف والمواريث الحَشَرِيَّة(٢ دوننا:

المجلس السامي(٣ الامير ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين امير الغرب لخاصَّتهِ وعشرين طواشيًا من بيروت: عرامون وحيرشالا(٤ وكيفون وبيصور وثلث عين عنوب وثلث عيناب وشمشوم وثلث كفرعمَّيه وثلث بتاثر وبركة شطرا ومرتغون وثلث حصَّة الملك بمجلدا ومغدلا ومن الفريديس فدَّان

الامير عزّ الدين الحسن ابن سعد الدين امير الغرب لخاصَّتهِ وخمسة طواشيهِ: نصف عاليه ونصف الحريبة وعينتا(٥ ونصف الدوير ونصف الصبحيَّة(٦ ونصف درب المغيثة وربع قدرون ونصف قطع ارض في قرنَيْه وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور

١) كذا ورد في الاصل ولا يخفى ما في هذه التراكيب من الركاكة والالتباس

٢) قال المقريزي: «المواريث الحَشَرِيَّة هي التي يستحقُّها بيت المال عند عدم الورَّاث». وقد اقيم في مصر على عهد الدولة التركيَّة ديوان كان يدعى ديوان الحشر (Quatremère: *Hist. des Sultans Mamluks*, II[1], 133)

٣) جاءت هذه العبارة في اخبار الاعيان (ص ٢٣٢) على صورة اخرى فرواها: «عناظرة المجلس الشامي» واردفها بما سبق

٤) راجع ما قلنا سابقًا في اسم هذه القرية (ص ١١٩)

٥) كذا في الاصل ورواها في اخبار الاعيان (ص ٢٣٣): عيتا

٦) كتبها صاحب اخبار الاعيان: السباحيَّة

مجلس الامير عزّ الدين حسين ابن شرف الدين عليّ لخاصّته وعشرة طواشيه: نصف عيتات ونصف دفون ونصف مجدليًا ونصف شملال ونصف عين عنوب (١ ونصف سرحمور ونصف عين درافيل وثلث بتـاتر وثلث عيناب وثلث قطع ارض في العمروسيّة وثلث حصّة الملك في خلدا وثلث كفرعميّه ومن الفريديس فدان

مجلس الامير سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين صالح لخاصته وعشرة طواشيه: نصف عيتات ونصف دفون ونصف مجدليًا ونصف شملال وثلث عين عنوب (٢ ونصف عين درافيـل وثلث بتـاتر (٣43) ونصف سرّحمور وثلث عيناب وثلث قطع ارض في العمروسية وثلث كفرعمّيه وثلث حصّة الملك في خلدا ومن الفربديس فدّان

الامير علم الدين سليمان بن غلاب لخاصّته وخمسـة طواشيه : نصف الحزية وعيتنا (٣ ونصف الدوير ونصف الصبحيّة (٤ ومن درب المغيشـة النصف وربع قدرون ونصف قطع ارض بقرَتيه وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور

الامير سيف الدين ابرهيم ابن نجم الدين محمّد بن حجّي لخاصتـه وخمسة طواشيه: ربع بطلّون وربع الطغرانيّة ونصف القبّي ونصف بجوّارة ونصف معيسنون وربع الدوير ونصف مزرعة اقطو (٥

١) وفي اخبار الاعيان: ثلث عين عنوب

٢) لم يذكر عين عنوب في اخبار الاعيان (ص ٢٣٣)

٣) رواها في اخبار الاعيان: عيتا

٤) وفي اخبار الاعيان: السباحيّة

٥) وفي اخبار الاعيان (ص ٢٣٤): وربع اقطو

الامير شمس الدين عبد الله ابن جمال الدين حجّي لخاصته واربعة طواشيه: نصف قدرون ونصف رمطون ونصف طردلا ونصف عين كسور

الامير عماد الدين موسى بن مسعود بن ابي الجيش لخاصّتـه واربعة طواشيه: نصف ادفول (١ ونصف الفسيقين (٢ ونصف شطرا ونصف دير قوبل ونصف عين حجّيه

والمرسوم الكريم اعلاهُ الله تعالى ان لا يتعرّض الى هذه النواحي ولا لغلّتها وحقوقها الى حين حضور المناشير الشريفة. وعملتُ امثـالًا لِما رُسم بهِ لِيُحمل الامر على حكمها. وكُتِب في ثامن محرَّم سنة اربع عشرة وسبعمائة (١٣١٤ م)

فهذه نسخة القائمة المذكورة والقرى المعيَّنة . وقد كُتب اسم كل قرية واسم مزرعتها تحتها

(اقول) وبعد ذكرنا هذا نذكر لمعًا من اخبار المستقطعين بالشـام وأُمرائها (43 ^v) وتغيّرات احوالهم. لمَّا كمل كشفُ بلاء المملكة الشاميَّة وتحرَّرتْ قواعُدها طُلِب معينُ الدين ابن حشيش (٣ ناظر جيش الشام الى مصر بسبب رُوكِ الاقطاعات والاخباز (٤ وتوزيعها. وكذلك توجّه بعدهُ

---

١) وفي اخبار الاعيان: دفون. وكلاهما واحد

٢) وفي اخبار الاعيان: الفساقين. والفساقين اليوم من قرى الغرب الاسفل بقرب عين كسور. ومنهُ ايضًا عين قوبل

٣) لم نحصل على شيء من اخباره

٤) الاخباز جمع خُبز وهو اقطاع كان يُعطى للامراء او الجند يستثمرونهُ فيعيشون من مدخولهِ. وهذه اللفظة دخيلة وردت في تواريخ الدولة الجركسية في مصر (راجع Quatremère, *op. c.*, I², 159-160)

الصاحب شمس الدين عربال (١ بسبب الروك ايضاً فولّوا ابن الحشيش المذكور نظر الجيش بمصر. وولّوا قطب الدين ابن شيخ السلامية (٢ نظر الجيش بالشام فحضر الى دمشق على خيل البريد في اليوم السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة (١٣١٣م) وعلى يدهِ التقاليد باقطاعات الامراء والمقدَّمين والجند بعد رُوكها على ما يقتضيهِ الحال

وكان الامير سيف الدين قَجْليس (٣ قبل حضورهِ الى دمشق توجَّه الى حلب لهذا السبب فقضى شغل حلب وعاد الى دمشق في اليوم الذي وصل فيهِ قطب الدين المذكور. وثاني يوم وصولهما جلس ملك الامراء تنكز وجلس قجليس الى جانبهِ وحضر قطب الدين واحضر كيساً مختوماً وفيهِ اقطاعات الامراء. فاخذ كلٌّ منهم تقليدَهُ وقبَّلهُ ووضعهُ على رأسهِ وانصرف الى دارهِ ولم يجسر احدٌ منهم ان يتكلَّم فمنهم من كان اقطاعهُ فوق ما في نفسهِ ومنهم من لم يرضَ بهِ

---

١) كذا في الاصل بلا نقط ولا ضبط. ولعلَّهُ غبريال

٢) ذكرهُ بن اياس في كتاب بدائع الزهور ١ : ١٧٥) وقال انهُ كان قاضياً وان الملك الناصر محمَّد بن قلاوون ولَّاه كتابة سرّهِ. ولم يذكر سنة وفاتهِ

٣) دعاهُ ابن اياس « قجليش » وذكرهُ في تاريخ سنة ٧١٣ ھ (١٣١٣) وروى ان السلطان محمَّد بن قلاوون سلَّمهُ المثالات والمناشير وارسلها على يده الى الشام فسلَّمها الى نائب الشام ففُرّقت على العساكر الشاميَّة. وذكرهُ ايضاً في تاريخ سنة ٧٢١ وقال عنهُ انهُ كان امير محمل في تلك السنة وفيها حجَّت خوند زوجة الملك الناصر

ثمّ فُرّقت مثالات المقدَّمين واجناد الحَلْقة فكان كلّ مقدَّم يحضر هو وجماعتهُ وقد وُضعت قدَّام ملك الامراء المثالات وهي مغطَّاة بمنديل . فيأخذ قطب الدين بيدهِ من تحت المنديل ويناولهُ واحدًا واحدًا (44ʳ) من غير قراءة حسب حظّ كلّ واحدٍ وبختهِ . فكان يطلع لواحد اقطاع جيّد فوق ما كان يأملهُ بزيادة ولا يطلع لآخر ما يأملهُ . فتضوَّرت جماعة كثيرة من ذلك واحضروا منهم خمسةً او ستّةً وضربوهم ورسموا بحبسهم فسكت الباقي . وبقيت خراجات ضياع الغوطة والمرج خاصّةً للسلطان وكذلك الضياع التي هي منازل من دمشق الى العريش . وحصل بذلك الرفق للرعيّة وبطل النقد والمكيول(١ . ذكرتُ هذه القصّة لما وفّقهُ الله من استمرار اقطاعات السّلَف عليهم في مثل هذه الكائنة التي تغيّرت فيها اغلب احوال المملكة

وامّا علاء الدين بن معبد الذي نُسب اليهِ الرُوك فكان من اولاد التجّار ببعلبك فتقدَّم وترقّى منزلةً بعد أُخرى الى ان صار معروفًا وتأمَّر على شطر طبلخاناة وهي امرة عشرين . ثم قبل سنة الروك أُعطي نصف إمرة ابن صُبح وكانت طبلخاناة وبقي امير اربعين وهي طبلخاناة . وكذلك ابن حميد البعلبكيّ كان معاصرًا ابن معبد فتوصل بالدولة الى ان وُلّي نظر الجيش بالشام مدّةً يسيرة

١) جاء في حاشية الكتاب ما نصّهُ : « وفي سنة سبع وتسعين وستمائة (١٢٩٨م) اتّفق السلطان الملك المنصور لاجين مع نائبهِ في السلطنة منكوتمر على روك الاقطاعات بالديار المصريّة . فرِيكت جميع البلاد المصرية وكُتبت مثالات بما استقرَّت عليهِ الحال وفُرّقت على اربابها فقبلوها طوعًا او كرهًا »

ولنرجع الى ما كنّا فيهِ. واستمرّت اقطاعات السلف على ما ذكرناهُ ثم انقسموا ثلاثة ابدال وقد رأيتُ بخطّ ناصر الدين المذكور قائمةً (٤ مضمونها الذي تقرَّر بين المماليك اولاد امير الغرب من الابدال بالثغر المحروس: (البَدَل الاوّل) الفقير الى الله تعالى الحسين بن خضر واخوهُ عزّ الدين حسن وشمس الدين عبدالله ابن عمهِ واصحابهما ما خلا خمسة انفار تُضاف الى الامير ناصر الدين ابن سعدان وهم صارم الدين شمول وابن عمّهِ نجم الدين كوكب سنان وشرف الدين غازي ابو الرجال وشرف الدين ابو العلاء بن شقير وبدر الدين حسن بن سامي. (والبدل الثاني) الامير سيف الدين مفرج والامير عزّ الدين حسين ابن شرف الدين والامير علم الدين سليمان واصحابهما. (والبدل الثالث) الامير ناصر الدين ابن سعدان وولداهُ الامير سيف الدين ابرهيم بن نجم الدين واصحابهُ والامير عماد الدين موسى بن مسعود واصحابهُ والخمسة المضافون اليهم من جماعة المماليك

ثمَّ من مضمون القائمة المذكورة اسماء جماعة المماليك «العشرة الأُولى»: شرف الدين ابن قاسم برق. حصن الدين زعازع بن احمد. نجم الدين ايّوب. صارم الدين شمول بن نجا من بني ابي الجيش. شهاب الدين داوود ابن عبد الله. شمس الدين عبد الجبيد بن جار. بدر الدين بدر بن عبدا لكريم. ناصر الدين غسّان بن جلال. جمال الدين رشيد بن معبد. شرف الدين بن يعقوب بن عبد الحقّ العديسيّ. امّا «المستجدُّون» فهم: حسام الدين ابو الهيجاء بن عيسى العديسيّ. شرف الدين مشرف بن جميل. شهاب الدين احمد بن شمس. شمس الدين محمّد بن مهنا. شجاع الدين ارسلان بن مسعود.

٤) راجع هذه القائمة في اخبار الاعيان (ص ٢٣٤)

شرف الدين عيسى بن يوسف . بدر الدين حسن بن سامي . شرف الدين عيسى بن غازي الزبودي . نجم الدين كوكب (45 r) بن سنان . ناهض الدين عبد المنعم ابو النجم . عزّ الدين حسن بن رفاعة . عزّ الدين بن فضائل ابن ابي العلاء المبشري

فقولهُ « العشرة الاولى » يريد عدَّتهُ الاولى قبل الرُّوك وهم مستمرُّون في خدمتهِ . وقولهُ « المستجدُّون » اي الذين استجدَّهم عندهُ في الخدمة بعد الروك فصار المستمرُّون من الاوَّلين عُتقًا والذين بعدهم مستجدّين . امَّا شرف الدين يعقوب بن عبد الحقّ المذكور فهو الذي كتب لناصر الدين مخدومهِ مرآة الزمان والذَّيل عليها . وكتب لهُ ايضًا غيرها عدَّة كتبٍ فكان ما كتبهُ لهُ نيفًا وثلاثين مجلَّدًا كبيرًا ضخم الحجم وقد رأَيتها كلّها

(قلتُ) واذا نظر الناظر الى هذه الأبدال الثلاثة يجد قسمتها على احسن ترتيب واكمل سياسة لانَّ (القسمة الاولى) للامراء في اعيَنه فزادوا عن الثلاثة خمسة اجناد . وكان يجب ان يُفرَد لها احد الاميرين امَّا عزّ الدين الحسن بن خضر وامَّا شمس الدين عبد الله بن حجّي فلم يخرجها ناصر الدين عنهُ وابقاها معهُ لكون عزّ الدين اخاهُ وعبدالله ابنَ عمهِ . وجعل عوضًا عن الذي ينفرد منها خمسة من جندهِ مناسبين لبني ابي الجيش . وامَّا (القسمة الثانية) فللامراء بعرامون تكملتُهم علَمُ الدين الرمطونيّ بالمطابقة لهم . وامَّا (القسمة الثالثة) فلناصر الدين بن سعدان وولديهِ ومعهم سيف الدين ابرهيم بن محمَّد العينابي وكمَّلهم ناصر الدين الحسين بخمسة من جندهِ وهي المذكورة . ولينظر الناظر (45 v) الى هذه القسمة الثالثة كيف جُعلت . فامَّا ناصر الدين بن سعدان فكان من طبعهِ البغض والحسد لناصر الدين

الحسين واقاربهِ الامراء بعرامون . واماَّ سيف الدين ابرهيم فكان ولدهُ نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين حجي وقد عقَّ اباهُ وعاداهُ اقاربُهُ وصار مبغضاً لديهم . واماَّ اجناد ناصر الدين الحسين الخمسة فهذه اسماؤهم : شمول بن لجا وهو ابن عم ناصر الدين ابن سعدان . ونجا هو تقيّ الدين نجا المقدَّم ذكرهُ الذي فعل مع السلَف تلك الفعائل . ومنهم موسى بن مسعود فكان من بني ابي الجيش ايضاً

وحكي انهُ قيل لناصر الدين الحسين ان ناصر الدين ابن سعدان مرض مرضاً لا ينجو منهُ فقال : « في منعاهُ سألبس الاحمر » . يُشير بذلك الى ما ذكرناهُ عن ابن سعدان لمَّا دسَّ السمّ لبدر الدين يوسف ابن زين الدين وكان لمَّا بلغهُ خبر موتهِ لبس الاحمر يظهر الاشتفاء بهِ . وكان مع ذلك ابن سعدان المذكور اقلّ بغضاً لامراء الغرب من بقيَّة اقاربهِ . وكان لابن سعدان هذا ولدٌ اسمهُ شهاب الدين داوود فمشى على قاعدة تقيّ الدين نجا عمّ ابيهِ ناصر الدين ولم ينجح لهُ قصد (١

وقد وقفتُ على اشهادٍ من مضمونهِ انَّ داوود المذكور رجع عن قولهِ وتاب وسلك الطرائق الحميدة والمناهج السديدة وانهُ اقرَّ انَّ كلَّ ما تكلَّم بهِ عند النوَّاب والامراء في حقّ ناصر الدين الحسين زورٌ وبهتان في طريق الحسد والبغض لا صحَّة لهُ

---

١) قد جاء في حاشية المؤلف ما نصهُ : « وقد وجدت كتاباً لناصر الدين الحسين المذكور جاء في مضمونهُ انَّ شهاب الدين داوود ابن ناصر الدين كان رديْ السيرة يمشي على طريقةٍ مذمومة وانهُ واخاهُ سعدان يقصدان ضرر ناصر الدين الحسين واخوتهِ ويقدحان في اعراضهم . وتاريخ هذه الكتابة العُشر الأخير من شهر صفر سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠ م) »

ووقفتُ ايضًا على كتاب من تنكز نائب الشام جوابًا لناصر الدين الحسين يقوّي بهِ يد ناصر الدين (46r) على داوود المذكور وانَّهُ لم يسمع لكلامهِ بل تحقَّق كذبهُ وعرف شكر الناس لناصر الدين. وكتاب تنكز المذكور والاشهاد السابق كلاهما بتاريخ سنة احدى وعشرين وسبعمائة (١٣٢١م)

وبيت بني ابي الجيش كانوا مشهورين بالبغض والحسد لهذا البيت ولاقاربهم الامراء بعرامون ويتسلَّطون عليهم بالكذب والزُور من غير إساءةٍ سبقت منهم اليهم (١. وقد حُكي انَّ بعض الامراء بعرامون مات مسموماً بيد احد ابناء ابي الجيش (٢ وقد هلك في آخر الامر بنو ابي الجيش وخربت مساكنهم في ايَّام هذا البيت. وانَّ العاقبة للمتَّقين

ذكر بعض حوادث جرت في ايَّام ناصر الدين

كان عمر ناصر الدين لمَّا قُتِل القطب نحو عشر سنين. ولمَّا فُتحت بيروت على يد الملك الاشرف كان عمرهُ قرب اثنتين وعشرين سنة. وفي ايَّامهِ كان

١) جاء في ذيل الكتاب ما حرفهُ: « سمعتُ من غير واحد انَّ بعض الامراء الذين سكنوا بعرامون الحارة المجاورة للعين كان يصبح بعض الاحيان فيجد في الطيقان نشَّابًا مغروسًا. وكذا كان يجري في بيت جمال الدين حجّي المعروف الآن ببيت شجاع الدين فكان يُرى النشَّاب مغروسًا في الطاق قد رُمي بهِ من جهة الوادي وكان ذلك من بني ابي الجيش. وبغضهم لهذا البيت مشهور »

٢) حاشيـة للمؤلف: « المعروف انَّ الذي توفي بالسمّ هو بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن عليّ بن بحتر المذكور في الطبقة الاولى. وقيل انَّ الذي دسَّ لهُ السمّ هو ناصر الدين ابو الفتح بن سعدان بن ابي الجيش. وقد تقدَّم ذكر ذلك في حاشيتهِ عند ترجمة بدر الدين المذكور في الطبقة الاولى »

نزول الفرنج على الدامور ليلة الاربعاء من جُمادى الأولى سنة اثنتين وسبعمائة. وكان في الدامور شمس الدين عبدالله واخوهُ فخر الدين عبد الحميد واسروا اخاهُ شمس الدين عبد الله. وقُتل في تلك الليلة مجاهد ابن ابي الحسن بن يوسف وابن عمّهِ معتب بن ابي المعالي ونفر من اهل ادميث (١. وبقي شمس الدين عبدالله معهم في الشواني خمسة ايّام (46v) الى ان باعوهُ بالقرب من قرية خلدا بثلثة آلاف دينـار صوريّة لانهم عرفوهُ وندموا على قتل اخيهِ. ودفع ناصر الدين جانبًا كبيرًا من مالهِ ليفديهُ

وفي ايام ناصر الدين (٢ في اوائل محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٦م) كان فتوح كسروان(٣ فقصد الجبل ومعهُ أقاربهُ وجمعهُ. فقُتِل منهم الامير نجم الدين محمّد واخوهُ شهاب الدين احمد ولدا الامير جمال الدين حجي في

١) ادميث من قرى اقليم الخرّوب

٢) جاء في الحاشية ما نصّهُ: وفي سنة اثنتي عشرة (كذا) وسبعمائة نُزع عن ناصر الدين الحسين واقاربهِ درك ما بين انطلياس وبيروت واستقرَّ دركهم ميناء الحصن وميناء الرميلة. وقد وجدتُ محضرًا كُتِب بهذه الكائنة من مضمونهِ ان شواني الفرنج الجارية في بحر المالح حضروا الى ميناء الدامور ليلة الاربعاء خامس جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة فرأوا نارًا لاحت لهم من جهة القرية فتبعوها وكان بالقرية شمس الدين عبدالله واخوه فخر الدين عبد الحميد ولدا جمال الدين ومعهم جماعة يشتغلون بالزراعة في الدامور وهم نيام مطمئنّون الى اليزك المرتَّب على ميناء الدامور يتولاهُ بنو العدس وبنو السوبَزانيّ فاوقع الفرنج فيهم واخذوا اسرى كلَّ من قدروا عليهِ ومن لم يقدروا عليهِ اجتهدوا في قتلهِ. فكان من عدد المقتولين فخر الدين عبد الحميد ومن المأسورين شمس الدين عبد الله اخوهُ. وتاريخ هذا المحضر في ثاني وعشرين جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة وكتب الطاهر (؟) انَّ هذا المحضر كُتب شهادة على إهمال بني العدس وبني السَّوبزانيّ ليزكهم وتتبُّعًا فيما فرَّطوا بهِ والله اعلم ٣) مرَّ ذكر هذه الواقعة في الصفحة ٤٨

نهار الخميس خامس شهر محرَّم المذكور بقرية نيبَيْه(١ من كسروان وقُتل معهم من اهل الغرب ثلاثة وعشرون نفرًا. وكانت وقعة نيبيه المذكورة وقعةً رديئة لانَّ اهل كسروان تجمَّعوا وقاتلوا بها وكان هناك مغارة اجتمعوا فيها بعد القتال. وذُكِرَ ان عدد اهل كسروان بلغ اربعة آلاف راجل فهلك منهم بالسيف خلقٌ كثيرٌ والذين سلموا منهم تفرَّقوا في جزّين وبلادها وفي البقاع وبلاد بعلبك. ومنحت الدولة لبعضهم الامان. وحصل لناصر الدين انكارٌ من الدولة لانَّ البعض بلّغوا السلطان عنهُ انَّهُ تعرَّض الى من أُعطي الامان من الكسروانيين في مرورهم على بلد بيروت. وكان الذين نقلوا هذا الخبر الى الدولة نقلوهُ كذبًا وافتراء. وكُتِبت في ذلك محاضر رأيتُ بعضها

وهذه اسماء النوّاب الذين اجتمعوا على كسروان: الجماليّ اقوش الافرم نائب الشام والسيفي استَدْمر نائب طرابلس والشمسي سنقرجاه المنصوري نائب صفد(٢. وذُكِرَ انَّ النوّاب (47^r) المذكورين جلسوا على بساط في يوم من ايَّام حرب كسروان ومع كلّ من نائبيْ طرابلس وصفد خنجر. وكان ناصر الدين واقفًا عندهم مشدود الوسط بمنطقة وخنجر فاستلّ النائبان خنجريهما على طريق اللعب والمجون وجعلا يمزحان مع نائب الشام اقوش ويضحكان منهُ لكونهِ بدون خنجر. فهمَّ ناصر الدين ان يعطي لنائب الشام خنجرهُ فمنعهُ من ذلك الاحترام وخشي التجرّيْ على مثل ذلك لكنهُ ندم بعدئذٍ على تقصيرهِ لانَّ الامر كان في محلّهِ. ثمَّ رجع ناصر الدين الى المكان الذي كان نازلًا بهِ فما كاد يصل اليهِ حتى ارسل نائب الشام يطلب منهُ خنجرهُ فاعطاهُ ايَّاهُ بعد فوات محلّهِ.

١) نيبيه اليوم من المتن   ٢) مرَّ ذكرهم سابقًا (ص ٤٨)

وفي ايّام ناصر الدين في عيد الاضحى سنـــة اربع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٣) حضرت شواني للفرنج الجنويين الى بيروت قاصدين اخذ قَرْقون (١ لطائفة الكتيلان (٢ في أيّام ولاية عزّ الدين البَيْسريّ (٣ من قبل تنكز نائب الشام. وقصد المسلمون منع الجنويّة من اخذ القرقون فقاتلوهم قتالًا شديدًا لكنهم لم يقووا على منعهم. وقُتل جماعة من الجنـد والرجال وجُرح بعض الامراء بعرامون ودخل الجنويّة الميناء واخذوا الاعلام السلطانية من البرج وقُتل جماعة في البرّ وانهزم المسلمون فقاتلهم الجنويّة في الازقّة. ويُذكر انّ القتال استمرّ بينهم يومين (٤. ثم طُلِب امراء الغرب وتركمانُ كسروان الى دمشق فحصل لهم هناك اهـانة واذيّة ما خلا ناصر الدين فانّهُ أُخرج عنهُ لانهُ كان مصادقًا لامير يقال لهُ صاروجا (٥ فارسل (٧ 47) صاروجا زوجتَهُ الى حريم تنكز ليتكلّمنَ في ناصر الدين ففعلنَ. وكان لتنكز

١) نظنُ انّ القرقون كالقَرْقور وهي السفينة الطويلة معرّب عن اليونانيّة κέρκουρος

٢) الكتيلان (Catalans) قوم من فرنج الاندلس كانوا محالفين للمسلمين

٣) لم نجد لعزّ الدين البيسري ذكرًا في غير هذا التاريخ

٤) ورد ذكر هذه الواقعة في كتاب اخبار الاعيان (ص ٢٣٥)

٥) جاء في حاشية الكتاب: « وبعد اخذ مركب الكتيلان وحركة الجنويّة الزم نائب الشام ناصرَ الدين واقاربَهُ بان يقيموا في بيروت مدّةً طويلة فاتخذوا فيها حارة الميناء على جانب البحر وابطلوا الكنيسة التي كانوا يتزلونها اوّلا كما ذكرنا ». وصاروجا هذا اصلهُ من دمشق ورُوي اسمهُ بالسين « ساروجا ». ولعلَّهُ هو الذي ذكرهُ ابن اياس في بدائع الزهور (١ : ١٦٦) في تاريخ سنة ٧٣٢ هـ وقال انّهُ كان نقيب الجيوش وانّهُ صاحب الجامع الذي عند بركة الرطلي

ولدٌ ارسلتهُ امهُ اليهِ ولقَّنتهُ ما يقول فتلطَّف الولد بالامر فنجحت القضيّة ولم يُسجن ناصر الدين بالقلعة الّا ايّاماً قلائل فقال (١ :

قالوا حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بضائري حبسي وايُّ مُهنَّدٍ لا يُغمَدُ
او ما رأيتَ الليثَ يألف غِيلهُ كبرًا واوباشُ السباعِ تَرَدَّدُ (٢
والنار في احجارها مخبوءةٌ لا تُصطلى إِلَمْ تُثِرْها الأَزْنُدُ
والحبس اذ لم تغشَهُ لجريمةٍ شنعاء نعم المنزلُ المتوَرَّدُ
بيتٌ يُجدِّد للكريم كرامةً فيزار وهو لا يزورُ ويُحمَدُ

وصاروجا كان منسوبًا الى تنكز وبعد حبس تنكز بمدّةٍ قليلة أُمسك صاروجا واحتاطوا على حواصلهِ وسجنوهُ في القلعة ثم اطلقوهُ سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤٠ م). وكانت اعبيّه من جملة اقطاع صاروجا. وحُكي عنهُ انّهُ عرض على ناصر الدين ان ينزل عن اعبيه الى بيت مال المسلمين فيشتريها ناصر الدين ملكًا من بيت مال المسلمين وانهُ يقرضهُ في ثمنها الف دينار. فلم يوافقهُ ناصر الدين على ذلك. فقال صاروجا: انت قد صار لك في اعبيّه عمائر كثيرة وهي لا تصلح الّا لك فاشترِها. فقال: انّ اقاربي لهم املاك باعبيه فان اشتريتها يطمعون بي وما يعطوني خراج املاكهم واكون قد تكلَّفتُ ثمنها بلا فائدة. ولناصر الدين مديح في صاروجا (48r):

اذا رُمتَ من مرِّ الحوادث تفريجا فلُذْ بالمقرِّ الاشرف القَيْلِ صاروجا (٣

١) هذه الابيات قالها علي بن جهم الشاعر المشهور لمّا امر الخليفة المتوكّل بحبسهِ (راجع مجاني الادب ٣: ١٥٣)

٢) ويروى: تَصَيَّدُ

٣) ذكر ابن سباط هذه الابيات في تاريخهِ. وهو يروي: من اثر الحوادث

هو الصارمُ المشهورُ في قمم العدى وبحرُ الندى في السلم والموت والهَيجا
حمى بيضةَ الاسلام في يوم شَقْحَبٍ(١ فكم نهر ماء من دما المُغْلِ ممزوجا
وكم يوم حربٍ قد جلاهُ وكم لهُ ايادٍ بفيض الجود كالغيث مثجُوجا
فلا عَدِمَتْهُ دولة ناصريَّةٌ لها عَلَمًا (٢ بالعدل والنصر منسوجا
ولا زال محروس الجناب وبابُهُ محطُّ رِحال الحَمْد بالمدح مَحجُوجا

ذكر التجريدة(٣) الى الكرك

لمّا تسلطن السلطان الملك الناصر احمد ابن الملك الناصر بن محمد ابن قلاوون في الكرك اقام فيها ايّامًا في لهو ولعبٍ فانكروا عليهِ امورًا لا تليق بالسلطنة. فاتّفق اهل الشام على خلعهِ وارسلوا المصريين في ذلك فاجابوهم وسلطنوا اخاهُ الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون في شهر محرَّم سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢ م) وتجرَّدت العساكر الى الكرك لحصار السلطان احمد وكان توجّه العسكر الشامي الى الكرك في نهار الخميس سابع عشر ربيع الاوّل من السنة المذكورة. وكان ذلك في اواخر ولاية علاء الدين ايدغمش في نيابة الشام (٤. وفي شهر رجب من

١) رواية ابن سباط: حمى جحفل الاسلام في يوم شَحقب
٢) في الاصل: جا علمٌ
٣) التجريدة كالتجْردة البعثة الحربية وجماعة الجنود
٤) خدم الامير ايدغمش الملكَ الناصر محمّد بن قلاوون وتقلَّب في المناصب العالية وصار امير آخور وبقي في رتبته بعد وفاة الناصر الى ان تولى نيابة الشام ومات سنة ٧٤٣ (١٣٤٢م)

هذه السنة تولّى نيابة الشام سيف الدين طقزدمر (١ بعد وفاة ايدغمش الذي كان تولّى في صفر من هـذه السنة المذكورة . وبرزت المراسيم (48٢) بتجريد الرجّالة من المعاملات فجهّز ناصر الدين الحسين اخاهُ عزّ الدين الحسن بن خضر الى الكرك وصحبتهُ جمال الدين ابن سيف الدين وعزّ الدين بن عماد الدين وسعد الدين سعيد ابن ناصر الدين ابي الفتح ابن سعدان من بني ابي الجيش وصُحبتهم جماعة . ولم اقف على تاريخ يوم توجّههم لكن رأيتُ بخطّ ناصر الدين الحسين ما هذه صورتهُ :

ورد الخبر الذي أألم القلوب وجدّد المكروب نهار الثلثاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين وسبعمائة انّ الاخ عزّ الدين الحسن تغمّدهُ الله برحمتهِ ورضوانهِ استشهد نهار الثلثاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين وسبعمائة بظاهر الكرك وهو نهار وصولهِ بمن معهُ . فقاتل وقُتل رحمهُ الله . وأُسِر سعد الدين سعيد ابن ناصر الدين ابن سعدان من رفقتهِ وهرب الباقي وتركوهُ يقاتل خلقًا كثيرًا من اهل الكرك وكان المكان وعرًا فلم يقدر ان يركب فرسهُ



١) كان طقزدمر احد كبار الامراء في ايّام الملك الناصر محمّد بن قلاوون الحاكمي جاء ذكرهُ مرارًا في تاريخ مصر لابن اياس وهو باني القنطرة التي على الخليج تولّى نيابة حلب والشام ثم صار نائب السلطنة في ايّام الملك المنصور ابن الملك الناصر فلمّا صار الملك لاخيهِ الاشرف نفاهُ الى دمياط وسجنهُ الملك الكامل شعبان في الكرك . توفي سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م)

ذكر تجريدة ناصر الدين الحسين الى الكرك

برزت المراسيم الى جميع ولايات الاعمال الشاميَّة بتجريد العُشران وغيرهم الى الكرَك وعيَّنوا على معاملَتيْ صيـداء وبيروت خمسمائة راجل. على كل منهما ميئتان وخمسون راجلًا. فتوجَّه ناصر الدين الحسين بن معَهُ نهار الثلثاء خامس ذي القَعـدة (46ʳ) سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) ولاقاهُ رجَّالة الجُرْد صُحبة مُقدَّمهم الى البقاع نهار الاربعاء ودخلوا دمشق نهار الجُمعة وتوجَّهوا منها نهار الثلثاء ثاني عشر ذي القَعْدة وساروا منزلةً بعد منزلةٍ فوصلوا الى الكرك اوَّل ذي الحجة من السنة المذكورة

وكان المقدَّم على العساكر رُكن الدين بيبرس الاحمديّ ومسعود الخطريّ وابن قرا سنقر. واماَّ بيبرس الاحمدي فكان المقـدَّم الكبير. ووجدوا في القلعة مع السلطان احمد خلقًا كثيرًا وقد نصبوا على القلعة في اعلاها خمسة مجانيق ومدافع كثيرة. وكان الكركيُّون يظهرون من باب القلعـة ويقاتلون احيانًا كثيرة وكان الحصار والزحف مستمرًّا. ونصب المحاصرون على القلعة منجنيقًا يرمي بحجار وزنُها خمسة وثلاثين رطلًا. وكان علاء الدين ابن صبح يأخذ رجَّالة البقـاع وصيداء وبيروت ويزحف بهم وناصر الدين الحسين معَهُ. وعند آخر الشهر طلب رجَّالة المعاملات دستورًا فما مكَّنوهم من العود الى بلادهم وكانوا قد فرَّقوا عليهم اغنامًا فابوا اخذها ولم يُفِدهم ذلك وفي بعض الزَّحَفات انتصر الكركيُّون عليهم وجُرح من جماعة ناصر الدين ثلاثة نفر منهم ناصر الدين ابو الفتح ابن معن وسعد الدين سعدان وابرهيم محروق من عالَيه وقُتل ابو النجم من العمروسيَّة

وذكروا انَّ غلام سَعْدان المذكور هرب من الطيقان وطلع الى القلعة

فخلع عليهِ السلطان احمد وزفّوهُ دائر القلعة والنـــاسُ ينظرون اليهِ من الطيقان . وبعد هذه الحوادث رجع الى الاوطان . وكان يحكي عن السلطان احمد انَّهُ كان شابًّا حسن الشكل عَبْل البدن وكان يلبس ملبوس (49 v) العرب ووسَّع اكمامَهُ على زِيِّ الكركيين وكان يُظهر لهم انَّهُ لبس هذا الزيّ محبَّةً فيهم . وكان يجلس كل يوم بين شراريف القلعـــة ويرمي سبع سهامٍ صيغت نصولُها من فضَّـــة موشَّاة بذهب كانت تدلُّ على قوَّة قوسهِ . وكان اذا اراد ان يرمي السَّهم رفع يدَهُ التي فيها القوس فيسقط كُمُّهُ من سعَتهِ الى كتفهِ حتى يبان شعر ابطهِ وكان غليظ الذراع ابيض اللون

وحُكي انَّ البعض احضروا لناصر الدين الحسين وهو بالكرك سهمًا من النشاب المذكور ذي نصل الفضَّة المحلَّى بالذهب فاذا بهِ نصلٌ عريضٌ ثقيلٌ يدلُّ على قوَّة قوسهِ وقد نُقش عليهِ هذان البيتان :

ومن جودنا نرمي العُداةَ باسهُمٍ من الذهب الابريز صيغت نصولُها
يداوي بها المجروحُ منها جراحَهُ وَيشري بها الاكفان منها قتيلُها

فلمَّا قرأها ناصر الدين قال : وأيَّ شيءٍ كان احمد من هذين البيتين . وهما للامين بن هرون الرشيد وكان لمَّا حضرهُ عبدالله بن طاهر في بغداد بعساكر اخيهِ المأمون صنع نصول النشَّاب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

واستمرّ ناصر الدين الحسين بمن معهُ بالكرك الى سابع صفر سنــة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) . وصرف الاحمديُّ على رجَّالة بيروت الفًا وتسعمائة درهمٍ نفقةً عن كل يوم (50 r) لكلّ راجل درهمٌ

١) هذان البيتان قيلا اوّلًا في معن بن زائدة (راجع مجاني الادب ٤ : ١٧٢)

ورأيت بخطّ ناصر الدين الحسين ما هذه صورتهُ: « توجهنا الى الكرك نهار الثلاثاء خامس ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (١٣٤٢ م) الموافق لاوَّل نيسان واقمنا عليها محاصرين من اوَّل ذي الحجة الى سابع صفر سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣م) ووصلنا الى البلاد الحادي عشر منهُ بخير وسلامة ولله الحمد والشكر. وكانت الاشياء غالية فكيل الدقيق بثمانية عشر درهمًا والخبز ثمان اواقٍ دمشقية بدرهم والشعير الكيل بعشرة دراهم . وكان غير ذلك من الاصناف متعذّر الوجود والحب زمان (كذا) الرطل باربعة دراهم وكذلك الجبن »

ولما دخلت سنة اربع واربعين وسبعمائة ضعفت حال السلطان احمد والكرَكيين وكان زرعهم قد رُعي رعاهُ التركمان والعربان. وكان اكثر دوابّهم قد نُهبت وانقطع عنهم الجلب وحالُهم كما جاء في ضعفٍ. وأُخذت قلعة الكرك في شهر صفر من سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) وأُخذ السلطان احمد تحت الحوطة في القيد وشُدّد عليهِ وقتل. ثمَّ رأيتُ بخطّ ناصر الدين الحسين ما حرفهُ: هرب سعد الدين سعيد بن ناصر الدين ابو الفتح بن سعدان من حبس الكرك ليلة الثلاثاء سابع عشر شوَّال سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٤م) وكان اعتقالهُ بها نهار الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) ووصولهُ (٥٧ ب) الى دمشق من الابواب الشريفة بالديار المصريَّة يوم الجمعة ثاني ذي الحجة من السنة المذكورة ورُسم لهُ بتكملة عشرة رماح وكان لهُ قديمًا خمسةً فقط

وهذه نسخة جواب كتبهُ ناصر الدين الحسين عن مرسوم ورد عليهِ من نائب الشام (١ وهو : « ورد المرسومُ العالي اعلاهُ الله تعالى يتضمَّن الامر بعمارة جسر نهر الدامور الجاري بين صيداء وبيروت لما يقاسي السِفارة فيهِ من المشقَّــة والعطب وما أُنهي الى العلوم الكريمــة عنهُ صحيح. وفي اصلاح هذا الجسر حسنةٌ عظيمةٌ ساقهــا اللهُ تعالى لتُسطَّر في صحائف مولانا ملك الامراء عزَّ نصرهُ وتجري في ايامهِ السعيدة ادامها الله وخلّدها. ولم يبقَ في السواحل نهر مثــل هذا النهر بغير جسر ويمرُّ عليهِ كثيرون من الجبليّين الى حدّ البقاع. وكان الامير سنجر الشجاعيّ رسم للدمياطيّ الذي تولى صيداء و بيروت في اوّل الفتوح الاشرفي بان ينشئ على الدامور جسرًا. وكان الشجاعي عاين مشقَّتــهُ وهو عابر الى بيروت. فلمَّا عمرهُ الدمياطيّ اقام الجسرُ سنتين وفي الثالثة اخذهُ السيل وبقي خرابًا الى ان رسم المرحوم سيف الدين تنكز بعمارتهِ فعُمِّر ولم يُقم الّا بعض الشتاء فسقط من السُّيول وحمل الماء بعض حجارتهِ الى البحر المالح وسقوطهُ من جانب القبلي كان في المرَّتين لضعف الاساس ومنع الماء عن تغميقهِ (٥١ر) الى الصخر كما في الجهة الشمالية. فمن ثمَّ لا بُدَّ من تصريف الماء وعمل صناديق كبار اعلى من الماء فتُقيَّر مثل المراكب ويُنزح الماء منها ويُحفر فيها اساس جيد الى الصخر ويُقطع لهُ حجارة كبار

١) وجاء في حاشية الكتاب : « ان هذا المرسوم كان ورد على ناصر الدين من طقزدمر نائب الشام تاريخهُ محرَّم سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م). ثمَّ بعد كتابة هذه الاوراق وجدتُ المرسوم المذكور فكتبت مضمونهُ ولصقتهُ تجاه هذه الورقة ». (قلنا) ولم نجد هذا المرسوم في النسخة الاصليَّة ولعلَّهُ سقط منها

وعمدٌ روابط ويُغمس في كلس بغير تراب . واماَّ التقدير فقد عيَّنهُ النوَّاب . ولا يخفى انَّ العمل الجيّد يحتاج الى كلفة زائدة . وان سُخر الفعَلة لذلك كان البلاء اعظم . وان ضجرت الرعيَّة من هذا العَمَل فيحصل للناس عَسْف وتعجز قدرتهم عنهُ لانّ البلاد متداعية الى الخراب لولا يشملهم عدل مولانا ملك الامراء . وقد تضايقوا من الجراد والمَحل وكلفة تجردة الكرَك . ثمَّ يُعلم المملوكُ سعادةَ مولانا انَّ في طرابلس مهندساً خبيرًا بالاعمال الساحلية يُقال لهُ ابو بكر بن البصيص البعلبكيّ وهو الذي عمَّر جسر نهر الكلب ولهُ غير ذلك من الاعمال الثقال ببلاد طرابلس . فان اقتضت الآراء العالية نطلبهُ الى هذا العمل فيحصل بهِ النفع . والمملوك يمتثل ما يردُ عليهِ من المراسيم العالية »

ولم يكن لهذا الجواب تاريخ ولكنهُ أشار الى زمانهِ بذكر كلفة الكرك . وربما كان نائب الشام الذي كتب اليهِ هذا الجواب سيف الدين طقزدمر الحمويّ نائب الملك الصالح اسماعيل بن محمَّد (١ . لانَّ طقزدمر استمرَّ في النيابة الى حين وفاة اسماعيل المذكور في ربيع الاوَّل سنة ست واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م) . فطلب طقزدمر الى مصر وأُحضر يلبغا اليحياوي (٢ من حلب وجعلهُ نائباً في الشام عوضاً (٧ ١ ٥)

١) الصالح رابع اولاد الملك الناصر محمَّد بن قلاوون بويع لهُ بالسلطنة في مصر بعد اخيهِ احمد الذي مرّ ذكر اخبارهِ في الكرك (ص ١٤٤) . واحسن السيرة في الرعيَّة واصلح احوال الدولة وتوفي بعد ثلاث سنين لسلطنتهِ سنة ٧٤٦ ﻫ (١٣٤٥ م)

٢) كان هذا من امراء الملك الناصر محمَّد بن قلاون فخدمهُ وخدم السلاطين اولادهُ . فولّاهُ الملك الكامل شعبان ابن الناصر نيابة الشام سنة ٧٤٦ ﻫ (١٣٤٥م) .

عن طقز دمر. وكان طقز دمر هذا مملوكًا للملك المؤيد صاحب حماة (١. فلمَّا توفي الملك المؤيد قام موضعهُ في سلطنة حماة ولدهُ الملك الافضل نور الدين عليّ ابن الملك المؤيَّد وبقي مدَّةً بحماة. ثمَّ وُلّي طقز دمر المذكور نيابة حماة وعُزل الملك الافضل من السلطنة وبطلت السلطنة من حماة واستمرَّت نيابةً الى آخر وقت. وكانت نيابة طقز دمر على حماة في ربيع الآخر سنة اثنتين واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) وذلك بعد وفاة الملك الناصر محمَّد بن قلاوون بقريب من اربعة اشهر وبعد خلع ابنهِ الملقب بالملك المنصور ابي بكر بن محمَّد. وتسلطن بعد المنصور هذا اخوهُ كجك ابن الناصر محمَّد (٢ وتلقب بالملك الاشرف. وكان طقز دمر المذكور قد تزوَّج امَّهُ فصار نائبهُ بمصر ثمَّ توجه الى نيابة حماة بعد خلع ابن استاذهِ الملك المؤيد ومنها توجَّه الى نيابة الشام. فلينظر الناظر في طباع الناس على انَّ طقز دمر المذكور كان مشهورًا بالجودة والعقل

وفي ايَّام ناصر الدين الحسين قدم صاحبُ حماة سائرًا الى السواحل ليزور القدس الشريف. وكان وقتئذٍ عزّ الدين جواد في بيروت فارسل الى الجبل يخبر ناصر الدين بقدوم صاحب حماة فنزل ناصر الدين الى الدامور

ولمَّا تولى الملك المظفر حاجي خافهُ نائب الشام يلبغا فهرب فتبعهُ عسكر دمشق وقاتلوهُ الى ان قُتِل سنة ٧٤٧ ﻫ (١٣٤٦ م)

١) هو المؤرخ الشهير ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ ﻫ (١٣٣١ م) راجع ترجمتهُ في مجاني الادب (٥ : ٢٩٤)

٢) المنصور والاشرف كجك ولدا الناصر محمَّد بن قلاوون بويع لاوَّلهما في آخر سنة ٧٤١ﻫ (١٣٤١م) ثمَّ خُلع وتولَّى اخوهُ الامر بعدهُ بثلاثة اشهر فلك خمسة اشهر فقط وخُلع

لملاقاته وترحّل للسلام عليهِ. فلمّا سمع ملك حماة بقدوم ناصر الدين ترحّل هو ايضًا لملاقاته. فقال لهُ ناصر الدين: «يا مولانا السلطان ما الملوك قبيل هذا الاكرام وقدرُك يجلُّ عنهُ». فاجاب صاحب حماة: «اذا انت لم تعرف قدري ولم اعرف انا قدرَك فمن يعرفهُ». ونزل السلطان على باروتا عند جانب النهر. واقام ناصر الدين (52^v) بواجبهِ وخلع عليهِ صاحب حماة خلعةً كاملة

واخبرني ابو جميل من بيصور قال: كنت في خدمة ناصر الدين لمّا تلقى صاحب حماة في الدامور. وكنت اذ ذاك شابًّا حدث السنّ. ولم يذكر اسم صاحب حماة ولا لقبهُ ووجدت غيرهُ ممن لهم علم بهذه الحكاية فلم يكن لهم ايضًا معرفة باسمهِ. (قلتُ) هو احد الاثنين امّا الملك المؤيّد اسماعيل (ابو الفداء) وامّا ولدهُ الملك الافضل علي ورأيتُ بين آثار السّلف خلَعًا فكان بينها خلعةِ طَرْدَوحش (١ بقرٍ وسنجابٍ دائرهُ قندس (٢ وحياصة (٣ وطرفان من الشاش. وذُكر لي انّها خلعة صاحب حماة المذكور

---

١) الطّردوحش كلمة مركّبة يراد بها جلد الوحش القنيص وقد عيّن نوعهُ بقولهِ «طرد وحش بقر وسنجاب» راجع تاريخ المماليك للمقريزي Quatremère : *Hist. des Mamluks* II², 69 seqq.

٢) اي جلد قَنْدَس وهو كلب البَحر ٣) الحياصة المنطقة

ذكر عمائر ناصر الدين في بيروت واعبيه

لمَّا جُعل دركَ امراء الغرب على بيروت كما ذكرنا (١ وانقسموا ثلاثة أبدال اتخذوا الكنيسة التي شرقيّ البلدة داخل السور (٢ فكانت لهم منزلًا وكانت هذه الكنيسة تُعرَف بكنيسة إفرَنسيسك (٣. ويزعم الفرنج انَّ افرنسيسك هذا قدّيس ظهر متأخرًا من مدَّة مئتي سنة مضت الى هذا التاريخ وكانت هذه الكنيسة كبيرةً فجعلها السَلَف اسطبلًا وجعلوا في اعلاها اطباقًا وهي في وقتنا هذا خرابٌ بِيعت لبنى الحمراء (٤ فنقلوا حجارتها الى مدرستهم وذلك بعد العشرة وثمانمائة. وكانت معروفة بالسلف وهم لم يبرحوا فيها بدلًا بعد بدلٍ حتى جرى من الجَنوِيَّة ما جرى واخذوا قرقور الكتيلان كما ذكرنا (٥. فكره ناصر الدين الكنيسة لبعدها عن البحر واختار ان يكون مجاورًا للبحر فاتَّخذ الحارة التي هي على جانب البحر وعمَّر اطباقًا على (52ᵛ) الاقبية ودارًا عليها سورٌ فجاءَت احسن ما يكون وجعل الاطباق مسجدًا. ولمَّا سكنها ناصر الدين بمن يُضاف اليهِ من بدلهِ استمرَّ بدل العَرَامونيين في الكنيسة المذكورة. وامَّا بدل

---

١) راجع الصفحة ٦٣ ٢) وذلك بقرب الجميزة الكبرى التي تجاور الباب الشرقيّ القديم ٣) هو القديس فرنسيس الاسيزي الشهير منشىء الرهبانية الفرنسيسيَّة (سنة ١٢٢٦م) وكانت هذه الكنيسة في بيروت مشيّدة على اسم المخلّص لذكره المجد ولعلّها دُعيت باسم القديس فرنسيس لانهُ كان يتولى شؤونها الرهبان الفرنسيسيون

٤) قد مرَّ انَّهم حيّ من عرب البقاع فقدموا بيروت ونزلوا عند راسها

٥) راجع الصفحة ٥٤

العَيَانبة (امراء عيناب) ومن أُضيفوا اليهم فانهم اتّخذوا لهم الدار المعروفة بدار صاحب بيروت المجـاورة للحمَّام العتيق. وفي سُكنى ناصر الدين لداره الجديدة بجوار البحر قال جمال الدين حجِّي ابن شهاب الدين احمد ابن حجّي من قصيدةٍ طويلة اوَّلها:

جاد الرَّبابُ بماء نوءٍ خُلُقَا   واصاب نيزُكها سحابًا مُغدِقَا

ومنها:

آنستمُ الدارَ الجديدة مغربًا   ووحشتمُ الدار العتيقةَ مَشرقَا

ما ابصرت عيناي بحرًا جامعًا   في جامع من فوق بحرٍ ازرقا

ثمَّ بعد استملاك الحارة الجديدة المذكورة استملك الزقاق المعروف بزقاق الخيَّالة وهو من باب الحارة بجهة القبلة الى قرب الحمَّام العتيق جانبي الزقاق يمنةً ويسرةً

وامَّا العمائر باعبيه فقـد تقدَّم الكلام على انَّ اوَّل من طلع من طردلا الى اعبيه هو جمال الدين حجّي ابن نجم الدين محمَّد بن حِجّي بن امير الغرب فاستبدل بيتهُ في طردلا ببيت في اعبيه كان لرجل اسمهُ ابراهم من الطوارقة (١ واحترق سنةَ قَتْـل القُطب وهي سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨ م). ثمَّ استجدَّهُ بعـد ذلك ولدهُ شجاع الدين عبد الرحمان وسكنهُ بعدَهُ وهو في وقتنا هذا يُعرف ببيت شجاع الدين. ثمَّ تشبَّهُ (53^r) بسكنى جمال الدين في اعبيه اخوهُ سعد الدين خضر بن محمَّد فعمَّر العليَّتين المتلاصقتين وما تحتهما وبنى بيتًا الى جانبهمـا وهما

١) جاء في حاشية الكتاب ما لفظـهُ :« الطوارقة محمَّد من آل عبدالله » (كذا)

شرقيّ عمارة جمال الدين حجّي المذكور. ثمّ سكنهما بعد سعد الدين خضر ولدهُ صلاح الدين يوسف وبهِ عُرفتا. ثمّ شرع ناصر الدين الحسين بن خضر في عمارة العلّيّتين المتلاصقتين وما تحتهما وهما بين عمارة عمهِ جمال الدين حجّي وعمارة ابيهِ سعد الدين خضر. وكانت عمارتهما سنة ست وتسعين وسبعمائة (١٣٩٤ م) في ايّام ابيهِ وكان عمرهُ اذ ذاك قريباً من ثماني وعشرين سنةً. ثمّ بعد ابيهِ عمّر القاعة السُّفلى والايوان والبحرة. وذكروا انّهُ شرع في الاساس في ايّام ابيهِ وكمّلها بعدهُ ثمّ عمّر العلّيّة الكبرى وما تحتها ثمّ البيت الملاصق لها ثمّ الحمّام

ووجدتُ ورقةً بخط ناصر الدين يذكرُ فيها المصروف على الحمّام وهو نيّف من عشرة آلاف درهم تساوي بدراهم ذلك الوقت سبعمائة دينار (١ وذلك بعد مساعدة الناس لهُ بفَعَلة كثيرين جدًّا لانهُ وجد في قَطع الشقيف موضع الحمّام مشقّةً. ومن مضمون الورقة المذكورة انّهُ بدأ في عمارتهِ مستهلّ رَجب الفَرد سنة خمس وعشرين وسبعمائة (١٣٢٥ م) وكمل في نصف ذي القعدة من السنة المذكورة وانّهُ قد اوقف على مصالح القناة والحمّام ما يحتاج اليهِ من الاصلاح وانّهُ فوّض نظر ذلك الى ولدهِ صالح والى ذرّيتهِ هداهم الله الى المصالح(٢

١) حاشية للمؤلف: «كانت الدراهم في ايّام ناصر الدين الحسين وزن الدرهم درهم. وكان يدخل المئة عشرين درهماً نحاساً. واذا روعيت الدراهم سَبكة الظاهر بيبرس بصنعاء فكل مئة خمسة وسبعين. وكان سعر الذهب سنة اربعين وسبعمائة (١٣٤٠ م) كلّ مثقال عشرون درهماً بالدراهم المذكورة ولم يزل الذهب جا بعشرين او اقلّ او اكثر قليلًا»

٢) جاء في حاشية الكتاب: «نقلتُ عن خط ناصر الدين الحسين» كان

ثمَّ عمَّر الطبقتين المعروفتين بالدهشـــة والبيت الكبير والاسطبل والمجلس الكبير القبليّ . وآخر عمائرهِ القاعة (٧ 53) التي عند بوّابيَّة (كذا) الحارة وكان قد جعلها لتقيّ الدين وابرهيم ولدهِ . اخـبرني الامير ناهض الدين حمزة ابن اخيهِ الآتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى قال: لحقتُ عمي ناصر الدين وهو يعمِّر هذه القاعة . (قال) وبعدها لم يعمِّر الَّا القليل . ولمَّا فرغ من عمارتها سكن المرقد المضاف اليها بنحتٍ مغلق . وهو الذي عمَّر المسجد والقبَّة وهو الذي ساعد لولد فخر الدين عبد الحميد بن احمد بن حجي في عمارة العلِيَّة التي تلاصق عمارتهُ من جهة الغرب بميلةٍ الى الشمال . وذلك عند ما تعيَّن زواجُهُ لبنتهِ

وعمَّر اخوهُ فتح الدين محمَّد ابن سعد الدين خضر العلّية التي تلاصق عمارة ابيهِ سعد الدين وكذلك ما هو مضاف الى العلّية المذكورة وسكنها بعدَهُ ولدهُ ناهض الدين حمزة واشتهرت بهِ . وعمَّر عزّ الدين حسن ابن سعد الدين خضر القاعة التي الى جانبها وهما بين علِيَّتيْ ابيهِ وعلِيَّتي اخيهِ ناصر الدين . وعمَّر حسام الدين عبـد القاهر ابن احمد ابن جمال الدين

بدء العمل في القنـاة المباركة السعيد ان شاء الله نهار الاثنين ثاني عشر جمادى الاولى سنة اربع عشرة وسبعمائة (١٣١٤م) . ثم ذكر المصاريف وقدَّرها بعشرة آلاف درهم . (قلتُ) : قرأتُ في التواريخ انّ مثقـال الذهب كان في ذلك الوقت بعشرين درهماً الى احد وعشرين . وسمعتُ الناس يقولون انّ ناصر الدين ذكر انهُ عازم على العمائر بلا حوضٍ في المطبخ ووضع الحوض بمال المال ووسَّع الميادين بعشرة آلاف درهم بنقود ذلك الزمان . وقفت على دفاتر حسابهِ ببعض السنـين فوجدت انهُ صرف تلك السنة على العمائر مالاً كبيرًا . . . » . كذا في الاصل وفي ختامهِ الفاظٌ لم نتمكن من قراءتها

حجّي بن محمد في وجه العلّية الكبيرة المذكورة عليّةً واسطوانًا سدَّ بهما وجه العلّيَّة الكبيرة . وذكروا انَّ ناصر الدين صعب عليهِ ذلك وقصد مساعدة احد اولاد معن في عمارة علّية فوق بيتهِ ليسدّ عليّة حسام الدين كما سدّ حسام الدين علّيّتهُ . وذكروا انّهُ في ايّام تنكز نائب الشام تشارطوا على عواميد القاعة السفلى اهي من الرخام السُّمّاقي او الفستقي . وقصد احدهم تنكز ليسألوهُ في ذلك فقال لهم : « ليس بسُمّاقي ولا فُستقيّ وانّما العواميد مصبوغة » (54r) . فكشفوا الطلاء عنها فوجدوها مصبوغةً فبطل طلبهم .

ذكر طرف من شعر ناصر الدين الحسين

ولناصر الدين شعر مليح (١ منهُ قولهُ في اعبيه:

فليسقكِ اللهُ يا أعبيهِ بهطّالِ من الغمائم يروي ربعكِ البالي
وجادهُ كلُّ يومٍ صوبُ غاديةٍ حتّى يعودَ ثراهُ أخضرًا حالي
كم مرَّ لي فيهِ اوطارٌ وكم سُحبتْ بالعزّ في ربعهِ المأنوس أذيالي
حتّى رمتني صروف الدهر عن غرَض وبُدّلتْ بشتاتٍ منهُ احوالي
وعدتُ ساكن بيروتٍ بلا سَنَدٍ مجاورًا بحرَها في اسوإِ الحالِ

وقال وقد نزل اقاربُهُ ليزوروهُ في بيروت :

هذا الحمى بقدومكم قد أشرقا وتعطّر النادي بطيب المُلتقى

١) في الابيات الثابتة تصحيف كثير ومعاني ركيكة فلم تثبت منها سوى ما امكن اصلاحهُ

وديارنا قد انشدت فرحاً بكم   يا مرحباً بقدوم جيران النُّقا

وقال عند توجُّهِهِ الى الكرك يوصي ابنَهُ صالح :

ايا ولدي يا صالحُ عشتَ صالحاً   كمثل اسمك زينَ العشيرة والاهلِ
فان متُّ لم ارجع بعَلياء فاصطبرْ   ولا تُشمتِ الاعدا وكن ثابت العقلِ
وأوفِ ديوني يا بنيَّ جميعَها   وسُنَّ طريقي تحظَ بالشُّكرِ والفضلِ
وحاشاك ان تطفي لنوري فانني   اقمتُ منار البيت بالقول والفعلِ
وانت بعون اللهِ نِعم خليفةٌ   وتبقى لك الاولادُ حتَّى يُرَوْا مثلي
مشايخُ ادناهُم كبيرٌ موقَّرٌ   صدور المعالي والمجالس والحَفلِ (34ᵛ
فهذه وصاتي أيها الولد الذي   بها تستفيد الرُّشدَ في واضح السُّبلِ
فنحن جميعاً ذاهبون ونلتقي   باعمالنا في موقفِ العدل والفصلِ

وقال بعد ركوبهِ من اعبيه الى جهة الكرك في النوبة المذكورة (١ :

ودَّعتكم وفؤادي في وديعتكم   رهنٌ وقلبي ولبّي انتمُ فيهِ
لا تمنعوا طيفكُم في النوم يطرقهُ (٢   لعلّهُ من سقام البعد يشفيهِ (55ʳ
من الهموم التي باتت تؤرّقهُ   لبعد خُلاَّنهِ او من يصافيهِ (٣
فلا صديق صدوقَ السرّ ذا كرمٍ   يُعينهُ بالذي امسى يُعانيهِ
يحنُّ شوقاً اذا جنَّ الظلام وان   ناحت مطوَّقةٌ في الصبح تُبكيهِ
وان يهبَّ نسيمٌ من دياركمُ   معطَّراً بشذاكم فهو يحكيهِ
مع التعلّل باللقيا ورؤيتكم   مُناهُ بلّغَهُ ربيّ امانيهِ (55ᵛ

١) وردت هذه الابيات في تاريخ ابن سباط
٢) روى ابن سباط : يطرقني
٣) روى ابن اسباط : التي جاءت مرادفةً . . . قوم يصافيهِ

وقال وهو مقيم بالكرك يهنئ مقدَّم العساكر براس السنة ويطلب منهُ دستور الرحيل :

تَهنَّأْ بعيدٍ قد اتانا مبشِّرًا بسعدٍ وإسعادٍ وعزٍّ واقبالِ
ودُمْ وابقَ اعوامًا كثيرة منعمًا وانتَ قرير العين بالاهل والمالِ
وأعطِ زكاةَ العامِ دستورَ مَن غدَوْا عرايا بلا قوتٍ بأسوإِ احوالِ
فهاكَ لهم شهران قد فارقوا الحمى ولأُبدَّ من عشرٍ لشدٍّ وترحالِ (56r)
وموعدهم خمسون يومًا ليُضرَفوا ومثلك من يوفي بوعدٍ واقوالِ

وقال عند عودهِ من الكرك:

الحمدُ لله عاد الماء في العُودِ فيا لياليَ افراحي بهم عودي
عادت ولله حمدٌ دائمٌ ابدًا افراحُ عيشيَ اذ قد نلتُ مقصودي

ومن مديحهِ لملك الامراء تنكز نائب الشام :

يا أَيها الناسُ من عُربٍ ومن عجمٍ أُدعوا بكلّ لسان صادقٍ وفمِ
أُدعوا لمن عَمَّكم عدلًا بدولتهِ فاصبح الذئبُ مرعاهُ مع الغنمِ
العالِمِ العادلُ البرُّ التقيُّ ومنْ في طاعة الله طولَ الليل لم ينمِ
حامي الثغور وفخر المسلمين ومن حوى المفاخر من حزمٍ ومن كرمِ
أَضحى بتنكز ملك الشام مفتخرًا بهِ يتيهُ على الآفاق كالعلَمِ (56v)
من نورهِ اشرقت اقطارنا فغدت بريئةً من دياجي الظُلْمِ والظُلَمِ

وقال لمَّا عمَّر سيف الدين تنكز البرج الصغير في بيروت وكُتبت هذه الابيات على حائطهِ:

يا لهُ معقلًا منيعًا رفيعًا رُكْنهُ بالسُّعود والاقبالِ
للمقرّ الشريف قد شيَّدوهُ سيفِ آل الكرام اشرف آلِ

بزمان السلطان ملك البرايا اعنيَ الناصرَ العديم المثالِ
زادهُ الله في الورى حُسن شأنٍ بنموٍ ورفعةٍ وجلالِ

ولهُ ايضاً كتبها على باب الخان الذي انشأهُ تنكز ببيروت (١ :

إنشاء ذي الخان بأمر الاشرف ألسيفِ تنكز سيِّد النوَّابِ
ملكٌ حوى العلياء بالسَعي الذي اعياهُ عن متقادم الأنسابِ
بيـاضُ عرضٍ واحمرارُ صوارمٍ وسوادُ نقع واخضرارُ جنابِ (٢
لا زال منصورَ اللواء لبأسهِ تعنو الملوكُ وتخضعُ الارقابُ (٣
والدولَة الغرَّا بفائضِ عدلهِ مشمولةٌ ابدًا على الاحقابِ
وبهِ يفوز المسلمون بنصرةٍ عزَّت على الاعداء والطُلاَّبِ
والدين والدنيا بطولِ بقائهِ يتمتَّعان بزهو حُسن شبابِ

ومن شعر ناصر الدين بن الحسين قولهُ وامر بان تعلَّق على باب الحمَّام الذي انشأهُ تنكز في بيروت :

وحمَّام يروقُ العين حسناً تحيط بهِ المسرَّةُ والنعيمُ
يُريك الماء يسرحُ فوق درٍّ تزول بهِ لمنظرهِ الهمومُ
كانَّ حُبابَهُ والجامُ فيهِ سماءٌ طالعاتٌ بها نجومُ
وقد رُفعت لمن شاء المعالي واضحى على الملوكِ لها زعيمُ
بهِ أمِنَ الشآمُ وساكنوهُ وطَيبَةُ والمشاعرُ والحطيمُ
بهِ الاسلام اصبح في انتصار وجمع الشركِ مغلولٌ هزيمُ

١) روى هذه الابيات ابن سباط في تاريخهِ
٢) في تاريخ ابن سباط : اخضر رحاب
٣) كذا ورد بالاقواه . وجمع الرقبة المأنوس « رقاب » كما لا يخفى

فانَّ الناصرَ المنصورَ سيفٌ   وفي قلب العدوّ بهِ كلومُ
وانَّ الناصر المنصور رمحٌ   بهِ يتوطَّـد الدينُ القويمُ
وانَّ الناصر المنصور درعٌ   بهِ يتقَّضُ الامرُ الجسيمُ
فاهل الشام والاسلام جمعًا   دُعاهمُ انَّ دولتهُ تدومُ (57[v])
وان يُعطى خلودًا في سعودٍ   مدى الايام ما هبَّ النسيمُ

وقال يخاطب بعض الامراء :

ما لي اراكَ مليكي اليومَ تظلمني
والعدلُ منكَ الرجا والفضلُ والاملُ
لو آمِرٌ رام اذلالي ســواك نبَتْ
عمَّا يحــاول مني البيضُ والأَسلُ
وانَّما انت ما لي عنــك من عوضٍ
تجني فأَرضى وتبــلوني فاحتملُ
فاحفظ مودَّةَ عبــدٍ حافظٍ ابــدًا
عهــد الأخلاَّء ان جاروا وان عدلوا
واغرس جميلًا اذا ما كنتَ مقتدرًا
فالوقتُ يذهبُ والسلطــانُ والدُّوَلُ

وقال ايضًا وصدَّر بهِ كتابًا عن جوابٍ :

وافى المثال وحيَّانا فأَحيــانا   لمَّا ارانا من الاخوان إحسانا
كانَّهُ بارقٌ باتت لوامعــهُ   تهدي الى اعين الانسان انسانا (58[r])
انوارهُ اشرقت في الكون فانبعثت   اشعَّة حملت رَوحًا ورَيحانا
فالله يحرسُ من ضاءت محاسنهُ   حتَّى استفدنا بها علمًا وعرفانا

لولاهُ ما خبَّرت اقلامُنا حكَمًا   يومًا ولا نظمت في السلك عقيانا

وقال ايضًا:

ما احسن العدل والانصاف بالامرا   اذا تولَّوا امور النــاس بالرُّتبِ
وما يدوم سوى الفعل الحميد وما   توليهِ من حَسَنٍ تبقيهِ في الكُتبِ
اني صدقتكَ في قولٍ فأحملهُ   على النصيحة لا هزلٍ ولا لَعبِ (59r)

وقال يعاتب صديقًا:

واذا السعادة غيَّرت اخوانــنا   ولَوَوْا وجوهمُ بها وتبــدلَّوا
فلاصبرنَّ على التغيُّر منهمُ   أُسني العتابَ لهم الى ان يعدلوا

طُرفة من اقوال الشعراء في ناصر الدين

وللناس مدائح كثيرة في ناصر الدين المذكور ولو ذكرتُ بها لضاق بها وانَّما نذكر منها اليسير ونختصر الكثير(١ حتَّى لا يطول الشرح بها ولا يخلو هذا الكتاب منها. وقد تقدَّم ذكرنا لمحمَّد بن عليّ بن محمد الغزّي(٢ شاعر السلَف ووصفنا حسن كتابتهِ وبلاغتهِ . ولهُ المدائح الجليـلة في السلَف. ومن ذلك المقامة المقدَّم ذكرها سنروي منها ان شاء الله ما جاء فيها من وصف كلّ واحد منهم عنــد ذكرنا لهُ. ثمَّ ختم الغزّي المذكور هذه المقامة بمديح ناصر الدين وولدهِ بقصيدة اختصرت منهــا هذه الابيات صدَّرها بما يأتي من النثر(٣:

---

١) وكذا فعلنا نحن ايضًا لانَّ في اكثر هذه القصـائد ركاكة ظاهرة وجوازات شعريّة عديدة تشوّه ما فيها من المحاسن

٢) كذا في الاصل ونظنّهُ الصواب. وقد مرَّ في الصفحة ١٢١ مصحَّفًا بالعزّي (بالعين)

٣) جاء في حاشية الكتاب: «كل ما نكتبهُ عن الغَزي نقلناه عن خطّهِ»

« وهل تُشامُ في الشـام غيرُ بروق سحائبهِ . او يروقُ غيرُ جمال كُتبهِ وجميل كتائبهِ . فالجدُّ والجدوى وقفٌ على سيفهِ وقلمهِ . والعفافُ والتقوى من طباعهِ وشِيَمِهِ . غالبًا بآرائهِ الغنيَّة عن الروايات . بالغًا بآلائهِ غايات النهاية ونهاية الغايات . مع كتابةٍ كالروض باكرَهُ من كفِّهِ وَسميُّ الغمام . وبلاغة تفعل بالعقول ما لا تفعلهُ المُدام . أَوَّلها :

حيًّا الحَيا غربَ بيروتٍ وَمَن فيـهِ　　وجُود كفٌّ ابن سعد الدين تكفيهِ
غربٌ غدا مشرقًا للجود ما برحت　　شمسُ المكارم تُضحي في ضواحيهِ

(59^{v}) ومنها قولهُ :

فللجحافل ما تحوي حشاشتهُ　　وللمحافل ما تحوي اياديهِ
وللتقى منهُ ما ضمّت بواطنهُ　　وللحيا منهُ ما ضمّت مآقيهِ
وللفضائل والأَفضال منطقهُ　　وللمحاسن والإِحسان ناديـهِ
هل للحسين بن خضر في الورى احدٌ　　جودًا يباهيهِ او بأسًا يضاهيهِ
ان قلتُ ليثًا فما لليثِ همّتهُ　　اذا سطا يوم حربٍ في اعاديهِ
او قلتُ غيثًا فما للغيث موقعـهُ　　في النقع ما بين قاصيهِ ودانيهِ
او قلتُ بحرًا فاين البحرُ من رجلٍ　　لو أُعطيَ البحرَ اعطاهُ بما فيهِ
مَن زيَّن الدينَ والدنيا بطلعتهِ　　فالله يُبقي اباهُ ثمَّ يبقيهِ
قد خصَّهُ الله من اعمامهِ كرمًا　　بعشرٍ من صروف الدهر تفديهِ

ولمحمّد الغَزّي مخمّس من مشطور الرجز يمدحهُ بهِ ومنهُ قولهُ (60^{r}) :

يا من يجوبُ قاصيَ البـلادِ　　ان جئتَ إِعبيهِ فقفْ ونادِ
سقى رُباكِ وابلُ العهادِ　　ففيك اهل الجودِ والجيادِ
سُحبُ العطايا وأُسودُ الحربِ

واقرِ السلامَ من غريب الدارِ　　على ابن سعد الدين ذي الفَخارِ
ناصرِ دين الله بالبتّارِ　　ومُطعم الضيف وحامي الجارِ
والوابلِ الهامي زمانَ الجدبِ

خيرُ اميرٍ آمر بالكرمِ　　عوَّد كفَّيهِ ببسطِ النِعَمِ
ما قبضا غيرَ عِنان الشيظمِ　　او اسمرٍ او ابيضٍ او قلمِ
ينهلّ في الطِرْس شبيهَ السُّحبِ

ثناؤهُ مثل العبير فائحُ　　تزهو بهِ وبابنهِ المدائحُ
نعم الحسينُ والاميرُ الصالحُ　　للدين زينٌ حارسٌ مكافحُ
يحمي حمى الدين بحدّ العَضْبِ

للهِ شبلٌ قد نشا من أسدِ　　كمثلهِ في بأسهِ والجلَدِ
بطلعةٍ مثل ضياء الفرقدِ　　جنابهم للمعتفي والمعتدي
جودًا وبأسًا في ندًى وكَرْبِ

ما زال للدين حسينٌ ينصرُ　　كخضر سعد الدين بل ذا اكثرُ
وجدُّهُ محمَّدٌ لا يُنكَرُ　　كرامةٌ حجىً ابوهم بُحترُ
خير تنوخٍ من اجلّ العُرْبِ

اخوتُهُ اربعةٌ كرامُ　　همُ لِسلكِ مجدهِ نظامُ
مكارمٌ يشكرها الانامُ　　من دونها البحارُ والغمامُ
ان قيل مَن قُلْ امراء الغربِ

عزٌّ صلاحٌ ثمَّ فتحٌ وشرفْ　　لهم على الغَربِ جمالٌ وطُرَفْ
بحار جودٍ من نداها نغترفْ　　مَن أَمَّهم عنهُ الاسى قد انصرفْ
ولم يُحَق من مُعضلاتِ الخطْبِ

قومٌ لهم اشرقت الجبالُ اقوالهم تتبعها الفعالُ
اربعةٌ ما لهمُ مثالُ شمسٌ صباحٌ قمرٌ هلالُ
قرّةُ عينٍ وسرورُ القلبِ

يا آلَ عبدالله من جُمهُرِ سلالةُ النعمان إبن المنذرِ
لاعجبٌ ان كان ماءُ المطرِ جدُّكمُ وانتمُ كالأبحرِ
عذبٌ شهيٌّ من زُلالٍ عَذبِ

اوليتموني من نداكم أنعُما وعشتُ في ظلكمُ مكرَّما
انَّ لكم مني ثناءٌ ضعف ما سمعتمُ مني وما تقدَّما
ما غرَّدت سواجعٌ في القُضُبِ

ومن شعر محمد الغزّي المذكور قولهُ في ناصر الدين الحسين:

يا مَجلس الجود والاحسان والكرمِ جادت عليكَ سحابُ العزّ والنِّعَمِ
ودمتَ وَقفًا على مستمطرين ندى يدِ الحسينِ بن خُضر الطاهر الشيَمِ
تسعى الى بابك العالي الوفودُ فلا عَدَتْ جنابكَ من عُربٍ ومن عجمِ
ساد الاميرُ ثناءٌ حين شاد لهُ بناءُ ذكرٍ كثيرِ الشكرِ في الأممِ
ما غربُ بيروتَ الّا مشرقٌ طلعتْ منهُ شموسُ النَّدى والسيفِ والقلمِ (١٢٦٧)

وللغزّي في ناصر الدين مدائح كثيرة طويلة تضيقُ هذه التذكرة عنها ولا بأسَ بذكر النّزر اليسير من بعضها. ولهُ من قصيدة افتتحها بقولهِ:

وصلتْ من بعد هجرِ ووفتْ من بعد غدرِ
ورعتْ سالف عهدٍ مرَّ في سالفِ دهرِ

الى ان قال:

غادرتْ غدرانُ دمعي سُحبًا في الخدّ تجري

كأيادي ناصرِ الدينِ بنِ سعدِ الدين خُضرِ
حسنُ الأخلاقِ والخُلقِ لدى عُسرٍ ويُسرِ
عِرْضُهُ بالجود والإحسانِ في صونٍ وسترِ
قد طوى حاتمَ طيٍّ نشرُهُ في كلّ عَصرِ
غَربُهُ مَشرقُ فضلٍ مُشرِقٌ بكلّ بَدرِ

ولهُ من قصيدة:

لو أقسم الجودُ انَّ اكثرهُ في ناصر الدين بَرَّ في قَسَمِهْ
خيرُ اميرٍ عشيرةً وحمىً ينجو بهِ مَن المَّ من المِهْ

ولهُ ايضاً في مدحهِ:

ليثُ ردًى غيثُ ردًى مُتلفٌ لو حاز يوماً مالَ قارونِ
عوَّد كفَّيهِ ببسطٍ فلم يقبضْ سوى ابيضَ مسنونِ
بمالهِ حسنَ الثنا يشتري وليس في ذاك بمغبونِ

ومنها:

من معشرٍ قحطانُ جدٌّ لهم ذكرهمُ في الهندِ والصينِ (62r)
تُنمَى الى النُّعمانِ أنسابُهم من طيِّءٍ شُمِّ العرانينِ

ولهُ من قصيدةٍ:

وانزلْ باعبَيْهِ تجد قريةً تقرُّ عينَ الضيفِ والزائرِ
فألقِ عصا الرحلة مستبشراً في ظلّ نادٍ بالنَّدَى عامرِ
وناصرَ الدينِ اعتمدْهُ تجد ملءَ القلوب فيهِ والناظرِ
فانّهُ المولى الذي فضلهُ أصبحَ مثلَ المَثل السائرِ
ومَن غدا وابلُ معروفهِ وقفاً على الوارد والصادرِ

مولىً بهِ الغربُ غدا مشرقاً لكلّ فضلٍ باهضٍ باهرِ (62v)

ولهُ من غيرها :

جارهُ (١ جاراهُ يوماً فغدا حسداً مضطرباً في الجانبينِ
رام يحكي علمَهُ او جودَهُ اين للبحر بلوغُ الغايتينِ
آلُ عبـد اللهِ في عزٍ بهِ وسموٍ كسموِّ الشِعرَيينِ
انجمٌ والغربُ شرقٌ لهمُ وابنُ خضر وابنهُ كالنيّرَينِ

وقال في بني الغرب :

فهمُ شهبٌ احاطت ببدرٍ بل بشمسٍ في سما الجودِ تجري
بين عزٍ وصلاحٍ وفتحٍ لم يزل يسمو باشرفٍ ذكرٍ (٢

وللغزّي تهنئة لناصر الدين عند عودتهِ من الكرك (63r) :

بكم اشرقت بعد الظلامِ ديارُ واضحى عليهـا هيبةٌ ووقارُ
واصبح فيها الانسُ من بعد وحشةٍ وهل بِسوى الاحبارِ تشرقُ دارُ
سماءُ علا فيها اضاءَت بدورُها فلا نالها بعد الظهور سرارُ (٣
وما هي الّا دوحةٌ واميرُها م الحسينُ بن خضرٍ للغصونِ ثمارُ
اميرٌ لهُ من أسد خفّانَ عصبةٌ (٤ تُزانُ بها غاباتُها وتُزارُ
همُ الروضةُ الغنّاء باكرها الحيا لأزهارها في المكرماتِ قرارُ
همُ في اللّقا نارٌ تُسعَّر بالظُبـا وهم في النّدى للقاصدين بحـارُ

١) جاء في ذيل الكتاب :« اراد بجارهِ البحرَ »
٢) جاء في ذيل الكتاب :« يعرّض بذكر اخوتهِ الاربعة وهم عزّ الدين حسن وصـلاح الدين يوسف وفتح الدين محمّد وشرف الدين سليمان
٣) السرار ان يكون القمر مختفياً (حاشية المؤلف)
٤) خفّان اسم موضع يضرب بأسودهِ المثل

وهل لامير الغرب في الشرق مُشبه اذا ما رحى الحرب الزَّبونِ تُدارُ
بتدبيرهِ والرأي بُلّغتِ المُنى رجالٌ لها حُسن الثنـاء شعارُ
وعادوا على رَغم العدى لديارهم بخيرٍ كما للجَفن عاد غِرارُ
ايا آلَ عبدِ الله إبنا جُميهرٍ ومن لهمُ ماءُ السماء نجارُ
تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندةٍ لهم بكمُ عزٌّ علا وفخارُ
بحيثُ حللتم كنتمُ الشمس اشرقتْ ولا ليل الّا بالضياء نهار
فلا زالت الأيامُ طوعًا لامركم تُسرُّ بكُم دارٌ ويُكرَمُ جارُ (63v)
ولا زلتمُ مثـلَ الاهلّةِ في السما اليكم بأطرافِ البنانِ يُشارُ

وممَّن مدح ناصرَ الدين محمدُ بن ابي الجود ولهُ فيهِ قصائد مطوَّلة جيّدة . . . (١ (64r) ومدحهُ ايضًا سليمان بن يمن بقصيدة منها:

وانْ حلَّ في إعبيهِ عزَّ جنـابُها وان حلَّ في بيروت فاقت على مصرِ
وأَصبح ذاكَ الثَّغر يفترَّ ضاحكًا بعدلِ اميرِ الغربِ مبتسمَ الثَّغرِ

ومدحهُ احمد التونسيّ المغربيّ فقال من قصيدةٍ (64v):

فنحسبهُ عنـد المكارم حاتمًا ونحسبـهُ يوم الكريهة عنترا
يفوق بحسن الرأي قيسًا وفي العلى كُلَيْبًا وفي العزّ المنَّع قيصرا

ولاحمد بن يعيش من بني يعيش قضاة حلب قصيدة طويلة اختصرتُ منها هذه الابيات (65r):

اسرفتَ يا دهـرُ بإهـراق دم المتيَّمِ
فقد كفى ما قد جرى من جور دهر مؤلمِ

---

١) وقد ذكر منها المؤلف قصيدتين الّا انّهما كثيرتا الاغلاط النحويّة تناقضان قواعد القريض فلم نرَ في ايرادها افادةً

بعد الشباب والصبا وعيشيَ المنعَّمِ
والجاهِ والمال الذي لاحدٍ لم يَدُمِ
رُميتُ في مهالك الشيبِ وذلّ الهرَمِ
وخانني الخلُّ الذي مازجَ لحمي ودمي
ما زال هذا الدهر غدَّارًا باهل الكرمِ
حتى لقد جرَّعني دهريَ كأس العلقمِ
صَبْرًا على صروفهِ وجورهِ والنَّسقَمِ
قال لي مُعلِّمٌ والعلمُ بالتعلُّمِ
هاجِرْ الى الحُسْنِ بن خُضْرِ الفاضلِ المكرَّمِ
وأسعَ الى ابوابهِ فهي محلُّ الحرمِ (65 ٣٧)
واقصدْ جنابًا مُرْصدًا لقاصدٍ ومنتمي
يلقاكَ منهُ بِشرهُ بثغرهِ المبتسمِ
يا ناصر الايمان والدين القويم الاقومِ
يا ابن الكرام الأكرمين يا وفيَّ الذِمَمِ

وهي قصيدة طويلة بالغ فيها في المدح اختصرتُ منها على هذا القدر. ومن مدائح الشريف ابرهيم العراقيّ قولهُ من قصيدةٍ:

مولى النُّهى لو رأى عمروٌ شجاعتهُ وعنترٌ اضحيا عبدَيهِ في البَشَرِ
وحاتمٌ لو رأى او معنُ طائلَهُ سارا بمدحتهِ في البدو والحَضَرِ
وقيس ذو الرأي مع قس بن ساعدةٍ لو فاوضاهُ أحالا النُّطق بالحَصَرِ
والفضلُ مستترٌ في طيّ راحتهِ وحاتمُ الطائي فيهِ غير مستترِ
مولًى بهِ الفضلُ يحيا خالدًا ابدًا وجعفرٌ يدهُ كالغيثِ منهمرِ

وكلّ ما قد سمعنا في الانام عن م — القوم الكرام رأينا فيـهِ بالنظرِ
وليس َسمع ٌكرأي العين منحسباً — بين الانام وليس الخُبرُ كالخَبَرِ
انَّ الحسينَ بنَ سعد الدين مفتخرًا — بفضـلهِ وسواهُ غـيرُ مفتخرِ
حوى فضائل من جودٍ ومن كرمٍ — قليلهـا في السرايا غيرُ مُنحصرِ
وسطَّر الناسُ منها بعض جملتها — اغنتهمُ عن احاديثٍ وعن سِيَرِ

وابرهيم هـذا هو ابن اسمعيل بن المحسن الحسينيّ العراقيّ الذي وضع لناصر الدين الحسين كتاب « رياض الجِنان ورياضة الجَنان »(١. وهو الذي خمَّس الدُّرَيديَّة وجعلهـا مديحًا في ناصر الدين ووالدهِ سعد الدين. ولابرهيم المذكور قصائد كثيرة في امراء الغرب جمعها وعملها ديوانًا كبيرًا. وشعرهُ جيّد مليح (66r)

وبالجملة ان مدائح ناصر الدين كثيرة لانَّهُ كان مقصدًا للوارد والصادر ذا مكارم ورئاسة وسياسة. شاد البيت وسادهُ ورغب في حُسن الكتابة والبلاغة وجمع الكتب فأنتمَّ بهِ البيتُ فحسَّنوا كتابتهم وبلاغتهم وتزايدت محاسنُهم ونظرُهم في العلوم واتقان الصنائع

بقيَّة اخبـار ناصر الدين الحسين

[(٢ وكان ناصر الدين كثير اسداء المعروف الى من يستحقُّهُ. فمن

١) جاء في حاشية الكتاب ما حرفهُ: « وهذا الكتاب يدلُّ على علم مصنّفهِ وزيادة ذكائهِ وجودة فطنتهِ وهو كتاب مليحٌ جدًّا جمع فيهِ فنونًا كثيرة للغاية من حكم واحاديث وامثال ومواعظ وسير وعلوم واشياء كثيرة ممَّا ترشد النفوس وتهذّبها وقد اجاد في جمعهِ وتأليفهِ. وشعر ابرهيم يشهد لهُ بالفضـل والمحاسن والفصاحة والبلاغة » ٢) ما ذكرناهُ هنا بين معكَّفين ورد على هامش الاصل وقد نبَّـه المؤلف عليهِ بانَّهُ من المتن

ذلك انهُ كان يُجري على المحتاجين من ذوي البيوت والاصول رواتبَ من خبزٍ وإدامٍ كلّ ليلة جمعةٍ ويُرسل الى كلّ منهم مرتّبًا يكفيهِ الى الجمعة الآتية وكان يحنُّ على ذوي آصرتهِ. ولمَّا حدثت حركة الجنويَّة في بيروت واخذوا قرقور الكتيلان(١ الزموهُ واقاربَهُ بالسُّكنى في بيروت مدَّةً بعد ما كانوا يحلُّونها ابدالًا بالنوبة(٢. ثمَّ بعد ذلك استقرُّوا على عادتهم كما كانوا قد رتّبوا بعد الرُّوك

وكان ناصر الدين المذكور اذا ركب من بيروت لا يلتفت الى ورائهِ سوى في موضعين احدهما عند الجمَّيزة قبلما تطلع الجبل والثاني عند الشاغور (٣ لينظر من انقطع من جماعتهِ وغلمانهِ]. وعُمِّر ناصر الدين زمانًا طويلًا في عيش راغد ودهر مساعد. وكانت ايَّامهُ غررًا واضحةَ الابتسام

وكان مولدهُ حَسبَ ما وُجد بخطّهِ بين خطوط السَّلف في ليلة السبت اليوم الثاني والعشرين من محرَّم سنة ثمان وستّين وستمائة (١٢٦٩ م). وكانت وفاتهُ حسبَ ما اثبتهُ السلفُ في يوم الثلثاء ثالث عشر شوَّال سنة احدى وخمسين وسبعمائة (١٣٥٠) الموافق لرابع عشر كانون الاوَّل عند حلول الشمس ببرج الجدي. وتأخَّر دفنهُ الى بُكرة الاربعاء

واوَّل منشور كُتب لناصر الدين تاريخهُ ثالث شهر ربيع الاوَّل سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢م) قُلّد بهِ الإمرة الصغيرة التي كانت لوالدهِ سعد الدين خُضر وكانت خرجتْ عنهُ في فتوح طرابلس في ايام

١) راجع ص ١٣٨ ٢) راجعْ ص ٦٣
٣) لعلَّهُ يريد بلاد الشاغور التي بجهات عكَّة

الملك المنصور قلاوون واعيدت باسم ناصر الدين بالمنشور المذكور في ايام الملك الاشرف خليل بن قلاوون وقد تقدَّم ذكر ذلك (١

ثمَّ صارت لهُ الإمرة الكبيرة عن شمس الدين كرامة بن بُحتر ابن زين الدين العراموني في اوائل سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧ م) في ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون. وقفت على قائمةٍ بخطّ ناصر الدين بما غرمهُ من التقادم والكُلَف عند اخذهِ (66^٧) الامارة وهو جملةٌ مستكثرة. ثم بعد تقلُّدهِ الإمرة المذكورة نزل عن الامرة الصغيرة التي كانت بيدهِ لأخيهِ عزّ الدين حسن ابن سعد الدين ولعلَم الدين سليمان ابن غلاب الرمطوني الآتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى. وكان نزولهُ عن ذلك لهما في اوائل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩ م). واستمرَّ ناصر الدين على الامرة الكبيرة المذكورة الى شهر رمضان سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م) نزل عنها لولدهِ الاكبر زين الدين صالح بن الحسين عندما كبر في السنّ وضعفت حركتهُ وقصد الراحة (٢

وتزوَّج ناصر الدين امرأتين الأُولى بنت زين الدين صالح بن عليّ ابن بحتر امير الغرب (٣ والثانية بنت اسمعيل بن هلال من الاشرفيَّة.

١) راجع الصفحة ١٢٣ و ١٣٣

٢) جاء في حاشية المؤَلف: « وقفتُ ايضاً على تسع مطالعات كتبها ناصر الدين الى المباشرين بدمشق تتضمَّن انَّهُ نزل لولدهِ عن إقطاعهِ ويوصي بولده. والظاهر انَّهُ أبطل بعضها او كتب غيرها والله اعلم. ووقفتُ على نزول بخطّ ناصر الدين لولده زين الدين بالاقطاع واشترط فيهِ على ولدهِ ان يفي ديونَهُ ويقوم بهِ وبعائلتهِ »

٣) ورد في حاشية: « توفّيت امرأة ناصر الدين الحسين الاولى وهي ابنة

واسمعيل المذكور كان من اعيان الناس وكان من ذوي الايسار. حُكي عنهُ انَّ السلطان (١ نزل على المسطبة التي كانت معروفة بمنزلة السلاطين قبالة الاشرفيَّة فعمل لهُ اسمعيل ضيافةً فكان صبوح البكرةِ مائة خروف مشويّ. فظنَّ السلطان انّهُ السماط. ثمَّ بعد ساعة او ساعتين حضر السماط الكبير فتعجب السلطان ورسم لهُ بخلعةٍ فوقف في طريقهِ مقطع الاشرفيَّة كيلا تكثر عليهِ منافس اسمعيل المذكور

واستخدم ناصر الدين من الاشرفيَّة ثلثة اجناد منهم محمد بن اسمعيل بن هلال المذكور وكان يُعرف بمحمد شُقير. وسليمان بن فيَّاض ابن عبهم (كذا) ونفرٌ آخر لم اعرف اسمهُ

اسماء اولاد ناصر الدين

هذه اسماء اولاد ناصر الدين (وربَّما انّهُ كان قد رُزق (67^r) بناتٍ قبل اولاده الذكور من بنت زين الدين) فمنهم بُحتر سُمّي باسم خالهِ بحتر زين الدين وتوفي صبيًّا حدَث السنّ نهار الاثنين في رابع عشر ربيع الآخر سنة تسع وسبع مائة (١٣٠٩م). وذكروا انَّ عمره كان ستّ سنين لمَّا توفي وانّهُ كان يركب الخيل ويركضها وانَّ الناس ما رأوا صبيًّا أنجب منهُ. ورثاهُ ابوهُ بعدَّة قصائد فمن ذلك قصيدةٍ:

يا بحترًا يا مهجتي يا من بهِ اصبحتُ ثاكلْ

زين الدين بن علي خمار السبت في الحادي والعشرين من ربيع الاوَّل من سنة ست وسبعمائة (١٣٠٧ م) بمرض الزنطاريَّة وامّها صادقة بنت نجم الدين محمد بن حجي ابن كرامة عمَّة ناصر الدين الحسين المذكور»

١) وفي ذيل الكتاب: «ولعلَّ السلطان المذكور كان محمد بن قلاوون»

سوّدت ايّامي فلم أدرِ الغدوّ من الاصائل
وأطلتَ ليلاتي وكنّ م بك قصيراتٍ قلائل
ووسيلتي قد كنت انتَ فخُيِّبت فيك الوسائل

ولهُ ايضاً غير ولده بحتر المذكور زين الدين صالح . واربع بنات وهنّ : غالية تزوّجت عزّ الدين حسين ابن شرف الدين علي ابن زين الدين صالح بن علي في السابع من شهر محرَّم سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٨م) . وياقوتة تزوّجت سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين عليّ في السابع عشر ربيع الاوّل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩م) . ولؤلؤة تزوّجت عماد الدين موسى (١ ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن علي في الرابع عشر جمادى الاخرى سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧ م) وتوفيت في الخامس والعشرين ذي الحجّة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢م) . وزكيّة تزوّجت شرف الدين ابا القاسم ابن سيف الدين برق بن ثوار في الثالث عشر شوال سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة . فهؤلاء جميعهم أُمهم بنت زين الدين بن علي ابن بحتر الكبير . واماَّ غير المذكورين فهم تقيّ الدين ابرهيم بن الحسين واختهُ زوجة صفيّ الدين حسين ابن شجاع الدين (67[٧]) عبد الرحمن ابن جمال الدين حجّي . ثم اختهما زوجة فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين احمد ابن جمال الدين حجّي . ثمّ اختهم صادقة تزوّجها عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين عليّ . وقد تقدَّم ذكر زواجه بلؤلؤة بنت ناصر

١) جاء في ذيل الكتاب :« عماد الدين موسى المذكور امّهُ زين الدار بنت سعد الدين وهي اخت ناصر الدين الحسين »

الدين وانّها توفّيت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢م) وعند وفاتها كان لها اخت صغيرة في المهد (١ فجرى بين والدها ناصر الدين وعماد الدين موسى المذكورة موادّة اوجبت تأخير عماد الدين عن الزواج حتى كبرت الصغيرة المذكورة فتزوَّجها. فهؤلاء أمّهم بنت اسمعيل بن هلال المذكور. وكان ناصر الدين يسمح على بناتهِ بالمال ويتكلّف عليهنّ جملةً. وقد رأيتُ بخطهِ شيئًا يدلُّ على ذلك

[وكان (٢ سعد الدين خضر قبل وفاتهِ اختصّ ناصر الدين بنصف موجودهِ اجمع اختصاصاً لهُ دون اخوتهِ الخمسة الذين سيأتي ذكرهم ان شاء الله . وكذلك فعل هو قبل وفاتهِ فاختصّ ولدهُ زين الدين بنصف مالهِ وربع جميع موجودهِ اختصاصاً لهُ دون اخيهِ واخوتهِ. وجعل لاخيهِ تقيّ الدين ابرهيم ولاخوتهِ الربع فقط]

فصل في ذكر اختلافات الدُّوَل وتغيُّراتها في ايَّام ناصر الدين

كان مولد ناصر الدين في اواخر دولة السلطان الملك الناصر يوسف ابن محمد صاحب دمشق (٣ وهو آخر ملوك بني أيوب. وقبض عليهِ التتار سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠م). وفيها استولى الملك المظفَّر قطز (٤

١) حاشية المؤلف: « هذه الصغيرة المذكورة كان اسمها صادقة تزوَّجها عماد الدين في الثامن من ربيع الاوَّل سنة ست وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٥م) »

٢) ما ذُكر بين معكَّفين ورد في ذيل الكتاب وقد نبَّه المؤلف على وضعهِ في الاصل

٣) راجع ص ٨١

٤) راجع ص ٩٢

على الشأم بعد كسرة التتر واحلافهم عن الشأم . ولمَّا توجَّه قطز من الشام استنابَ عليها علم الدين سنجر الحلبي . فلم يصل المظفَّر قطز الى مصر حتى قتلهُ بيبرس وتسلطن موضعهُ وتلقَّب بالملك الظاهر وذلك في سابع شهر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م)

فبلغ سنجر نائبَ الشأم ذلك فتسلطن بالشأم وتلقَّب بالملك المجاهد . فارسل اليهِ الملك الظاهر بيبرس عسكرًا من مصر (68r) فواقعوا الملك المذكور وكسروهُ ثمَّ قبضوا عليهِ . وذلك في شهر صفَر سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١) . واستقرَّ الشام للظاهر بيبرس وجعل النائب فيهِ جمال الدين آقوش النجيبي الصالحي (١ . ثمَّ عزلهُ بعلاء الدين ايدكين الفخري الاستاذدار (٢

وفي ايَّام الظاهر بيبرس كان سجن زين الدين بن علي وجمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ولدَيْ نجم الدين محمد وكان حبسهم مدَّةً طويلةً كما سبق وذلك بكذب بني أبي الجيش عليهم وتزويرهم لكتبهم كما ذكرنا (٣

وتوفي الظاهر بيبرس بدمشق في السابع والعشرين محرَّم من سنة ست وسبعين وستمائة (١٢٧٧ م) . واخفوا موتهُ حتى وصل بيلبك الخزندار (٤ بالعساكر الى مصر . وكان يُوهم الناس انَّ الظاهر بيبرس في محفَّةٍ ضعيفٌ . وعند وصول بيلبك الخزندار جلس الملك السعيد بركة

١) راجع الصفحة ٤٩
٢) راجع ص ٩٥
٣) راجع ص ٩٥ — ١٠٩
٤) راجع ص ٩٩

ابن الظاهر (١ في السلطنــة فى اوائل ربيع الاوَّل من السنة المذكورة.
وكان نائبهُ بالشأم عزّ الدين ايدمر (٢

وفي اوَّل سلطنتــهِ افرج عن زين الدين وجمال الدين وسعد الدين المذكورين وذلك بواسطة بيلبك الخزندار وكان اميرَ اتابك. ولم تطل مدَّة بيلبك بل توفي بعد سلطنة بركة بايَّام قــلائل. واماَّ مدَّة سجن المذكورين فمن مقلّلٍ يقول كان سجنهم سبع سنين ومن مكثرٍ يقول تسع سنين. ولم يُخرجوا عنهم اقطاعاً ولا ملكاً في مدَّة سجنهم

وفي سلطنة بركة كانت حركة القطب كما ذكرنا. وفي ربيـع الاوَّل سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٩ م) خلعوا السلطان بركة وسلطنوا اخاهُ سلامش ولم تطل لهُ مدَّة حتى خلعوهُ وسلطنوا (٧68) الملك المنصور قلاوون في الثاني والعشرين رجب سنة ثمــاني سبعين وستمائة (١٢٧٩ م). واستناب بالشام حسام الدين لاجين

وفي ايَّام المنصور عند فتوح طرابلس اخرج اقطاعات السَّلَف بحلقتها. وفي السابع من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة (١٢٩٠م) توفي الملك المنصور قلاوون وتسلطن ولدُهُ الخليل بن قلاوون وتلقَّب بالملك الاشرف. وفي ايَّامهِ تمَّت فتوحات السواحل واسترجع السلف اقطاعاتهم. والذي تأخر منها استرجعوهُ في اوَّل سلطنة اخيهِ الناصر محمد. وقد تقدَّم ذكر ذلك (٣

وفي العشر الاوسط من شهر محرَّم سنة ثلاث وتسعــين وستمائة

١) راجع الصفحة ١٠١   ٢) راجع ص ١٠١
٣) راجع ص ٣٤

(١٢٩٣م) قُتل الملك الاشرف خليل وتسلطن محمد بن قلاوون وتلقَّب بالملك الناصر. ولم يزل مستمرًّا في الملك الى الحادي عشر من شهر محرَّم سنة اربع وتسعين وستمائة فخلعوهُ وتسلطن زين الدين كتبغا وتلقَّب بالملك العادل. ولم يزل مالكًا الى سلخ محرم سنة ست وتسعين وستمائة (١٢٩٦ م). ثم تغلَّب على الملك حسام الدين لاجين وتلقَّب بالملك منصور وجهَّز الملك الناصر محمد المخلوع الى الكرك وقال لهُ: لو علمتُ انَّهم يخلُّون لك الملك تركتهُ والله. ولكنَّهم لا يخلُّونهُ وانا مملوكك ومملوك والدك أحفظهُ لك حتى تكبر. فقال لهُ الملك الناصر: احلف لي انك تبقي على نفسي وانا اروح الى الكرك. فحلف لهُ وتوجَّه الى الكرك وبقي فيها الى ان قُتل لاجين في ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة (١٢٩٨ م) وحلف الامراء (70r) للملك الناصر واحضروهُ من الكرك وقلَّدوهُ الملك. وهذه السلطنة الثانية للناصر. وركب من القاهرة وعمرهُ خمس عشرة سنة وخرج للتقى قازان ملك التتر فالتقيا عند حمص في السابع عشر ربيع الاوَّل سنة تسع وتسعين وستمائة (١٢٩٩ م) الموافق لثالث وعشرين كانون الاول. فانهزم عسكر السلطان وعاد السلطان الى مصر: وكان سلار وبيبرس الجاشنكير يتكلّمان عن السلطان في المملكة

وفي شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٩م) استنفر خاطرهُ منهما واظهر انَّهُ يريد الحجاز الشريف وتوجَّه الى الكرك واقام بها فوثب بيبرس الجاشنكير على الملك وتسلطن وتلقَّب بالملك المظفَّر. وفي شهر شعبان سنة تسع وسبعمائة (١٣١٠ م) خرج السلطان من الكرك قاصدًا دمشق عندما وثق من عسكرها انَّهُ معهُ. وتفحَّل امرهُ بدمشق وتكاملت

احوالهُ . وفي شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة توجَّه السلطان الى جهة الديار المصريَّة وقد انتظم حالهُ . فبلغ ذلك بيبرس الجاشنكير فنزل عن الملك وهرب من مصر مغرّبًا . وهرب سلار مشرّقًا ودخل السلطان مصر وقبض على اثنين وثلاثين اميرًا واستقام لهُ الملك . وهذه سلطنتهُ الثالثة . ولم يزل مالكًا الى التاسع عشر من ذي الحجَّة سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) . واسماء نوّابهِ بالشام: عز الدين ايبك الحمويّ ثمَّ جمال الدين آقوش الافرم ثم شمس الدين قرا سنقر ثم سيف الدين كراي ثم جمال الدين آقوش نائب الكرك ثمَّ سيف الدين تنكز وطالت مدَّتهُ (٢٩)

ودخل تنكز دمشق نائبًا فيها نهار الخميس العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتي عشر وسبعمائة (١٣١٢ م) واستمرَّ في نيابة الشام الى ان قُبض عليهِ في نهار الثلثاء الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة اربعين وسبعمائة (١٣٤٠م) بمرسوم السلطان على يد نائب صفد المعروف بحمّص اخضر

ثمَّ تولَّى بعد تنكز في نيابة الشأم علاء الدين الطنبغا واستمرَّ الى بعد السلطان المذكور . وفي تاسع عشر ذي الحجَّة سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) توفّي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وتسلطن ولدهُ سيف الدين ابو بكر بن محمد وتلقَّب بالملك المنصور . وفي العشر الآخر من صفر سنة اثنتين واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) خلعوا ابا بكر وسلطنوا اخاهُ شرف الدين كجك بن محمد وتلقَّب بالملك الاشرف . وفي شهر جمادى الآخرة خلعوا كجك في الممالك المصريَّة

والشاميَّة واخذوا البيعة لاخيهِ شهاب الدين احمد بن محمَّد وهو بالكرك وتلقَّب بالملك الناصر. واستناب بمصر آق سنقر السلاري. وحدثت هذه التغيُّرات وعلاء الدين الطنبغا المذكور مستمر في نيابة الشأم ولم يتغيَّر

وفي شهر محرَّم سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢ م) خلعوا بيعة احمد وسلطنوا اخاهُ اسماعيل بن محمَّد وتلقَّب بالملك الصالح (١. وحاصروا احمد بالكرك وقتلوهُ. وذكروا انَّ اسماعيل كان اجود اخوتهِ واستناب بدمشق علاء الدين ايدغمش. ثمَّ توفي واستناب بعدهُ في الشام سيف الدين طقزدمر (٧٠ ر) الحموي (٢. وفي رابع ربيع الآخر سنة ست واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م) توفي السلطان اسماعيل وسلطنوا اخاهُ سيف الدين شعبان بن محمد وتلقَّب بالملك الكامل. ونائبهُ بالشام سيف الدين يلبغا اليحياويّ وهو الذي بنى جامع يلبغا بدمشق. وكان السلطان قد مسك اخاهُ حاجي ويُسمَّى بامير حاج واودعهُ السجن

وفي شهر جمادى الاولى سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م) خلعوا شعبان واخرجوا اخاهُ امير حاج بن محمَّد من السجن وسلطنوهُ وتلقَّب بالملك المظفَّر. وجلس على الكرسي موضع شعبان وسجنوا شعبان

١) حاشية للمؤلِّف: «وفي سلطنة الملك الصالح اسماعيل جرت الواقعة بين البقاعيَّة واهل وادي التيم وذلك في مستهلّ صفر سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) وقُتل من الفريقين جماعة كثيرة وأُحرق من وادي التيم ثلاث عشرة قرية وهو جمع الحربالى (كذا) من جبل نابلس وسلمت الكُنَيسة وكفرقوق وعيحا (وهذه كلُّها في وادي التيم) من النهب والحريق وانقطع الدرب بوادي التيم وكذلك بوادي الزبداني

٢) راجع الصفحة ١٤٠

في الموضع الذي كان امير حاج مسجوناً بهِ . فسبحان القادر على كلّ شيء .

وفي سلطنة امير حاج عصى يلبغا اليحياوي نائب الشام ثمَّ هرب فمسكوهُ وقتلوهُ واجلسوا مكانهُ في نيابة الشام ارغون شاه . وقصد امير حاج قهر الامراء بمصر وصار يتعبَّث بهم فاتَّفقوا عليهِ وفي شهر رمضان سنة ثمان واربعين وسبعمائة (١٣٤٧ م) حاربوهُ فانتصروا عليهِ وقتلوهُ وسحبوهُ مهتوكاً من الناس ثمَّ قطعوهُ قطعاً . وسلطنوا اخاهُ حسن ابن محمَّد وتلقَّب بالملك الناصر وهي سلطنتهُ الاولى . وفي سنة تسع واربعين (١٣٤٨ م) وقع فناء عظيم بالطاعون وكان عامًّا ابتدأ من مدينة غزَّة

وفي الثالث والعشرين من ربيع الاوَّل سنة خمسين وسبعمائة (١٣٤٩ م) ركب الجبغا المظفَّري نائب طرابلس على ارغون شاه نائب الشام فقتلهُ واحتاط (٢٥) على حواصلهِ . واظهر الجبغا مرسوماً زوَّرهُ عن السلطان وذلك حيلة ليرفع امر الشام عنهُ . وجرى في الشام ثورة افضت الى توسيط الجبغا المذكور وايقاف الحروب

ثم جعلوا في نيابة الشام ارغون الكاملي فطالت مدَّتهُ واستمرَّ السلطان حسن في الملك الى شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م) ثم خُلع وسلطنوا اخاهُ الصالح بن محمد وتلقَّب بالملك الصالح . فهذا ما كان من التغيُّرات واختلاف الدول في ايَّام ناصر الدين . وسنكمّل ان شاء الله ما بعد هذه الامور عند ذكرنا لولدهِ زين الدين

ذكر اخوة ناصر الدين

ومن الواجب ذكر اخوة ناصر الدين بعد ذكرهِ لتمام الفائدة . قال

محمد الغزّي عنهُ في مقامتهِ المذكورة عند وصفهِ لاخوة ناصر الدين: « واماً اخوتهُ الكرام. المعروفون بالشجاعة والاقدام. وامراء العشيرة المكرَّمة. وفرسان القبيلة المعظَّمة. وضراغم الكفاح والهياج. وغمامر المجتاح والمحتاج. فبدورٌ تشرق اذا دجت ظلماء المعامع. وسماء نجومها الاسنَّةُ اللوامع. اربعة كالرياح والعناصر (١. تُعقد على محبتهم القلوب قبل الخناصر. فلِحَسَنهم العزُّ المكين. ولِمُحَمَّدهم الفتح المبين. وليُوسفهم الصلاحُ حليةٌ. ولِسُلَيْمانهم الشرف امنيَّةٌ وبغيةٌ». (71^r) ثم انشد:

اربعةٌ تحكي الربيعَ نضرةً تنظرُ فيهم كلَّ معنىً رائعِ
مثل نجوم الأفق ِمن مُشرقٍ وزاهرٍ ونيّرٍ ولامعِ
يُهدى بها طورًا ويُستَسقى بها نوءُ المُنى لطافحٍ وطامعِ
فالغربُ جسمٌ والحسينُ روحهُ وهم لذاك الجسمِ كالطبائعِ

ذكر الامير عزّ الدين حسن ابن سعد الدين خضر

هو ثاني اولاد سعد الدين خضر وكان شجاعاً قويَّ النفس ذا سطوةٍ وحرمةٍ وكان في بعض الاحيان يناقض اخاهُ ناصر الدين لعظم نفسهِ وكان ناصر الدين يُغضي عنهُ ولا يؤاخذهُ. وكان يقلّل من قنية الخيل فسُئل عن ذلك فقال: « خيلي في صندوقي توفّر العليق ومتى اردتُ اشتريتُها ». وعمّر القاعة التي ذكرناها والقبو الملاصق لها واراد ان يجلب الماء اليها فعمل قناةً فوق القناة التي صنعها اخوهُ ناصر الدين ولم يتمّمها. وقال لهُ اخوهُ: « لا تتعب في قناةٍ وانا أُعطيك من الماء الذي جرى في قناتي

١) جاء في حاشية الكتاب ما لفظهُ: « وربّما كان قول الغزّي هذا بعد وفاة علاء الدين علي ابن سعد الدين لانَّ الاخوة المذكورين خمسةٌ »

ما يكفيك». فأبى ذلك لقوَّة نفسهِ وشرع في عمل القناة المذكورة ولم يكمِلها. وأمّهُ بنت الشيخ العلَم تزوَّجها والدهُ بعد وفاة امّ اخيهِ ناصر الدين وقد تقدَّم ذكر ذلك(١. وكان مولدُهُ ليلة الاحد السادس عشر من ذي الحجَّة سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٤م). ووفاتُهُ رحمهُ الله تعالى نهار الثلثاء التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة (71^{7}) ثلث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢) قتيلًا بالكرك. ومُوجبهُ انَّهُ توجَّهَ في مقدَّم الجمع الذي توجَّهَ من بلد بيروت لحصار السلطان احمد ابن الناصر محمَّد ابن قلاوون وقد تقدَّم ذكر ذلك(٢. فلمَّا وصل الى الكرك لم يستقرّ بها حتى رسم لهُ بيبرس الاحمدي مقدَّم العساكر المجرَّدة بالكرك لحصار السلطان احمد بالزَّحف على القلعة بمن معهُ فنزل اليهم منها جماعةٌ واقتتل الفريقان فهرب رِفقةُ عزّ الدين وتركوهُ يُقاتل وكان المكان صعب المسلك فنزل عن فرسهِ وصار يقاتل وهو راجل حتَّى قُتل وهو في ساعة وصولهِ الى الكرك. وقد تقدَّم ذكر ذلك(٣

امَّا جهات اقطاعهِ فامرِيَّة خمسةٍ: نصف عاليه ونصف الخُرَيبة ونصف

١) راجع الصفحة ٨٩

٢) راجع الصفحة ١٤١. راجع ايضًا رواية ابن سباط في تاريخ سنة ٧٣٤. وهناك شيء من اخبار عزّ الدين وقصيدة ناصر الدين في رثائهِ

٣) ص ٨٩. وجاء في ذيل الكتاب بقلم المؤلف: «وجدتُ في بعض اوراق قديمة انَّهُ لمَّا توجَّه عزّ الدين حسن المذكور الى الكرك توجَّه صحبتَهُ جمال الدين ابن سيف الدين وعزّ الدين ابن عماد الدين وتوجَّه عزّ الدين المذكور الى عند الفخري وعمل الفخري المصافَّ بينهُ وبين الطنبغا على عقبة الثنيَّة عند خان لاجين في السابع وعشرين من رجب سنة احدى واربعين وسبعمائة الموافق لعشرين كانون الاوَّل (١٣٤١م) وكان عزّ الدين حاضرًا للمصاف المذكور

عيناتا ونصف الدوير ونصف الصباحيّة ونصف درب المغيثة وربع قدرون ونصف قطع ارض بقرطبة وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور

وتزوَّج عزّ الدين بنتَ شجاع الدين عبد الرحمان ابن جمال الدين حجّي بن محمد بن حجّي وأُمها امرأة شجاع الدين. ورثاهُ اخوهُ ناصر الدين بهذه القصيدة:

ان كنت لي من الانام مصاحبا ... قفْ بالربوع واندبِ الحبائبا
وابكي لعزّ الدين ما أصابهُ (١ ... دمًا اذا اعوزتَ دمعًا ساكبا
ويلاهُ من جور زمانٍ غادرٍ ... قد خانني فيهِ بسهمٍ صائبا(٢
نيرانُ قلبي لم تزل مُسعرةً ... لم تَطفِها من ادمعي سحائبا(٣
(72r) قد هدَّ رُكني فقدُهُ واحسرتي ... عليهِ صار الحزنُ لي مواظبا
يا اسفي فقدتُ سيفًا قاطعًا ... قد كان عني في الحروب ضاربا
لمَّا اتت خيولهُ مُلهبةً ... واصبحت منقادةً جنائبا
ناديتُها ويلاهُ ماذا فعلتْ ... صروف دهري في العزيز غائبا
قالت فقدتُ العزَّ والليث الذي ... ترى الليوثَ عندهُ ثعالبا
يا كركَ الشوءم سألتُ الله ان ... يُعدمَكَ الاهلين والاجانبا (٤
حتى يعودَ البوم فيك قاطنًا ... مع الغراب صائحًا وناعبا
ولا سقاكَ الله غيثًا انّما ... صواعقًا يسقيك مع مصائبا(72v)
لو كان في ظهر الجواد نظرتمُ ... من طعنهِ وضربهِ غرائبا

١) كذا روى ابن سباط . وفي الاصل: من مصابهُ دمٌ
٢) كذا في الاصل
٣) رواية ابن سباط: « لم تطفِ من قلبي السحائبا ». وكلتا الروايتين غلط
٤) رواية ابن سباط: « يا كركَ المهدَّم . . . ثمّ الحبائبا

لكن تلقّاكم وكان راجلًا للوَعر لم يسلك اليكم راكبا
فيا رماح الخطّ بكّي قده ُ وياسيوفَ الهند بكِي الضاربا . . .

ذكر الامير صلاح الدين يوسف ابن سعد الدين خضر

وهو الثالث من ولد سعد الدين خضر . كان رجلًا ديّنا خيّرًا ذا عقلٍ وافرٍ نافذ الكلمة مبجّلًا موقّرًا عند اقاربهِ وعند النــاس ريّض النفس حسن الخلقة والاخلاق وكان اقاربُهُ بعد اخيهِ ناصر الدين مقتدين بهِ سامعين لأمرهِ . سكن عمارةَ والدهِ سعد الدين اي العلّيَّتين المتلاصقتين المقدَّم ذكرهما . وتزوَّج بنت شهاب الدين احمد بن حجّي (73r) بن محمَّد . ثمَّ توفيت وتزوَّج امرأة اخيهِ شرف الدين سليمان الآتي ذكرهُ . كان مولدهُ يوم الاثنين الثامن من شهر شوَّال سنة ستّ وتسعين وستّمائة (١٢٩٧م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى . . . (١

اسماء اولادهِ : بدر الدين محمّد . اسد الدين محمود . علاء الدين عليّ

ذكر علاء الدين علي ابن سعد الدين خضر

وهو الرابع من ولد سعد الدين خضر(٢ . كان شابًّا حسن الشكل ذا عقل وادب وحشمة وافرة وذا قوّة وعفافٍ شديد فاق بهِ على اهل زمانهِ . وتوفّي شابًا لم تطل لهُ مدَّة ولم يشتهر لهُ ذكر . مولدهُ الثُّلث الآخِر من ليلة الاحد مستهلّ ربيع الاوَّل سنة ثلث وسبعمائة (١٣٠٤ م)

١) كذا في الاصل بدون تعيين السنة

٢) ورد للمؤلف حاشية هذا لفظها :« منشور عليّ المذكور من الملك الناصر محمَّد بن قلاوون باستجدادٍ في الخدمة . جهاتهُ : نصف قدرون . نصف طردلا . نصف رمطون . نصف عين كسور . اخذ ذلك عن شمس الدين عبد الله بحكم وفاتهِ »

ذكر الامير فتح الدين محمَّد ابن سعد الدين خضر

وهو الخامس من ولد سعد الدين. كان ذا عقل وحشمة وكرم مقتبساً من طرائق اخيهِ ناصر الدين الحسين. عمَّر العليَّة الملاصقة لعمارة ابيهِ وعمر ما تحت العليَّة المذكورة وما حولها وهي المعروفة وقد تبنَّاهُ ناصر الدين وتزوَّج بنت شجاع الدين عبد الرحمان ابن جمال الدين حجِّي بن محمد بن حجِّي بن كرامة(١). مولدهُ الثُلث الآخر من ليلة الاحد مستهلّ ذي القعدة سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥ م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى في حياة اخيهِ ناصر الدين الصبح من نهار الاربعاء سلخ (٧) جمادى الآخرة سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م)

اسماء اولادهِ: ناهض الدين حمزة. عماد الدين اسماعيل. وبنتهُ زوجة شهاب الدين احمد انتقل اليهِ الاقطاع عن اخيهِ عليّ عن شمس الدين عبد الله ابن جمال الدين حجِّي بن محمد. وهو امرة خمسةٍ جهاتهُ نصف قدرون ونصف مرتغون ونصف طردلا

ذكر الامير شرف الدين سليمان بن سعد الدين خضر

وهو سادس اولاد سعد الدين. كان عاقلًا وطيء الجانب لطيف الذات كيّس الصفات دأبهُ الكتابة كتب على الشيخ بهاء الدين محمود بن محمَّد خطيب مدينة بعلبك وشيخ البلاد الشاميَّة واشتهر بكتابة المنسوب الفائق. ووقفتُ على كتاب من الشيخ بهاء الدين الى ناصر الدين

١) وفي حاشية للمؤلف: «توفيت زوجة فتح الدين هذه واسمها زمرُّد بنت شجاع الدين في نهار الخميس سابع شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م) وهي امّ اولادهِ»

الحسين اخي شرف الدين المذكور من مضمونهِ قولهُ: « قد وصل الامير شرف الدين ورأيت شكلَهُ الحسن وكتابتهُ المليحة ». وكانت كتابة شرف الدين جميلة واحسنها الرقاع ثمَّ الثُّلث وكان كثير الادمان في الكتابة وبان على كتابتهِ الادمانُ لجريانها وجمالها

وتزوَّج بنت عزّ الدين من عين دارا (١. وكان رئيساً من اعيان زمانهِ ومقدَّماً على بلاد الجُزْد وكان فصيحاً ولهُ الشعر المليح والبلاغة وحُسن الكتابة وكان ولدهُ سيف الدين فرج ابن عزّ الدين قد اشتهر بالرئاسة وساد بلادهُ وعرف عند الدولة وسار في زمانهِ احسن سيرة. وكانت وفاة سيف الدين فرج المذكور بدمشق في خان منجك (74r) يوم الثلثاء الثاني والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة (١٣٨١ م) وحُمل الى قرية شمليح ودُفن في تربتهِ

واماَّ سليمان المذكور فهو اصغر اخوتهِ . مولدهُ العصر من نهار الاحد الحادي والعشرين من ربيع الاوَّل سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٩م). وفاتهُ رحمهُ الله تعالى.. (٢

اسماء اولادهِ: نجم الدين محمد. بناتهُ: نسب العدل زوجة ابن اخيهِ

١) وفي ذيل الكتاب للمؤلف: « تزوَّج شرف الدين المذكور امرأتين الاولى في ثاني جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة (١٣٣١م) وتوفّيت. والثانية هي بنتُ عزّ الدين فضائل المدعوَّة ام نجم الدين تزوَّجها في عشرين شعبان سنة اربعين وسبعمائة (١٣٤٠م) وبعدَهُ تزوَّجها اخوهُ صلاح الدين يوسف ابن سعد الدين خضر. اما عزّ الدين فضائل المذكور فهو ابن عليّ ابن عزّ الدين فضائل المتوفّى نهار الجمعة تاسع عشر جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وسبعمائة (١٣٥٦ م) »

٢) كذا في الاصل بدون ذكر السنة

بدر الدين محمد . وحَسَنات زوجة شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين . وواسطة زوجة بدر الدين حسن ابن علاء الدين . وسارة زوجة سيف الدين ابي بكر ابن شهاب الدين (١

الطبقة الثانية

ويجب بعد ذكرنا ناصر الدين حسين واخوتهُ الخمسة ان نذكر اولاد عمّهِ جمال الدين حجّي اذ كانوا بني عمّهِ ومعاصريهِ فالأولى ان يكون ذكرهم تابعاً لذكرهِ وذكر اخوتهِ

ذكر الامير نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين حجي بن محمد

وهو اوَّل ولد جمال الدين وسَميُّ جدّهِ . كان قويّ المنافسة حادّ الخُلق فنافر اباهُ وعقَّهُ وشقَّ عصاهُ ورحل الى عيناب وكان ابوهُ قد اشركهُ في الاقطاع فلمَّا رأى منهُ ذلك أبطل شركتهُ وجعل اخاهُ شهاب الدين احمد موضعهُ شريكاً في الاقطاع . وكتب بذلك منشوراً من مضمونهِ انّهُ اقام عوضاً عن ولدهِ نجم الدين محمدٍ اخاهُ شهاب الدين احمدَ لسوء سيرة نجم الدين (74[٧]) وعدم شكر الناس لهُ (٢

وكان نجم الدين قبل ان يرحل الى عيناب قد قام على اولاد علَم الدين معن وهم: سيف الدين غلّاب واخواهُ عبد المحسن وكرامة وكان سكنُهم باعبَيه تحت عمائر السلَف الى جهة الغرب بشمال . فما برح نجم

١) وفي حاشية للمؤلف : « وتوفيت ام اخوة ناصر الدين وهم الخمسة المذكورون عزّ الدين حسن وصلاح الدين يوسف وعلاء الدين علي وفتح الدين محمَّد وشرف الدين سليمان» . كذا بدون تعيين سنة وفاتها ٢) راجع ص ٨٢ و ٨٧

الدين محمد عليهم حتى رحل غلّاب واخوهُ عبد المُحسن الى رمطون واماَّ اخوهما كرامة فانَّهُ قاومَهُ وحلف انَّهُ لا يرحل عن وطنهِ

ولمَّا استقرَّ غلّاب وعبد المُحسن في رمطون ورحل نجم الدين الى عيناب قصد في وقت من الاوقات ان يحرق رمطون فخرج ومعهُ عصبةٌ من الاوباش وتوجَّه الى رمطون. وكانت عمَّتهُ في رمطون فسالتهُ الَّا يحرق في رمطون شيئاً فحلف أن لا بدَّ من الحرق. فقالت لهُ: احرق هذا التنُّور لتبرئة قسَمك. فاجابها الى سوءالها واحرق التنُّور وعاد الى عيناب. (قلتُ) وربَّما كان عمل نجم الدين محمَّد المذكور هذه الاعمال في غيبة ابيهِ وعمهِ وزين الدين ابن علي لمَّا سُجنوا تلك المدَّة الطويلة في ايَّام الملك الظاهر بيبرس. وفي هذه المدَّة كان ناصر الدين حدَث السنّ ما نشأ فخلا الوقتُ لنجم الدين وتمكَّن من قصدهِ. والله اعلم

ونجم الدين المذكور هو الذي قتل القُطب (١ على ما قيل عنهُ من عامَّة الناس ولم اجد ذلك بخطّ احدٍ من الخلَف. وسمعتُ الناس يقولون انَّ اباهُ واقاربَهُ اتَّفقوا على سجنهِ ببيروت وسُجن بها. وربَّما كان ذلك عقيب الفتوح لأنَّهُ لم يمكن ان يسجنوا مسلماً في بيروت وهي للفرنج. وبلغني انَّ بعض اقاربهِ ارادوا الفتك بهِ عند الإفراج عنهُ وأوقفوا الامر على مشورة ابيهِ فقال: انا لا أُطالب بدمهِ احدًا من (75^r) خَلق الله ولكن لا يسعنى عند الله ان آمر بقتلهِ. وكان الناس مع ذلك ينسبون نجم الدين الى الكرم والشجاعة والمروَّة. وكان يعتذر عن سوء صنيعهِ ببغضتهِ للمرأة التي تزوَّجها ابوهُ عوض امّهِ (٢

١) راجع ص ٨٦ و ١٠٤   ٢) ص ٨٧

وعمَّر نجم الدين في عيناب عمائر وتزوَّج امرأة من ميسنون ووُلد لهُ سيف الدين ابرهيم وشُكر عند الناس بحسن السيرة. وكانت وفاة نجم الدين نهار الخميس الخامس من شهر محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٤ م) قتيلًا مع اخيهِ احمد في فتوح كسروان بقرية نيبَيْه كما تقدَّم ذكرهُ (١

واسماء اولادهِ سيف الدين ابراهيم وهو اكبرهم وجمال الدين يوسف وعماد الدين اسماعيل ونور الدين محمَّد وهو الصغير. وعاشت أُمهم بعد ابيهم

ذكر اخيهِ الامير شهاب الدين احمد ابن جمال الدين حجّي

وهو ثاني ولد جمال الدين كان رجلًا عاقلًا حسن الرأي والسياسة مشكورًا بين الناس تزوَّج حسَنَات بنت الشيخ العلم المقدَّم ذكرهُ. قُتل مع اخيهِ كما مرَّ في واقعة كسروان وقد ذكرنا قتلتهما في ترجمة ناصر الدين الحسين ابن عمّهما. واسماء اولادهِ حسام الدين عبد القاهر وجمال الدين حجّي وفخر الدين عبد الحميد وأُمهم بنت العَلَم

ذكر اخيهما الامير شجاع الدين عبد الرحمان ابن جمال الدين (٢

كان شجاع الدين راغبًا في ما عند الله زاهدًا في ما عند الناس وقام بالخلافة لابيهِ وسلك طريقةً في المسالك الحميدة والزهد والقناعة والعبادة وكان عندهُ رصانة النفس ووطاءة الخُلق فكان بين الصغار كاحدهم وبين

---

١) راجع ذكر هذه الواقعة ص ٤٩ و ١٣٧

٢) جاء في حاشية للمؤلف: «كان يجب ذكر عبد الله بعد اخيهِ شهاب الدين احمد لانَّهُ ثالث ولد جمال الدين . وشجاع الدين هو الرابع وعبد الحميد الصغير وهو الخامس

الكبار كاكبرهم فاق اهل زمانهِ بالعلم والفضل (75ᵛ) والحلم والادب قد ذكرهُ محمد الغزّي في المقامات التي تقدَّم ذكرها فقال فيهِ: « وواسطة عِقدهم. ومحكُّ نَقدهم. وبركة عشيرتهم. ورأس مشورتهم. وقطب فلك المعارف. وقدوة كلّ محقِّق وعارف

شجاع الدين خير بني ابيهِ امامٌ رام في دنياهُ زهدا
تعبَّد خشية الرحمان طوبى لحرٍّ قد اتى الرحمان عبدا

حدَّثتني الجدَّة زوجتهُ المدعوَّة امّ نجم الدين وهي عاشت بعدهُ زمنًا طويلًا قالت: ما رأيتهُ غضبان قطّ. وحدثت عنهُ انَّهُ كان يغمض عينيهِ وقلَّ ما يفتحهما حتى يتلو الكتاب العزيز سَرْدًا على ظهر خاطرهِ وانَّهُ كان يتلوهُ في نهار واحد. وكان قد اتَّخذ عودًا متشعِّبًا يضع الشّعب على جبهتهِ وطَرَفهُ الى الارض يتوكَّأ عليهِ طلبًا للراحة ويجعل المصحف على الكرْسي قدامهُ. وكان دأبهُ تلاوة الكتاب العزيز والعبادة

وحُكي عنهُ انهُ اجتمع يومًا بعلم الدين سليمان الرمطوني الاتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى فجرى بينهما عتاب على امرٍ كان بينهما فقال علم الدين: ما أحوجك الى حرارةٍ في العقل. فقال شجاع الدين: انت احوج مني الى برودةٍ في الحكم. وكان علم الدين مشهورًا بقوَّة النفس والحدَّة والغلَظة في الحقّ مع سيادةٍ ورئاسة. وشجاع الدين مشهورًا برصانة النفس ووطاءة الخُلق وكثرة الحلم والكرَم محبًّا للاجواد حنونًا على الفقراء رؤوفًا على المساكين وكان ينظم الشعر الرقيق (76ʳ) . . .(١ فمن ذلك قولهُ (76ᵛ) وقد الزمهُ اقاربهُ بسكنى بيروت وترك اعبيه :

١) في الاصل هنا مقاطيع شعريَّة مختلفة ضربنا عن بعضها صفحًا لضعف نظمها واغلاطها النحويَّة

اللهُ يعلمُ انَّ قلبيَ عندكم   ولذيذ عيشي ما بهِ المَّ امُ
أكلي وشربي قد تنغَّص بعدكم   ما لم تسطِّر بعضهُ الاقلامُ
ياليت شعري هل تعودُ سعادةٌ   كانت لنا وكأنها احلامُ
والشمل مجتمع بافضل سادةٍ   سادوا الورى وكأنهم اعلامُ

ولهُ اشعار غير هذه واكثرها في الزهد والورع والاعتقادات الجيّدة ومحبَّة الاخوان والاصدقاء. ومدحهُ الناس بقصائد كثيرة منهم محمد الغزّي في قصيدة ليست هي من المقامة (77r) اولّها :

حدّث عن السفح وكثبانهِ(١   وعن معانيهِ وعن سكَّانهِ

ومنها :

خيرُ اميرٍ امرهُ طاعةٌ(٢   لعلمهِ الاشيا واتقانهِ
وخيرُ عبدٍ سيّد في العُلى   أخلصَ في طاعة رَحمانهِ
الزاهد العابد والمُرتجى   ليُمنهِ فينا وايمانهِ
صَدر صُدور الوقت في علمهِ   وفضلهِ بل عينُ أعيانهِ
روحٌ لجمع الغرب يحيا بهِ   يستوطن المجدُ باوطانهِ
وان دجا خطبٌ مُلمٌ أضا   بساطعٍ من صُبح تبيانهِ(٣
اصلٌ زكيٌّ فرعهُ مثلهُ   كالغُصن غصن النَّبت او بانهِ(٤
عقلٌ غزيرٌ وحيًا وافرٌ   تراهُ كهلًا عند ريعانهِ(٥ (77v)

١) هذه القصيدة وردت في تاريخ ابن سباط مصحَّفةً. فروى: «عن الصفح وكتائبهِ»
٢) روى ابن سباط: طائعًا   ٣) لم يروهِ ابن سباط
٤) رواية ابن سباط: ربأنهِ
٥) في ابن سباط: عقل زغير (؟)... عند رعيانهِ

يا زائرًا باب ابيهِ لقد فُزت من العلم بافنانهِ
لا زال هذا الغربُ شرقًا بهِ يشرقُ من شمس عُلى شأنهِ
اجري على مدحي لهُ دائبـًا وهو على عادة احسانه

سكن شجاع الدين عمـارة والدهِ جمال الدين حجّي وهي اول ما عُمّر باعبيه من بيوت الامراء وعُرفت ببيت شجاع الدين. تزوَّج حسنات بنت الشيخ العلم زوجة اخيـهِ شهاب الدين بعد وفاتهِ. ورُزق منها ولدًا تقي الدين الحسين وثلاث بنات صالحة ومونة وزمردُ. ثمّ توفيت زوجتهُ فتزوج بعدها شمسةَ المعروفة بامّ نجم الدين تزوَّج بها في سادس جمادى سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م) ورُزق منهـا مؤمنة وهي الامُّ (١ رحمهم الله تعالى. وكانت وفاة شجاع الدين نهـار الاحد رابع عشر جمادى الاولى سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م) ولم اقف لهُ على مَولد. وكانت وفاة المذكور في ايَّام ناصر الدين الحسـين ورثاهُ (78r) بهذه الابيات (٢ :

قد زرتُ قبركَ يا ابن عمّ مسلِّمًا ولهُ الزيارة من اقـل الواجبِ
ولو استطعتُ حملتُ عنـك ترابهُ ولطالمـا عني حملتَ نوائبي
ودمي فلو اني علمت بانهُ يروي ثراكَ سقاهُ صوبُ الصائبِ
لسفكتهُ اسفًا عليـك وحسرةً وجعلتهُ بمكان دمعي الساكبِ

ورثاهُ بقصيدةٍ أُخرى وامر ان تعلّق على باب بيتهِ اوَّلها:

لقد اوحشتْ هذه المنازل بعدكم وكان عليها هيبةٌ ووقارُ

---

١) لعلّ المؤلف اراد انّها امّهُ

٢) اقتصرنا بالقليل منها لكثرة اغلاطها وتصحيفها

ذكر اخيهم الامير شمس الدين عبد الله ابن جمال الدين حجّي

وهو الثالث من اولاد جمال الدين (١. كان احد الامراء الذين اسرهم الفرنج ليلة نزولهم على الدامور وكان قتلهم لاخيهِ فخر الدين عبد الحميد في تلك الليلة وهي ليلة الاربعاء الثامن من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣م) واقام في الاسر خمسة ايَّام ثمَّ استفكُّوهُ بمبلغ ثلاثة آلاف دينار صوري (٢ على يد ناصر الدين الحسين وسنذكر ان شاء الله تعالى كيف اسرهُ الفرنج في ترجمة اخيهِ عبد الحميد بعد هذه الترجمة. وتزوَّج عبد الله المذكور ابنة سيف الدين غلَّاب بن معن وغلَّاب هذا كان والدهُ علم الدين سليمان الرمطوني الآتي ذكرهُ ان شاء الله. وعبد الله كان ركبتهُ ديونٌ كثيرة على ما ذُكر وربَّما كان ذلك في وقت أسرهُ الفرنج. وربَّما كان عليهِ ديون سلفًا لناصر الدين الحسين لانَّ ناصر الدين اخذ اقطاع عبد الله بعد وفاتهِ واعطاهُ اخاهُ علاء الدين عليّ ابن سعد الدين وكان لعبد الله خلفٌ أَحقّ واولى من علاء الدين المذكور. ولم اقف لعبد الله على تاريخ وفاة ولكن يُستدلّ على تاريخ وفاتهِ من منشور علاء الدين. وتاريخ هذا المنشور العشرون من ربيع الاوَّل سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠ م) جهات اقطاعهِ بامرة اربعة (79r) نصف

١) جاء في حاشية للمؤلف: «كان يجب ذكر عبد الله قبل اخيهِ شجاع الدين لانَّهُ ثالث ولد جمال الدين وشجاع الدين هو الرابع فحصل السهو في ذلك. وفي المنشور المذكور تعيَّنت سنة وُفاة عبد الله وهي السنة عشرين وسبعمائة (١٣٣٠ م)

٢) الدينار الصوري ضُرب في صور في ايَّام الدولة الفاطميَّة وكان من الذهب يساوي نحو خمسة عشر فرنكًا من النقود الحاليَّة

قدرون ونصف رمطون ونصف طردلا ونصف عين كسور

واسماء اولاد عبد الله: مُحيي الدين محمود ومجير الدين محمد. وجلال الدين وأُمهم ابنة غلّاب

ذكر اخيهم الامير فخر الدين عبد الحميد ابن جمال الدين حجّي

هو خامس ولد جمال الدين. كان لهُ ولاخيهِ عبد الله اوشيّة وزراعة بالدامور وكانوا يباشرون فُدُنَهم وزراعتهم بها. فلمَّا كانت ليلة الاربعاء الثامن جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣ م) جلس الاخوان يتحادثان فقال عبد الله: انا خائف من نزول الفرنج علينا فيأخذونا أسرى. فقال عبد الحميد وهو لم يعلم ما قُدّر لهُ في الغيب: انا والله لا اسلِم نفسي اليهم ولا ادعهم يأخذونني اسيرًا. وكان الاخوان نويا صيد الحجَل وتواعدا مع اخوتهم ان يحضروا اليهما في الداموز سحرًا ليتوجَّهوا الى الصيد. فنزلت الفرنج في تلك الليلة وطرقوا عليهما الباب فظنَّ الاخوان انَّهم الجماعة المتواعدون للصيد فصرخا: ما حلَّ الآن وقتُ التوجُّه لصيد الحجل. فقال الفرنج: نعم حلَّ. وفتحوا الباب فاخذوا عبد الله اسيرًا ومانع عبد الحميد عن نفسهِ حتى قُتل تمسُّكًا بقولهِ لاخيهِ في اوَّل الليل لئلَّا يحنث في قسَمهِ. وبعد قتلهِ عرفهُ الفرنج فندموا على فعلهم (١. وقال كبير الفرنج: «خيرُ والدِ هذا وخيرهُ في باطيْ» (كذا). وقُتل مع عبد الحميد مجاهد بن ابي حسن وابن عمّ مجاهد ومعتب ابن ابي المعالي والحسين اخوهُ (79ᵛ) من اهل ادميث. وبقي شمس الدين عبد الله معهم خمسة ايَّام ثم باعوهُ بالقرب من خلدا كما ذكرنا. ومعرفة الفرنج لعبد الحميد

١) راجع كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان ص ٢٣٤

بعد قتلهم لهُ تدلُّ على انَّهم كانوا من فرنج الساحل قبل فَتحهِ والله اعلم. وربَّما بالغوا في ثمن فدية عبد الله لمعرفتهم بهِ



فصل من هذا الباب

ويجب بعد ذكرنا الاخوة الخمسة اولاد جمال الدين حجّي ان نذكر اولادهم تبعاً لذكرهم ليكون ذكر الابناء تالياً لذكر الآباء ولمعاصرتهم ناصر الدين الحسين

ذكر حسام الدين عبد القاهر ابن شهاب الدين احمد ابن جمال الدين حجّي

كان رجلًا عاقلًا حازم الرأي رغب في الدنيا فنال منها جانباً كبيرًا وسُمّي بتاجر البيت وهو الذي عمر العلّيَّة المعروفة بهِ وما تحتها وما حولها وهي العلّيَّة التي تقدَّم ذكرها فقلنا انَّهُ عمَّرها في وجه عمارة ناصر الدين الحسين. وتزوَّج حسام الدين عبد القاهر ضاجعة بنت فارس الدين معصاد ابن عزّ الدين فضائل في حادي عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة (١٣٢٣م). ثم توفيت وتزوَّج بعدها اختها شمسة بنت معصاد وهي امُّ ولدهِ نجم الدين محمد واشتهرت بامّ نجم الدين وكانت زوجة اخيهِ جمال الدين حجّي ابن شهاب الدين احمد الآتي ذكرهُ تِلوَ هذه الترجمة ان شاء الله تعالى. وكان زواج حسام الدين لشمسة زوجتهِ الثانية في الرابع والعشرين من الربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٨م). وكانت وفاتهُ في نهار الجمعة التاسع من شوَّال سنة ثلث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢م). وخلفهُ ابنهُ نجم الدين محمد ولم يعش طويلًا بعد والدهِ وقد رأيتُ باسمهِ حجَّة بخطّ عزّ الدين جواد ابن علم

الدين مكتوبة بعد وفاة والدهِ حسام الدين تاريخها شهر رجب سنة ستّ واربعين وسبعمائة (١٣٤٥م). والظاهر انَّ نجم الدين محمَّد لم يعمّر ولم اعرف من امرهِ شيئًا (80^r)

ذكر اخيهِ جمال الدين حجّي ابن شهاب الدين احمد

كان عندهُ معرفة وفصاحة ولم ينشأ في البيت اقوى قريحةً منهُ في نظم الشعر وسُمّي شاعر البيت تزوَّج شمسة بنت فارس الدين معصاد فلمَّا توفي عنها تزوَّجها اخوهُ حسام الدين كما سبق. وشمسة المذكورة هي الجدَّة (١ امّ الوالدة. اخبرتني عن جمال الدين حجّي المذكور انَّهُ كان في بعض لياليهِ بعد اضّجاعهُ على الفراش للنوم ينظم ارتجالًا ابياتًا عديدة من غير ان يكتبها ولم اقف على تاريخ وفاتهِ. ولكن توفّي قبل اخيهِ حسام الدين عبد القاهر. اخبرني الامير ناصر الدين محمد ابن جمال الدين المذكور انَّ اباهُ توفّي مقتولًا قتلهُ اخوهُ حسام الدين بغير تعمُّد. وكان الاخوان خرجا الى الصيد فاراد احدهما ان يرمي خنزيرًا بسهم نشَّاب فصادف السهم اخاهُ فقتلهُ وكتموا الامر عن زوجتهِ شمسة بنت معصاد واظهروا لها انهُ وقع عن فرسهِ. وتزوَّجها حسام الدين وعاشت بعد هذه الكائنة زمنًا طويلًا ثمَّ توفّيت ولم تعلم بالامر ولم يتكلّم ناصر الدين محمَّد بذلك الى بعد وفاتها (81^v) (٢

١) يريد المؤلف انَّها جدَّتهُ

٢) هنا في النسخة الاصلية ورقة بيضاء لم تكتب كانَّهُ سقط من الاصل صحيفة وكذلك ينقص من ارقام الكتاب رقمان الَّا انَّنا لم نجد خللًا في المعنى بين آخر صفحة (80^r) واول صفحة (81^v)

ذكر اخيهما فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين

هو اصغر اولاد ابيهِ كان حسن السيرة محبوبًا عند اقاربهِ وكان ناصر الدين الحسين ناظرًا اليهِ فزوَّجهُ ابنتَهُ وعمَّر لهُ العليَّة والبيت التي تحتها وهي ملاصقة لعمارة ناصر الدين الى جهة الشمال بغربٍ وتُعرف الآن بعليَّة حسام الدين علي ابن عبد الحميد. وتوفي عبد الحميد الصبح من نهار الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧ م). واسماء اولادهِ شهاب الدين احمد سميّ جدّهِ وحسام الدين عليّ. واسماء بناته الكبيرة منهنّ «ستّ الجميع» امرأة بدر الدين موسى ابن زين الدين ابن ناصر الدين الحسين. والثانية زمرُّد امرأة جوبان بن ارسلان. والصغيرة نجيمة امرأة سيف الدين مفرج ابن جمال الدين احمد ابن سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف العرموني. واُمهم بنت ناصر الدين الحسين

ذكر صفي الدين الحسين ابن شجاع الدين عبد الرحمان ابن جمال الدين حجّي

كان صفيّ الدين المذكور حسن الخُلق والاخلاق لطيفًا في ذاتهِ منطبعًا مع الناس كيِّس الذات ذا كرم وسماحة محبًّا للفقراء وكاتبًا بارعًا مع بلاغة. تزوَّج بنت ناصر الدين الحسين التي عاشت بعدهُ مدَّةً طويلًا ولحقت ايَّامنا وهي امّ اولادهِ. توفّي رحمهُ الله تعالى ليلة السبت من العُشر الاوسط من ربيع الآخر سنة ستّ وسبعين وسبعمائة (١٣٧٤ م). واسماء اولادهِ جمال الدين حجّي. وشجاع الدين عبد الرحمان وشمس الدين عبد الحميد (82r)



فصل من هذا الباب

قلتُ وموجب تأخيرنا لذكر اولاد نجم الدين محمد وهو اكبر ابناء جمال الدين حجّي انَّهم صاروا بيتًا منفردًا وسمُّوا بأمراء عيناب فلهذا اخّرناهم ليكون لهم ذكر خاصّ لانفرادهم عن اخوتهم

ذكر اولاد نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين حجّي

وهم الامراء بعيناب وكانوا اربعة اخوة وابوهم من بيت كباس من معيسنون. فالاوَّل منهم سيف الدين ابراهيم ابن نجم الدين كان مشكور السيرة حسن السياسة وافر العقل مشكورًا عند اهل زمانهِ بعد ذمّ الناس لابيهِ. وجهات اقطاعهِ ربع بطلون. وربع الطغرانيَّة ونصف القُبَيّ ونصف بجوَّارة ونصف معيسنون وربع الدُوَير ونصف مزرعة اقطو(١. وفاتهُ رحمهُ الله نهار الجمعة الثاني عشر من ربيع الاوَّل سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢م). وصار اقطاعهُ الى ولدهِ صلاح الدين خليل: فلمَّا توفّي خليل صار اقطاعهُ الى سيف الدين ابراهيم بن خليل واستمرّ بيـدهِ الى ايَّامنا فنزل عنهُ للامير عزّ الدين حسن ابن ظهير الدين عليّ بن جواد

والثاني من اولاد نجم الدين محمَّد جمالُ الدين يوسف وكان لهُ ولد اسمهُ عزّ الدين

والثالث من اولاد نجم الدين عماد الدين اسماعيل وكان لهُ ولد اسمهُ مجد الدين حسن وولد (82ᵛ) مجد الدين ابنًا اسمهُ شهـاب الدين احمد واحمد هذا باع اقطاعهُ للامير ظهير الدين علي بن جواد ابن علم الدين الرمطونيّ وذلك قبل تنزّل سيف الدين ابراهيم بن خليل عن اقطاعهِ لعزّ

١) وفي تاريخ الاعيان ص ٢٣٤: رُبع اقطو

الدين الحسين ابن ظهير الدين بسنين كثيرة. ومن الاثنين المذكورين بطلت الإمرة من عيناب وكانت قد استكملت بيد عزّ الدين زيادةً على ما كان بيدهِ من الاقطاع فانَّ اقطاع والدهِ ظهير الدين كان قد اتّصل اليهِ بعد وفاتهِ بما كان فيهِ من صنيع شهاب الدين احمد بن حسن ثم استكمل عزّ الدين النصف الثاني من سيف الدين ابراهيم لأنَّهُ كانت إمرة عيناب بيد شهاب الدين احمد وبيد سيف الدين ابراهيم مناصفةً دون اقاربهما بعيناب. ثم بعد ذلك ترل عزّ الدين عن بطلّون والطغرانيَّة وبجوَّارة لمبادل بن موسى المعروف بابن الحمراء

والرابع من اولاد نجم الدين نورُ الدين محمود وهو اصغر اولادهِ ورزق نور الدين محمود ولدين وهما عزّ الدين حسن ومعين الدين محمد وكان نور الدين حسن السيرة واعطى امرتهُ بعض اقاربهِ

وهكذا جعلنا ذكر ذريَّة جمال الدين حجّي بن محمد يتلو بعضها بعضاً ولم ندخل بينهم ذكر غيرهم. فلنرجع الآن الى ذكر الامراء بعرمون (83r)

ذكر الامراء بعرامون

وهم من الطبقة الثانية ومن المعاصرين لناصر الدين الحسين. امَّا الذين عاشوا بعد زمانهِ فنؤخّرهم ونذكرهم في موضعهم

ذكر الامير سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين صالح بن علي

كان اميرًا حسن السيرة مبجّلًا من الناس مشكورًا عندهم محبوبًا اليهم ذا كرمٍ وحشمة. جبات اقطاعه بامريّة عشرة (١ : نصف عيتات

١) راجع اخبار الاعيان ص ٢٢٣

ونصف دفون ونصف مجدلياً ونصف شملان ونصف عين درافيل وثُلث بتاثر ونصف سرحمُّور وثلث عيناب وثلاث قطع ارض في العمروسيّة وثلث كفرعميه وثلث حصّة الملك في خلدا ومن الفريديس فدّان. وعمَّر [لهُ] ناصر الدين الحسين القبو الذي في الداش الى جهة الشرق وعمَّر ايضاً المجلس الجنوبيّ والاسطبل فرفعهُ سيف الدين وعمَّر عليهِ الطبقة التي فوقهُ. وكانت امّ سيف الدين مفرج زينَ الدار ابنة سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمَّد وهي اخت ناصر الدين الحسين. وتزوَّج سيف الدين ياقوتة ابنة ناصر الدين الحسين في السابع عشر من ربيع الاوَّل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩م). ونقلتُ عن خطّ ناصر الدين الحسين (83^{v}): « انّ سيف الدين توجّه الى دمشق في جهاز ولدهِ شمس الدين محمَّد اكبر اولادهِ فمرض بها اربعين يوماً وطلب المجيء فتوجه اليهِ اخوهُ عماد الدين موسى وخالهُ عزّ الدين حسن ابن سعد الدين وأحضروهُ في محفَّة الى المغيثة وحُمل على اكتاف الرجال الى عرامون واقام بها مريضاً يتعلَّل ويرجوهُ اهلهُ الى ان اشتدَّ عليهِ المرض وتوفّي الى رحمة الله في نهار الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٧ م) وكان عزاؤهُ عظيماً لدى اهلهِ ودُفن عند جدّهِ زين الدين. وهكذا جرى لعمّهِ ناهض الدين بحتر ابن زين الدين كان امير طبلخاناة فتوجَّه الى دمشق آملًا انَّهُ يعود ويعمل عرسهُ(١ فتوفَّاهُ الله بدمشق». انتهى ما نقلناه من خطّ ناصر الدين الحسين

اسماء اولاد سيف الدين: شمس الدين محمَّد وجمال الدين احمد

١) وفي حاشية للمؤلف: « لعلَّهُ كان عرس ولدهِ شمس الدين كرامة المقدَّم ذكرهُ لانهُ ما كان تزوَّج »

وُيعرَف بالاعسر وناهض الدين عليّ وصلاح الدين خليل

وقد ذكر محمّد الغزّي في مقامتهِ الامير مفرج واولادهُ الاربعة كما سيأتي :

ذكر اخيهِ الامير عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف بن صالح بن علي

كان رجلًا دّينًا خيّرًا محمود السيرة مشهورًا بالجودة والديانة . وكانت امهُ زين الدار (84^r) المذكورة في ترجمة اخيهِ قبلهُ . وكان خالهُ كثير المحبّة لهُ والاعتناء بامرهِ فزوّجهُ بنتهُ لؤلؤة في رابع عشر جمادى سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧م) وتُوفيت في الخامس والعشرين ذي الحجّة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢م) . وكان لها اخت صغيرة في المهد فكان عند عماد الدين موسى من حفظ المودّة لخالهِ ناصر الدين انّهُ ترك الزواج ووقف ينتظر الصغيرة حتى كبرت فتزوّجها وكان اسمها صادقة وتزوَّجها في ثامن شهر ربيع الاول سنة ستّ وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٥م) . وكانت وفاتهُ ضحوة نهار الثلاثاء في الرابع والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وستين وسبعمائة (١٣٦٧م) . اولادهُ نجم الدين محمّد وبدر الدين حسن

ذكر ابن عمّهما الامير عزّ الدين حسين ابن شرف الدين عليّ بن صالح بن علي

عزّ الدين كان حقّهُ ان يتقدّم على عماد الدين موسى ولكن قدّمنا هذا ليكون تابعًا لذكر اخيهِ سيف الدين مفرج ولا نفرق بينهما . وكان عزّ الدين حسين رجلًا وافر العقل كريمًا مشكورًا بين الناس محبوبًا عند الجميع . جهات اقطاعهِ بامريّة عشرة : نصف عيتات ونصف دفون ونصف شملال ونصف مجدليًّا وثلث عين عنوب ونصف سرحمّور ونصف عين

درافيل وثلث بتاثر وثلث عيناب وثلاث قطع ارض بالعمروسيَّةِ وثُلثِ حصَّة الملك بجلدا وثلث كفرعمَّيه ومن الفريديس من صيداء فدَّان. وهذا الاقطاع قسمة اقطـاع سيف الدين مفرج (84 ٧) وتزوَّج عزّ الدين غالية بنت ناصر الدين الحسين في سابع عشر من محرَّم سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٨م) ووفاته رحمهُ الله تعالى نهار الاحد خامس ذي القعدة من سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٩). ودُفن نهار الاثنين في تربتهِ بعرامون. اسماء اولادهِ علاء الدين (١ وشرف الدين عليّ وبدر الدين يوسف .

وقد ذكر محمَّد الغزّي في مقامتهِ الامراء بعرامون الذين كانوا في ايَّامهِ وهما سيف الدين مفرج وعزّ الدين حسين ذكرهما في جمـلة اقارب ناصر الدين الحسين عند ما فرغ من ذكر ناصر الدين فقال: «امَّا بنو عمّهِ الكاشفو كربهِ وغمهِ. ليوث الحرب. وغيوث الكرب. سادات الامراء وامراء السادات. الذين عُرفوا بالهيبة والهبات. الجنـاب السيفي مفرج الكرب كاسمهِ بجدّ لقبهِ (٢. المأثور بشمس جمالهِ. الناهض بصلاح حسبهِ ونسبهِ.

والجناب العزّيُّ (٣ اعزّ الله باحسان عُلاهُ حُسن معاليـهِ. وادام لشرفـهِ سعادة ايَّامهِ ولياليهِ. فهما شمسهُ وصبحهُ. وسيفهُ ورمحهُ. تناولا من المجد رايتهُ. وبلغا من الشرف غايتهُ:

لله درُّهما ودرُّ بنيهما فهما اللذان لعُرب طيٍّ جمَّـلا

١) كذا في الاصل دون ذكر اسم علاء الدين. وامَّا ابن سباط فانَّهُ ذكر لقبهُ بدلًا من علاء الدين «ناهض الدين»

٢) في هذا اشارة الى لقب الامير مفرج بسيف الدين

٣) يريد عزّ الدين واولادهُ

ليثا ردًى غيثا ندًى نجما هدًى   بدرا دجًى شمسا ضحًى أفقا علي

والجناب العلَمي (١ قديم هجرة الجماعة . الموسوم بكرم النفس والشجاعة . أُفق (85r) النجوم الزاهرة . وابو الاشبال الكاسبة الكاسرة . اميرٌ لهُ من سيفهِ عزٌّ رفيعٌ . ومن بهائهِ ركنٌ منيعٌ (٢

علَم لهُ عملٌ هلالُ صلاحهِ   هادٍ مؤملهُ لهُ الآمالُ (٣

اسدٌ لهُ الاولادُ أُسدٌ ما لها   الّا الصوارمُ والرماحُ دُحالُ

ومن المقامة المذكورة ايضاً في مكانٍ بعد هذا :

ان تخشَ بأساً او ترجُ بذلَ ندًى   مضاعف المنّ غير ممنونِ

فلُذْ بارضٍ جنابُها حرمٌ   ما بين اعبيهِ وعرامونِ



ذكر علم الدين الرمطونيّ وهو من الطبقة الثانيـة

نورد هنا ذكرهُ وذكر اولادهِ المعاصرين لناصر الدين الحسين . وامّا المتأخّرون من ذرّيتهِ فنذكرهم ان شاء الله تعالى فيما بعد بحسب ما نرتّبهُ وبالله التوفيق

هو الامير علَم الدين سليمان ابن سيف الدين غلاّب ابن علم الدين معن بن معتب ابن ابي المكارم ابن عبد الله بن عبد الوهّاب بن هرماس

١) اعني علم الدين الرمطوني

٢) جاء في الهامش : « يشير الى اولاد علم الدين الاربعة : سيف الدين غلّاب وعزّ الدين جواد وبهاء الدين داوُد وركن الدين

٣) هذان البيتان حروفهما غير منقوطة

ابن طريف. ورأيتُ في خطوط بعض المتقدّمين في الهجرة انَّ هرماس هو ابو طارق الذي تنسب اليـهِ الطلاسم(١ فَخْذ من آل عبد الله. ثمّ رأَيتُ ايضًا انَّ هرمس مجمع الخلف من طردلا وعين كسور ولم أَرَ لهذا النسب ذكرًا غير هذا الذكر. وسمعتُ بعض المتقدّمـين في الهجرة (85ᵛ) يؤيد هذا القول الذي ذكرناهُ ويرّجحهُ والنقل امانةٌ فنقلنـا ما سمعنا ورأينا ونسأَل الله المسامحة

وقد اجمع القول على انَّ علم الدين المذكور لم ينشأْ في بيتهم مثلـهُ مع انَّ اجدادهُ كانوا امجادًا شُكروا في زمانهم. وكان والدهُ سيف الدين غلَّاب وعمَّاه عبد المحسن وكرامة اولاد علم الدين معن ساكنين في غربيّ اعبيه الى جهـة الشمال. ومُوجب تزولهم الى رمطون انَّما كان نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين لمَّا انتصب لهم بالعداوة فرحل سيف الدين غلَّاب وعبد المحسن الى رمطون وتخلَّف عنهما اخوهما كرامة لكونهِ حلف انهُ لا يرحل عن وطنهِ فاستمرَّ باعبيه. فلمَّا نزل غالب وعبـد المحسن الى رمطون سكنا في شرقيِّها بميلةٍ الى جهـة الجنوب فلمَّا استقرَّ بهما السكن برمطون توجَّه نجم الدين محمَّد بجماعة الى رمطون وقصد إحراقها فدخلت عليهِ عمَّتهُ وسأَلتـهُ الكفَّ عن ذلك فاجاب سؤلها (٢ وكانت عمَّتهُ بنت نجم الدين محمـد بن حجّي ابن كرامة وكانت زوجة سيف الدين غلَّاب

١) يريد هرمس الفيلسوف اليونانيّ الذي نُسبت اليهِ الطلاسم والارصاد. وفي قول المؤلف عن نسبهِ ما يخالف التواريخ الراهنة. وقد جاء في هامش الكتاب ما هو اقرب الى الصواب قال: «ولعلَّ هرمس هذا هرمس آخر قديم غير هرمس جدّ علم الدين المذكور»

٢) راجع ص ١٨٥

ليثا ردًى غيثــا ندًى نجما هدًى بدرا دجىً شمسا ضحىً أُفقا عُلى

والجنــاب العلَميّ (١ قديم هجرة الجماعة . الموسوم بكرم النفس والشجاعة . أُفق (85r) النجوم الزاهرة . وابو الاشبال الكاسبة الكاسرة .
اميرٌ لهُ من سيفهِ عزٌّ رفيعٌ . ومن بهائهِ ركنٌ منيعٌ (٢

علَم لهُ عملٌ هلالُ صلاحهِ هادٍ مؤملهُ لهُ الآمالُ (٣
اسدٌ لهُ الاولادُ أُسدٌ ما لها الّا الصوارمُ والرماحُ دُحالُ

ومن المقامة المذكورة ايضاً في مكانٍ بعد هذا :

ان تخشَ بأساً او ترجُ بذلَ ندًى مضاعف المنّ غير ممنونِ
فلُذْ بارضٍ جنابُها حرمٌ ما بين اعبيهِ وعرامونِ



ذكر علم الدين الرمطونيّ وهو من الطبقة الثانيــة

نورد هنا ذكرهُ وذكر اولادهِ المعاصرين لناصر الدين الحسين . واماَّ المتأ ّخرون من ذرّيتهِ فنذكرهم ان شاء الله تعالى فيما بعد بحسب ما نرتّبهُ وبالله التوفيق

هو الامير علَم الدين سليمان ابن سيف الدين غلاَّب ابن علم الدين معن بن معتب ابن ابي المكارم ابن عبد الله بن عبد الوهّاب بن هرماس

١) اعني علم الدين الرمطوني
٢) جاء في الهامش: « يشير الى اولاد علم الدين الاربعــة : سيف الدين غلّاب وعزّ الدين جواد وبهاء الدين داوُد وركن الدين
٣) هذان البيتان حروفهما غير منقوطة

ابن طريف. ورأيتُ في خطوط بعض المتقدّمين في الهجرة انَّ هرماس هو ابو طارق الذي تنسب اليـهِ الطلاسم(١ فَخْذ من آل عبد الله. ثمّ رأيتُ ايضًا انَّ هرمس مجمع الخلف من طردلا وعين كسور ولم أرَ لهذا النسب ذكرًا غير هذا الذكر. وسمعتُ بعض المتقدّمـين في الهجرة (85) يؤيد هذا القول الذي ذكرناهُ ويرجّحهُ والنقل امانةٌ فنقلنـا ما سمعنا ورأينا ونسأل الله المسامحة

وقد اجمع القول على انَّ علم الدين المذكور لم ينشأ في بيتهم مثلـهُ مع انَّ اجدادهُ كانوا امجادًا شُكروا في زمانهم. وكان والدهُ سيف الدين غلّاب وعمّاه عبد المحسن وكرامة اولاد علم الدين معن ساكنين في غربيّ اعبيه الى جهـة الشمال. ومُوجب تروّلهم الى رمطون انّما كان نجم الدين محمّد ابن جمال الدين لمّا انتصب لهم بالعداوة فرحل سيف الدين غلّاب وعبد المحسن الى رمطون وتخلّف عنهما اخوهما كرامة لكونهِ حلف انهُ لا يرحل عن وطنهِ فاستمرَّ باعبيه. فلمّا نزل غالب وعبـد المحسن الى رمطون سكنا في شرقيّها بميلةٍ الى جهـة الجنوب فلمّا استقرَّ بهما السكن برمطون توجّه نجم الدين محمّد بجماعة الى رمطون وقصد إحراقها فدخلت عليهِ عمّتهُ وسألتـهُ الكفَّ عن ذلك فاجاب سؤلها (٢ وكانت عمّتهُ بنت نجم الدين محمـد بن حجّي ابن كرامة وكانت زوجة سيف الدين غلّاب

١) يريد هرمس الفيلسوف اليونانيّ الذي نُسبت اليهِ الطلاسم والارصاد. وفي قول المؤلف عن نسبهِ ما يخالف التواريخ الراهنة. وقد جاء في هامش الكتاب ما هو اقرب الى الصواب قال: «ولعلَّ هرمس هذا هرمس آخر قديم غير هرمس جدّ علم الدين المذكور»

٢) راجع ص ١٨٥

ثمَّ بعد ذلك نشأ علم الدين سليمان المذكور وعمَّر العمائر المعروفة غربيّ رمطون وهي الى وقتنا هذا تُعرف بعمارة علم الدين وربَّما كانت عمارتهُ لها مماثلة لعمائر السلَف التي عمَّروها باعبيهِ. واوَّل من شيَّد العمارة وحسَّنها هو زين الدين ابن عليّ بعرامون فنسج السلف على منوالهِ

وبالجملة كان علم الدين رجلًا جليل القدر عظَّمهُ الناس ونظروهُ بعين الوقار وكان مشهور بقوَّة (86r) النفس والحدَّة بالحقّ والغلظة على الباطل. وكان ناصر الدين الحسين يعتني بامرهِ واذا قعد في مجلس يجتمع فيهِ الناس لا يقدّم احدًا على شجاع الدين عبد الرحمان ابن عمّهِ وعلى علَم الدين المذكور. وكان يُقعد شجاع الدين عن يمينهِ وعلمَ الدين عن شمالهِ واقاربَهُ تحتهم كلٌّ منهم في منزلتهِ. وكان ناصر الدين يخلع على علَم الدين الاكسية وغيرها

ولا اعرفُ احدًا من سلَف علم الدين صارت اليهِ إمرةٌ او نال اقطاعًا سواهُ. وذلك انَّ ناصر الدين الحسين لمَّا تولَّى على امرة شمس الدين كرامة ابن ناهض الدين بحتر كما ذكرنا نزل عن اقطاعهِ العتيق واستمرّ على الامرة الجديدة. والاقطاع الذي نزل عنهُ هو ربع قدرون وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور ونصف عاليه ونصف الدُّوَير ونصف الخريبة وعيتا واللباني ونصف قطعة ارض في قرتيه بالساحل ونصف الصباحيَّة من درب المغيثة وخمس قرايط. وذلك قسمة اقطاع عزّ الدين اخي ناصر الدين الحسين

وكان نزول ناصر الدين عن هذه الجهات لعلم الدين المذكور في شهر محرَّم سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٨ م) وفي الرُّوك سنة ثلاث عشرة وسبعمائة (١٣١٣ م) استقرَّت هذه الجهات بامرة خمسة فناصر الدين

هو الذي أمَّر علم الدين المذكور ولم يكن في سلف علم الدين اميرٌ غيره. وكان علم الدين جليل القدر مهاباً من اهلهِ وكلمتهُ فيهم نافذة وامرهُ مطاع.

وسمعتُ (86v) من غير واحدٍ ان علم الدين كان اذا عطس برمطون يسمعهُ الشيخ العلَم بكفر فاقود فيقوم ويقول: « يرحمك الله ». وما ذاك الّا لانَّ علم الدين كان كثير الجلوس في اسطوان تجاه اسطوان الشيخ العلم بكفر فاقود وكان هذا يعرف حِسَّ عطستهِ دون عطسة غيرهِ. وكان يفعل ذلك تعظيماً لقَدْر علم الدين ولجلالًا لهُ

(قلتُ). اربعةٌ لقَّبهم الناس بالكبير تمييزًا لهم من غيرهم عندما كثرت الالقاب وتشابهت بالقاب الاربعة المذكورين وهم: حجّي بن محمد ابن حجّي تلقَّب بجمال الدين الكبير. واخوهُ خضر بن محمَّد تلقَّب بسعد الدين الكبير. وولدهُ الحسين ناصر الدين الكبير. وعلم الدين الرمطوني تلقب بعلم الدين الكبير. ولعلم الدين شعر رقيق. فمنهُ (١:

قنعتُ من ربّي بحسن العملْ   هذا هو القصدُ وكلُّ الاملْ

١) هنا في الاصل ثلاث صفحات من نظم علم الدين الّا ان اكثرهُ مكسَّر ومشحون باغلاط لغويَّة لا تُصلح الّا بتغيير الابيات كقولهِ مثلًا وهو اوَّل ما دوِّن من شعرهِ :

يا سيِّدي والهي   انت العليمُ بحالي
يا من اليهِ مصيري   ومن عليهِ اتكالي
ارحم لضعفي و إرثي   لذلّتي وانتحالي
ولا تؤاخذ لعبدٍ   اضحت ديونهُ ثقالٌ (؟)

وما بعد هذه الابيات دون هذا النظم فلم نرَ فائدةً في ذكرهِ وانما اثبتنا منهُ قطعة واحدة حسنة

إنْ قلّت الدنيا وقلّ العنا فالاصلُ عند الله خيرُ العملْ
يا معشر الناس فلا تفعلوا فالموت والعرضُ بحكمٍ عجلْ
واستيقظوا قبل حلول القضا واستعملوا الخوفَ وكبرَ الوجَلْ
واستدركوا فارطَ ما قد مضى من سوء نيّاتٍ وعظم الخَلَلْ (87r)

ومدح الشعراء علَمَ الدين المذكور بقصائد عديدة لم يتهيّأ ذكرها وكان مقصدًا للناس مشهورًا عند اهل الفضل مشكورًا بينهم. مولدهُ نقلًا عن خطّ السلَف نهار الاثنين تاسع عشر محرَّم سنة ثلاث وسبعين وستمائة (١٢٧٤ م) ووفاتهُ نقلًا عن خطّ ناصر الدين الحسين العصرَ من نهار الخميس السابع من شهر رجب سنة ستّ واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م). وامرأة علَم الدين من كنيسة بني حمام. وكذلك زوجة ولدهِ غلّاب كانت من الكنيسة المذكورة وامّ سليمان بن غلّاب هي بنت محمّد بن محمد بن حجّي بن كرامة بن بحتر وهي اخت زوجة زين الدين ابن علي العراموني

ثمّ نذكر من بعد علم الدين اولادهُ الاربعة. وامّا اختهم فهي صادقة زوجة زين الدين الجدّ ١)

ذكر ولدهِ سيف الدين غلّاب ابن علم الدين سليمان

هو اوّل اولادهِ كان جيّدًا خيّرًا ذا فضل ودين محبًّا لاهل الخير وكتابتهُ مليحة جدًّا بقلم النسخ. وامّا الثلث والرقاع فكان يقارب بهما المنسوب. وكان يتّبع طريقة ابن البوّاب ولم يكتب احدٌ في البيت بقلم

١) راجع الصفحة ١١٤

النسخ احسن منهُ سوى عزّ الدين جواد ولم اعلم على من كتب من المشايخ لأنَّهُ ما كان يتردَّد الى خطيب بعلبك كتردُّد اخيهِ عزّ الدين جواد. مولدهُ نهار الاربعاء خامس ربيع الآخر سنة احدى وسبعمائة (١٣٠١ م)

وقد وقفتُ على ورقة من سيف الدين غلَّاب المذكور الى ناصر الدين تدلُّ على انَّ ناصر الدين كان لهُ قصد بالاقطاع المخلَّف من علم الدين والدهِ . ومن مضمون الورقة انَّ ناصر الدين هو الذي تصدَّق بالاقطاع على والدهِ وما كان عليهِ . والظاهر انَّ ناصر الدين تخلَّى عن الاقطاع المذكور وجعلهُ سيف الدين غلَّاب لاخيهِ عزّ الدين جواد ولم يأخذ منهُ غلَّاب شيئًا

وامرأة سيف الدين غلَّاب من كنيسة بني حمام ايضًا (٧89)



ذكر اخيهِ الامير عزّ الدين جواد ابن علم الدين سليمان

هو ثاني ولد علم الدين. كان حسن الشكل ذا ذكاء ومعرفة لم ينشأ في وقتهِ احدٌ مثلهُ في جمعهِ للصنائع وكتابتهِ المنسوبة. وقد رأينا من ذلك اشياء حسنة مُتقنة تدلُّ على فضلهِ كتب على الشيخ بهاء الدين محمود ابن محمَّد خطيب بعلبك شيخ البلاد الشاميَّة بكتابة المنسوب الفائق فاتَّبع طريقتهُ وجاراهُ في قلم الطومار (١ حتى انَّهُ لا يكاد يُعرف

١) الطومار الصحيفة ويراد بها هنا نوع من الكتابة كالثُّلُث

من طومار شيخهِ. ولهُ اختراعات لم يسبقهُ اليها غيره (١ منها انَّهُ كتب آية الكرسي (٢ على حبَّة أرزّ وشاهدتُها عياناً. ورأيتُ في آخر الآية: «كتبهُ جواد». والكاف مجلَّس والكتابة واضحةٌ قراءتُها ولم يَغلق منها عليَّ شيء.

واخبرني غير واحدٍ منهم مَن لحق ايَّام جواد قال: انَّ جندياً بدمشق حدَّث في مجلس حافل بالاكابر انَّ جواداً يكتب آية الكرسي على حبَّة ارزّ فلم يصدقوهُ فركب من دمشق في اوان مطر وثلج الى رمطون في طلب حبَّة أرزّ عليها آية الكرسيّ. فوجد عزّ الدين غائباً عن رمطون في مزرعة إدميث من الشوف يشارف زراعتهُ بها. فتوجَّه الجندي اليهِ ولم تكن عندهُ بادمث آلة كتابتهِ فارسل احضر آلة الكتابة من رمطون وكان قد اتاهُ ارزٌّ من الحولة موافقٌ للكتابة فكتب في ذلك اليوم على عدَّة حبوبٍ آية الكرسي. (قال الجنديّ) : وقال عزُّ الدين جواد: لم توافقني كتابة على ارزّ احسن من ذلك اليوم (89r) وكان ذلك من بَخت الجندي

١) كلُّ ما ورد هنا عن حذق عزّ الدين رواهُ عنهُ ابن سباط بحرفهِ في تاريخهِ وصدَّر روايتهُ بقولهِ: «ذكر لي صالح بن يحيى انَّهُ شاهد ذلك عياناً وقال لي . . .» وهذا دليل واضح على انّ مؤلف تاريخ بيروت كان في اواخر القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للمسيح (راجع مجلَّة المشرق ١ :٨٦٥)

٢) آية الكرسي وردت في سورة البقرة هذا حرفُها : الله لا اله الَّا هو الحيُّ القيُّوم لا تأخذهُ سنة ولا نوم لهُ ما في السماوات وما في الارض من ذا الذي يشفع عندهُ الَّا باذنهِ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيءٍ من علمهِ الَّا بما شاء وَسِعَ كرسيُّهُ السماوات والارض لا يؤُدهُ حفظهما وهو العليُّ العظيم

ومن اختراعاتهِ على ما قيل انَّهُ كتب مصحفًا حمائليًّا لطيف القدّ ما سبقهُ اليهِ احدٌ في الخفَّة واللطف حتى قالوا عنهُ انَّهُ كان يستوي حرزًا في الكلوتة وقدَّمهُ لنائب الشام تُنكز. ومنها انَّهُ عمل لتنكز نَدب نشَّابٍ ميداني من نوى الخرنوب فوقف عليهِ ارباب الخبرة ولم يعرفوا خشبهُ حتى عرَّفهم بهِ. وعمل فضَّة لجام وقدَّمهُ لتنكز ايضًا واستمحن الغلمان في شدّهِ وقلعهِ فلم يعرفوا ذلك حتى بيَّن لهم طريقتهُ. ولهُ اشياء كثيرة

ورأيتُ من عملهِ قواعد فولاذ نقش عليها ما يُطبع عليهِ فضَّة سيوف ولُجُم وحلي للنساء وما غير ذلك ليجري عليها مينا ويتوفر على الصائغ تعب في النقش. وكذا فعل بهرام بقوالبهِ اراح الصاغة من التعب ولكن هذه قوالب رمل يُقلب عليها في الرمل. القواعد المذكورة يُطبع عليها طبع

ومع هذا كان عند عزّ الدين قوَّة ونشاط وعقل. رأيتُ مُخلَ حديدٍ ثقيل لقَلب الحجارة الكبار ذكروا عنهُ انَّهُ كان يقيس من طرفهِ الرقيق شبرًا ويقبض عليهِ فيرفعهُ الى فوق رأسهِ ويُنزلهُ بسكون وهدوء من غير رِكز. وقد قصد جماعة من المنسوبين ان يفعلوا بالمُخل المذكور ما فعلهُ عزّ الدين جواد فما قدروا

وكان يرمي عن قوسٍ قويَّةٍ قيل انَّ قوسهُ كانت فوق القنطار الدمشقي فلمَّا توفّي اخذ قوسهُ تقي الدين ابراهيم ابن ناصر الدين الحسين. ثمَّ بعدهُ باعها ناصر الدين (89ᵛ) ابن تقي الدين لرجل يسمَّى الغتريس من قرية البرج ورأيتُ القوس المذكورة عندهُ وهي قوسٌ قويَّة زائدة في الكبر عن قسيّ الناس. ثمَّ اخذها تُنكز بغا نائب بعلبك من المذكور

وكان عزّ الدين تنكز قد تقرّب الى خاطر تُنكز نائب الشام قيل انّهُ اعطاهُ من حلق دمشق خير حلقةٍ

ورأيتُ لعزّ الدين جواد منشورًا من الملك الناصر محمَّد بن قلاوون عن حسين بن ابراهيم الاربليّ بحكم الوفاة جهاتُهُ: سُدس خارجة بلبيس الغرب من الرملة وسدس بتعان من الرملة ايضًا وسدس عين الدلب من صيداء تاريخهُ مُستهلّ جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٢ م) وهذا المنشور يأمر بتجديد جواد في الخدمة وهذا قبل اخذهِ لاقطاع ابيهِ وربّما كان هذا الاقطاع الذي اعطاهُ تنكز . وكان كاتب سرّ تُنكز يحبّ عزّ الدين جواد ويظهر لهُ الصحبة

وسمعتُ انّهُ لمّا توّفي علم الدين سليمان اراد ناصر الدين الحسين ان يجعل اقطاعهُ لسيف الدين غلّاب دون اخيهِ عزّ الدين جواد فلم يفعل غلّاب فقال ناصر الدين: نجعلهُ مناصفةً . فلم يفعل غلّاب ولم يأخذ منهُ شيئًا بل تركهُ جميعهُ لجواد مع انّ غلّابًا كان اكبر من جواد ويتقدَّم عليهِ . فاخذ جواد اقطاع ابيهِ بعدهُ خمسة اجناد وجهاتهُ المذكورة في منشور ابيهِ . وتأريخ منشور جواد في العشرين من شهر رمضان سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م)

وكان جواد كثير المخالطة مع الناس وفي وقت ضمانهِ ميناء بيروت كان يتحيَّل على الدنيا ولم (٩٠ ر) ينلْ منها غرضهُ . مولدهُ نهار مستهلّ محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥ م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى العصر من نهار الثلثاء عاشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧م) . واسماء اولادهِ ظهير الدين عليّ ولؤلؤة زوجة علاء الدين عليّ ابن زين

الدين وزمرُّد زوجة شهاب الدين ابن زين الدين واُمهما من بني عزائم وتزوَّج عزّ الدين ثلاث نساء قمرًا من اقاربهِ ثمَّ توفيت فتزوج بعدها امّ ناهض الدين وهي بنت شجاع الدين عبد الرحمان بن حجّي بن محمد بن حجّي بن كرامة. وكانت وفاتُها في السابع من شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م). ثمَّ تزوَّج بنت ابي الفضل بن سويدان من رمطون وعاشت بعد زوجها زمنًا طويلًا

ذكر اخيهما جاء الدين داود ابن علم الدين سليمان

هو ثالث اولاد علم الدين. كان ذا كرم وشطارة برَمي النشّاب مليحًا مغرًى بالصيد. وكان قد خالف سُنَّـة البيت في الزواج لاقاربهم وبنات نسبائهم ذوي الاصول. فـتزوَّج امرأَةً مجهولة تسمَّى عزيزة من بنات الاتراك. وكانت صنعتها كحَّالة. اخبرني من لحق ايامها قال: كان لها جارية مصريَّة تعقد القاف فكان الناس يضحكون من كلامها ويعجبهم سماعهُ

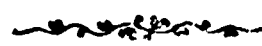
ذكر اخيهم ركن الدين محمد ابن علم الدين سليمان

هو رابع اولاد علم الدين. كان ذا لطافة في ذاتهِ ويُتقن صنعـة النجارة والخراطة. رأَيتُ من خراطتهِ قصب اقلام رَسم عملها لاخيهِ جواد وهي نهاية في الحسن واللطافة. وكان لهُ يدٌ في صناعة التطعيم وكتابة كلِّيسة

واختهم ديعة بنت علم الدين كانت زوجة زين الدين بن ناصر الدين الحسـين الآتي ذكرهُ بعدهم وعمُّهم نور الدين مجلي ابن سيف الدين غلَّاب. مولدهُ في العشر الاوَّل من شوَّال سنـة تسعين وستمائة (١٢٩١ م)

الطبقة الثالثة (91^r) ١)

قد ذكرنا اصول البيت في الطبقة الاولى ثمَّ ذكرنا فروعهُ في الطبقة الثانية وذكرنا من عاصرهم وجعلنا اعمدة الطبقة الثانية ناصر الدين الحسين. اذ هو كبير البيت والمشار اليهِ في زمانهِ ونذكر الآن ولد ناصر الدين الحسين وفروع بيتهِ وهي الطبقة الثالثة ثمَّ نذكر معاصريهم وهم اولاد المذكورين في الطبقة الثانية لينتظم سلك ذكر السَّلَف على المطابقة والمعاصرة ومناسبة الترتيب وما توفيقي الَّا بالله



الامير زين الدين صالح ابن الامير ناصر الدين

كان والدهُ ناصر الدين لمَّا جاوز الثمانين قد ضعفت حركتهُ وقصرت همَّتهُ فنصب ولدهُ زين الدين مكانهُ وترل لهُ عن اقطاعهِ طلباً للراحة فتولّى الامارة في عهد ابيهِ وكان عمرهُ نحو خمس واربعين سنة. فاحسن في قومهِ السياسة وسادهم بجميَّة الرئاسة فحسنت سيرتهُ وانقاد اليهِ اهلهُ وعشيرتهُ فحذا حذو والدهِ ونسج على منوالهِ

وقد رأيت خطّ ناصر الدين بالنزول عن اقطاعهِ لولدهِ زين الدين المذكور. من مضمونهِ انَّهُ ينزل عن اقطاعهِ لولدهِ بحكم ان يقضي ديونهُ ويقوم بكلفتهِ وكلفة عائلتهِ باقي عمرهِ. تاريخهُ شهر رمضان سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م)

---

١) ظهر الصفحة (90^r) بياض في الاصل

ثم عاش ناصر الدين بعد نزوله لابنهِ عن اقطاعهِ سنتين وخمسة وعشرين يومًا وعاش زين الدين ولدهُ بعدهُ نحوًا من (٧ ٩١) ثماني وعشرين سنة وجاوز عمرهُ سبعين سنة فعل بها فِعل والدهِ ونزل عن اقطاعهُ لولديهِ وهما شهاب الدين احمد واخوهُ سيف الدين يحيي وجعلهُ فيهما بالسويَّة بمنشور واحد واشترط انَّ من تُوفّي منهما قبل اخيهِ يورث نصيبهُ لاخيهِ من غير تجديد منشور ثانٍ. وتاريخ هذا المنشور بحكم النزول السادس عشر من جمادى الآخرة سنة اربع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٣ م)

واخبرتني امُّ نجم الدين زوجة زين الدين المذكور قالت: «قبل نزولهِ عن الاقطاع نوى ان لا يقسمهُ بين اثنين من اولادهِ. ثم ثنى عزمهُ عن ذلك ونزل عنهُ لولديهِ مناصفة كما ذكرنا». ارادت بقولها ان الاقطاع يكون بكمالهِ لصهرها يحيي فسلك زين الدين الواجب وجعلهُ بين الاخوين مناصفةً ولم يلتفت الى ما سوى ذلك. ومع انَّ احمد كان الاكبر فقد ميَّز الاصول الطيّبة وكره الاصول الرَّديّة سالكًا بذلك طريقة ابيهِ ناصر الدين. وكان زين الدين شديد الغضب حسن الرضي حازمًا في قمع ذوي المفاسد ساعيًا في سدّ الخلل والاصلاح فحسنت سيرتهُ وساد قومهُ

ذكر حوادث جرت في ايّامهِ

من ذلك حادثةٌ جرت في حياة والدهِ ناصر الدين(١) في ليلة الخميس في الثالث والعشرين من ربيع سنة خمسين وسبعمائة (١٣٤٩ م) وذلك

---

١) راجع اخبار الاعيان ص ٢٣٦

ان الجبغا المظفَّري نائب طرابلس وصل الى دمشق ليلًا بمرسوم مزوَّر عن السلطان وقبض على نائب الشام ارغون شاه وقتلهُ وامراء الشام (92^r) يظنُّون انَّ ذلك بمرسوم السلطان . ثم رجع نائب طرابلس الى طرابلس وعصى بها

ثم بلغ الشاميين قصدُ توجُّه نائب طرابلس الى الساحل وكانت دمشق بغير نائب . فارسل الشاميون الى زين الدين مرسوماً رأيتُ عليهِ اربع علامات وهي علامات المملوك مسعود بن الخطيري والمملوك طيدمر الحاجب والمملوك الجبغا والمملوك ملك آص(١ من مضمونهِ انَّ المرسوم الشريف وردنا بامساك الجبغا نائب طرابلس وامساك مملوكهِ تمربغا وجماعة مماليكهِ ومن كان معهم في تلك الحركة من الجراكسة . وان يتقدَّم بحفظ دربند نهر الكلب ولا يمكِّن المذكور من العبور فيهِ

فتوجَّه زين الدين وضبط دربند نهر الكلب ومنع نائب طرابلس من العبور ثم حضرت عساكر الشام فقبضت عليهِ ووُسِّط تحت قلعة دمشق ومعهُ اياس الحاجب

وفي ايَّامهِ في سنة خمس وسبعين وسبعمائة (١٣٧٤ م) أُقطعت فطورة (كذا) البلاد لسيف الدين كبطق (؟) الرمَّاح معلم الجامكية السلطانيَّة الاشرفيَّة وأفتى بذلك الائمَّة وكانت تلك القضيَّة صعبة فسعى فيها زين الدين وابطلها بعد تعب وغرامة غرمها من مالهِ لم يكلِّف فيها احدًا ولا درهماً فردًا . ثمَّ اقطعوها في ايَّام الملك الناصر فرج بن

١) وفي اخبار الاعيان (ص ٢٣٦) انَّ اسماءهم : ابن الخطيري ويدمر ويلبغا وملك آص

برقوق. ثمَّ أبطلت كما سنذكرهُ ان شاء الله فيما بعد

ومن الحوادث خروج صاحب قبرس واخذهُ الاسكندريَّة واحتراز الناس منهُ على السواحل فحصل بذلك تعب لاصحاب الدرك بالسواحل واكثرهم تعبًا امراء الغرب لانهم أَلزموهم بالسكنى في بيروت والركوب ليلًا ونهارًا (92v) فوجدوا بذلك مشقَّة كبيرة. وقصد يلبغا الكبير المتكلِّم عن السلطان في ذلك الزمان ان يحارب قبرس ويأْخذها وشرع في عمارة شواني وحمَّالات وارسل بيدمر الخوارزمي الى بيروت في سنة سبع وستين وسبعمائة (١٣٦٦ م) ليعمِّر بها عدَّةً كثيرة من الحمَّالات والشواني وجعلوا اقامة العساكر الشاميَّة في بيروت بالبدل وقد تقدَّم ذكر ذلك في اخبار بيروت (١ فازداد تعب امراء الغرب وكبرت كلفتهم على العساكر وكابدوا الامور بمشقَّة زائدة وعناء ونصب فاعانهم الله على ذلك. وكان كما بدأَ هذا الامر قد تكلَّم تركمان كسروان عند بيدمر بكلام كثير وجعلوا لهُ الف رجل من الدرك ليدخلوا قبرس وقالوا لهُ انهم تعلَّموا اعمال كثيرة تمكّنهم منها. فدخل كلامهم في ذهن بيدمر وساعدهم على قصدهم وتوجه بعضهم الى مصر ورسم لهم بكتابةٍ مثالات باقطاعات امراء الغرب

وكان قد توجَّه الى مصر لهذا السبب الاميران سعد الدين خضر ابن عمّ زين الدين المذكور وسيف الدين يحيي ابن زين الدين فاجتمعا بالقاضي علاء الدين فضل الله كاتب السرّ بمصر وكان واصلًا عند الامير الكبير يلبغا فمثلا امامهُ وساعدهما وقال: « هؤلاء غرس الملوك الاوائل ان

١) راجع الصفحة ٦٣

كان فيهم نفع فقد استحقُّوا بهِ اقطاعهم وان لم يكن فيهم نفع فحاشا لله ان يبطل في ايَّام الامير الكبير معروفٌ اسداهُ لهم الملوك الاوائل». وعند ذلك رسم بتمزيق مثالات التركمان وامر بان يستقرّ (93^v) امراء الغرب على اقطاعاتهم

ولمَّا قصد سعد الدين وسيف الدين العود الى بيروت عرَّفهما علاء الدين بن فضل الله انَّ قصدهُ عمارة خان الحصين (كذا) وان يكون زين الدين ملاحظاً في عمارتهِ وطلب اليهما ان يجهِّزا لهُ ما وجدا من الخطوط المنسوبة ففعلا ذلك

وكان علاء الدين المذكور من كتَّاب الخطّ المنسوب في الاقلام السبعة. وكان اوقف على خان الحصين المزرعة المعروفة بجرن الدبّ فتغلَّب عليها اولاد الحمراء وجعلوها لهم. فلمَّا استقرَّ بيدمر في بيروت لعمارة الشواني عجز تركمان كسروان عمَّا يُطلب منهم على خاصَّة اقطاعهم وعن القيام بخدمة بيدمر فهربوا الى الروم وشكر الناس لامراء الغرب. وارسل بيدمر كتاباً الى الامير الكبير يلبغا يثني عليهم. وقد تقدَّم من ذكر عمارة بيدمر للمراكب ما يغني عن اعادتهِ هنا

ووقفتُ على مرسوم من ملك الامراء منجك نائب الشام الى غرس الدين متولي بيروت من مضمونهِ ان يطلب جمال الدين حسَّان ويأخذ سيفهُ ويرسم عليهِ ويقابلهُ اشدَّ مقابلة على سوء ادبهِ نحو الجناب الزينيّ امير الغرب وكذلك لمحمَّد بن قرياش ولخليل ابن سعدان وكتابهُ إشهاد عليهم وعلى جماعتهم بالركوب والنزول معهُ ولا يتوجَّه احد منهم من بيروت الَّا باذنهِ وان لا يفارقوا خدمة المذكور ليلًا ولا نهارًا ومتى فعلوا غير ذلك كان

عليهم خمسون الف درهم لاصطبلات خيول البريد. تاريخهُ سنة سبعين وسبعمائة (١٣٦٩ م) (١ (93^{v})

وكان لمنجك بزين الدين عناية تامَّة ويقرّب مقعدهُ عندهُ وكان اذا حضر زين الدين الى دمشق يرتّب لهُ سماطًا وعليقًا واذا قصد الرجوع الى البلاد يخلع عليهِ منجك الخلع السلطانيَّة من طرد وحش وحياصة وشاش بطرفين(٢ او ممَّا لبس منجك وبعد لبس الخلع كان يعطيها تفاصيل حرير وغيرهُ برسم هديَّة للحريم

وسمعتُ من كان يقول عن زين الدين انَّهُ لمَّا اختفى منجك استتر عندهُ وانَّ ذلك كان بواسطة بهادر أُستداره لانَّ بهادُر المذكور رُبّي عندهم مدَّةً ببيروت وكان ارمني الجنس ثمَّ ارتقى من استداريَّة منجك الى استداريَّة السلطان بمصر . والحوادث في ايَّام زين الدين كثيرة اختصرتُ منها على ما ذكرتهُ

وكان زين الدين مقصدًا للوارد والصادر ومدحهُ الشعراء بقصائد كثيرة فمن ذلك ما ذكرهُ محمد بن عليّ بن محمد الغزّي في مقامتهِ المذكورة بعد فراغهِ من مدحهِ لناصر الدين والدهِ فقال: « واماَّ فرع اصلهِ الكريم. ووارث مجدهِ الصميم. نجمٌ اشرق في سماء معاليهِ. وغصن اورق

١) جاء في هامش الكتاب ما نصُّهُ: « وكان عليّ بن ارسلان بن مسعود كثير الكلام والقلقلة وكان يوشي في حقّ زين الدين المذكور بالكذب ويرميهِ بالباطل فمسكهُ واهانهُ فكتب عليهِ اشهاد بسوء سيرتهِ وتوبتهِ عنها سنة اربع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٣م) »

٢) راجع الصفحة ١٤٨

في دوحة جدهِ وابيهِ . الجناب الزيني زان الله باشراق طلعته السعيدة افق المحافل والجحافل . وجعلهُ لقضاء حقوق المعالي خير كافٍ كافل . صالح كاسمهِ وفعلهِ . زينٌ كفرعهِ واصلهِ . قد جمع فضيلتي السيف والقلم . ومن اشبه اباهُ فما ظلم . والشبل في المخبر مثل الاسد (94) :

فرعٌ زكا من خير اصلٍ طاهرٍ   ما زال يُثمرُ بالمنايا والمُنى
يُخشى ويُرجى سطوةً ومكارماً   ويرى الثناء اعزَّ شيءٍ يُقتنى

وقال محمَّد الغزّي المذكور عند ما انهى ذكر اقارب ناصر الدين الحسين واخوتهِ وولدهِ : « فهؤلاء الذين ذُكرتُ بعض وصفهم . وعطَّرتُ مجلس أُنسكم بطيب عرفهم . هم امراء الثغر وساداتهُ . ورعاة سرحهِ وحُماتهُ

من تلقَ منهم تقُلْ لاقيتُ سيّدَهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري

أما سمعتَ من عبد اياديهم . جامعاً ذكر نداهم وناديهم

ان تخشَ بأساً او ترجُ بذل ندًى   مضاعف المنّ غير ممنونِ
فلُذْ بارضٍ جنابها حرمٌ   ما بين اعبيهِ وعرامونِ

ولعمر ابيكم انهم احقّ بقول حسَّان :

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ احسابهم   شمُّ الانوف من الطراز الاوّلِ

وما نطق شاعر بلدي . الَّا بما كان في خلدي . اغنى بهِ الغزّي (١ عن الغزّي الاوّل الشاعر المشهور (٢ والأولى بالمعنى من القائل عن نفسهِ فهو اقرب :

قومٌ اذا قُوبلوا كانوا ملائكةً   حسناً وان قُوتلوا كانوا عفاريتا

١) يريد نفسهُ   ٢) هو ابرهيم بن عثمان الاشهبيّ الشاعر ولد في غزَّة سنة ٤٤١ (١٠٥٠م) وتوفي في خراسان سنة ٥٢٤ (١١٣٠ م)

والأليق بمجدهم قول عبدهم :

تقاصر فهمي عن وصفهم فماذا يقالُ وماذا اقولُ (٢ 94)

جبالٌ تسيرُ شموسٌ تنيرُ اسودٌ تصول سيولٌ تسيلُ »

ولمحمّد الغزّي في زين الدين اشعار كثيرة وكذلك لغيرهِ اختصرتُ ذكرها . فمن شعر الغزي قولهُ من قصيدةٍ :

ان اذنبت بالصدود مُعرضةً فقلب مشتاقها يسامحها

زاد سناهـا سنا الوجود كما قد زانها زينها وصالحها

مكارمٌ في تواضع وعُلىً يكلُّ عنها في الوصف مادحُها

ونفسُ حرٍّ ترتاح ان تعبت في كسب حسن الثنا جوارحها

وهمَّةٌ همُّها بلا مللٍ مصالحُ الغير لا مصالحها

وراحةٌ راحةٌ للاثمها يفوزُ باللمس من يصافحها

لهُ محيًّا تُحيي بشاشتهُ فالشمس فيها منها ملامحها

هانت عليهِ بأساً ومكرمةً دنياهُ حتى لم يُخشَ فادحُها

ولهُ من قصيدةٍ أُخرى :

وحقك انَّ الغدر شينٌ وفاسدٌ وصالح زين الدين زينٌ وصالحُ

تقيٌّ نقيٌّ الجيب للعيب ساترٌ ولكنَّهُ للغيث بالجود فاصحُ (٣ 95)

فكلُّ الذي يحوي علاه محاسنٌ وكلُّ الذي يحوي عداهُ مقابحُ

فاقلامهُ بالسلم تبكي بكفهِ وتضحكُ يوم الحرب فيها الصفائحُ

من العُرْب انساباً لها الغرب منزلٌ يجود بحسن المدح فيها القرائحُ

فان كنت فيها عن صفاتك قاصراً ففضلك يُغضي محسناً ويسامحُ

فدم في سرورٍ من ابٍ وعمومةٍ اليك الثنا يهدى بهِ كان صابحُ

وقد وجدتُ لمحمَّد الغزي المذكور اشعارًا كثيرةً ومدائح في السلف ولو ذكرناها لطال بها الكتاب (١

ولنرجع الآن الى ذكر زين الدين فنقول انّ المذكور كان يتعاطى اعمالًا لطيفةً جدًّا من النجارة. وقد رأيت من صنعتهِ اقفالًا صغيرةً لطيفة القدّ من خشب النارنج والعنَّاب تزّل فيها تطاعيم ظريفة وكان يهديها الى اصحابهِ من باب اللطافة والمحبة

وكان عندهُ بعض معرفة من صناعة الطبّ ويحتكر شيئًا كثيرًا من الادوية والاشربة والكحول والدهانات برسم الثواب لينفع بذلك الناس. وكان عندهُ برّ وصدقة للمحتاجين وكان كثير النظر في حقّ ذوي البيوت الاصيلة يعاملهم بالاكرام يُدني فقيرهم ويوقّر صغيرهم محافظةً

---

١) جاء هنا في الاصل ما نصُّهُ: « وكان محمَّد الغزّي المذكور من فصحاء زمانهِ نظمًا ونثرًا مشهورًا بين الناس بالبلاغة ذكرهُ المؤرخون في تواريخهم فمنهم من قال عنهُ انَّهُ توفي سنة ٧٦١ (١٣٦٠م) ومنهم من قال سنة ٧٦٢. قال الشيخ محب الدين محمد بن القطَّان احد اعيان الفقهاء بمصر في كتاب سألتهُ في تأليفهِ وانا بمصر سنة ٨٣١ ﻫ (١٤٢٨ م) وان يجعلهُ ذيلًا على عيون التواريخ لصلاح الدين الكتبيّ المعروف عند ذكرهِ محمد الغزي المذكور بأسنادهِ عن مشايخ التأريخ: هو شمس الدين محمد بن عليّ بن محمد ابو عبد الله المعروف بابي الطرطور الشاعر الناثر والاديب الماهر وكان من علماء البيان وائمَّة التبيان مصريّ المولد والمحتد غزّي المنشأ اقام بعدهُ مدَّة طويلة. وكان كثيرًا ما يتردَّد الى السواحل والثغور ثمَّ بعد ذلك ورد الى دمشق وسكنها (95v) وازاح بآدابها غيَّها ولكنَّها. واحال بباقي ذكرهِ على كتاب آخر من تأليفهِ سمَّاهُ نوادر البوادر. ثمَّ في ايَّام زين الدين المذكور نشأ شاعر آخر يسمَّى احمد الشامي ولكن لم يصل الى منزلة الغزّي ولا داناها. وطالت مدَّة احمد الشامي الى بعد تيمورلنك. اختصرت ذكر شعرهِ وشعر غيرهِ خوف الاطالة والملَل

لسلفهم. وكان يصغِر نفسهُ مع الاجواد ويكبّرها مع الارذال والانذال فسلك احسن الطرائق وشُكرت سيرتهُ

تزوَّج زين الدين ديمة بنت علم الدين الرمطوني وهي امُّ اولادهِ جميعهم الآتي ذكرهم ان شاء الله. كان مولدها في نهار الثلثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣ م). وتوفيت المذكورة الى رحمة الله نهار الاثنين رابع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧م). وتزوَّج بعدها امّ نجم الدين وهي شمسة بنت فارس الدين معصاد ابن عزّ الدين فضائل ابن معصاد مقدَّم الشوف (96²) بصيداء كانت اوَّلًا زوجة جمال الدين حجّي بن احمد بن حجّي فتوفّي وتزوَّجها اخوهُ حسام الدين عبد القاهر وتزوَّجها عمهما شجاع الدين عبد الرحمان بن حجّي فتوفّي وتزوَّجها زين الدين المذكور سنة تسع وخمسين وسبعمائة (١٣٥٨ م) ولم يُرزق منها ولدًا وعمَّرت شمسة عمرًا طويلًا قالت: كان والدي يُحسن النجارة فآلى على نفسهِ مساعدة ناصر الدين الحسين في عمائرهِ بأيَّام كثيرة. وكان يومًا يجذب مسمارًا اليهِ من زاوية سقف العلّيَّة الكبيرة وهي الزاوية الشرقيَّة فوقع مع طلوع المسمار ولم يكن هناك عمارة فخيف على حياتهِ. وكان ناصر الدين يركب الى كفرفاقود يعودهُ وكنتُ كبيرةً مشتدَّةً وتاريخ عمارة العلّيَّة سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧ م). وعاشت الى بعد الثمانمائة فعلى هذا كان عمرها قريبًا من المائة سنة. وكانت قبل وفاتها بمدَّة يسيرة تنظم الخيط في الابرة ليلًا في نور السراج وتخيط ايضًا في نور السراج. وكانت بنتها طاوس بنت حجّي ابن احمد زوجة اسد الدين محمود قد عمَّرت نيِّفًا عن ثمانين

سنة ولم يُنكر عليها كبرٌ فكانت كأنّها في قواها وحركتها بنت خمسين سنة

(قلتُ) ولم اعرف لزين الدين المذكور مولدًا واماً وفاتهُ رحمهُ الله تعالى فكانت ليلة الخميس سابع عشر صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٧ م) وكان لهُ من العمر اربعًا وسبعين سنة وكان ضعفهُ سبعة ايّام او ثمانية بحمّى دمويّة واحتاج الى الفصاد فلم يُفصد

[(١ وكانت وفاة امّ زين الدين المذكور وهي بنت زين الدين بن عليّ بن بحتر نهار السبت الحادي والعشرين من ربيع الاوّل سنة ست وسبعمائة توفيت بعد مولد ابنها زين الدين بمدّة قليلة فربّتهُ عمّتهُ زين الدار بنت سعد الدين خضر وهي امرأة بدر الدين يوسف ابن زين الدين عليّ العراموني. فتربّى زين الدين المذكور عند عمّته في الرأس بعرامون وكان ناصر الدين كثيرًا ما يبيت في الليل عند اخته في ايّام عزوبيّته وفي النهار يسكن في اعبيه عند عمّته. قلتُ وربّما كانت وفاة امّ زين الدين بمرض النفاس لمّا ولدت ابنها فيقرّب ذلك معرفة مولد زين الدين]

(96[٧]) واسماء اولاد زين الدين: جمال الدين محمّد وعلاء الدين عليّ وشهاب الدين احمد. وبدر الدين موسى وعيسى وسيف الدين يحيى

واسماء بناته: ستّ البنات امرأة سعد الدين خضر ابن عزّ الدين حسن وستّ العزّ امرأة ظهير الدين علي ابن علم الدين سليمان الرمطوني

١) ما اثبتناهُ بين معكّفين كتبهُ المؤلف في هامش الكتاب لكنّهُ اشار الى انهُ من الاصل

وستُّ العدل وهي لم تتزوَّج وستُّ الجميع امرأة القاضي عماد الدين حسن ابن ابي الحسن ثمَّ توفي وتزوَّجها عماد الدين اسماعيل بن فتح الدين محمَّد وسيأتي ان شاء الله ذكر اولادهِ ثمَّ ذكر ازواج بناتهِ كلَّ منهم في موضعهِ

وممَّا يضاف الى ذكر زين الدين ذكر اخيهِ تقيّ الدين ابراهيم ابن ناصر الدين كان ذا شكل حسن عبل الجسم شديد القول صادق الفعل لهُ قدرةٌ على القوس القويّ ولم يكن بعد عزّ الدين احدٌ في البيت يرمي على قوس اقوى منهُ واخذ بعدهُ جواد الدين قوسهُ فاحسن الرمي بهِ . وتقيُّ الدين المذكور قد اشتهر بالجودة والعقل وكان والدهُ قد افرد لهُ القاعة البرَّانيَّة بالقرب من البوابيَّة (؟) ودارها وما حولها وهي آخر عمارة ناصر الدين . وامّ تقيّ الدين هي بنت اسماعيل بن هلال كما ذكرنا

وتزوَّج تقيّ الدين المذكور عُميمة بنت علم الدين سليمان بن غلَّاب الرمطونيّ نهار الاربعاء السادس من شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١م) وتزوّج معهُ سعد الدين خضر بن عزّ الدين حسن وشهاب الدين احمد بن زين الدين وعُمل لهم عرسٌ واحد

وكان مولد تقيّ الدين المذكور ضُحى نهار الثلثاء السابع عشر من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٦ م) . وتوّفي رحمهُ الله (97r) نهار الثلثاء الخامس والعشرين من شهر ذي الحجَّة سنة اربع وستين وسبعمائة (١٣٦٣ م) وتأخَّر دفنهُ الى نهار الاربعاء . واسم ولدهِ ناصر الدين الحسين سميّ جدّهِ واسم بنتيهِ سارة امرأة شهاب الدين احمد ابن زين الدين . فلمَّا توّفي تزوَّجها جمال الدين احمد بن صلاح الدين

خليل العراموني . ونجيمة امرأة جمال الدين بن ظهير الدين علي الرمطوني

ذكر الامير جمال الدين محمد بن زين الدين صالح

وهو اوَّل اولاد زين الدين كان شابًّا حسنًا ذا عقل ودين . وقد رأيت بخطّ جدّهِ ناصر الدين انَّ محمَّدًا هذا نشأَ نشوءا حسنًا ولم يُعرف لهُ جهل ولا صبوة . وكان جدُّهُ كثير المحبة لهُ شديد الاغتباط بهِ كتب لهُ مكتوبًا بالعلّيَّتين الملتصقتين وهما اوَّل عمارة ناصر الدين شماليَّ الحارة وما يُعْرَف بهما وزوَّجهُ بستّ الجميع بنت سيف الدين غلَّاب الرمطوني وزوَّج معهُ اخاهُ علاء الدين وعمل عرسهما في يوم واحد ودعا اليهِ والي صيداء ووالي بيروت وغيرهما وكان عرسًا عظيمًا وفرح بهما جدُّهما ناصر الدين لأنهُ كان كثير السرور باولاد ولدهِ زين الدين

ورأيتُ لجمال الدين محمَّد المذكور كتابةً حسنة وانَّما كانت اخلاقهُ احسن . مولدهُ في الثلث الاوَّل من ليلة الاربعاء الحادي عشر من ذي الحجَّة سنة سبع وعشرين وسبعمائة (١٣٢٧ م) . ووفاته رحمهُ الله (97ب) سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨م) في حياة جدّهِ ناصر الدين . واولادهُ ناصر الدين محمَّد سميّ ابيهِ وفاطمة امرأة ظهير الدين علي بن جواد الرمطوني . ووجد عليهِ جدُّه وجدًا عظيمًا ورثاهُ بقصائد (١ . . .

---

١) هنا في الاصل قصيدتان لناصر الدين تبتدئ الاولى بقولهِ :

اعيناي جودي بالبكا بسماحِ فالخطب اعظم ان تكنَّ شحاحِ (؟)

والثانية بقولهِ :

قد كان في فقد ابن العمّ والولد ما آلم القلب مني واقرح الكبدِ (؟)

وابياتها مختلة الوزن والاعراب كما ترى فلم نرَ في اثباتها فائدةً

وكانت وفاة شجاع الدين بن حجّي وفتح الدين محمد بن سعد الدين خضر وجمال الدين محمَّد في مدَّة متقاربة كما تقدَّم ذكر ذلك وكلٌّ منهم كان عزيزًا على ناصر الدين (98r)

ذكر اخيهِ علاء الدين عليّ بن زين الدين صالح

هو الثاني من اولاد زين الدين كان لقبهُ اوَّلًا مظفَّر الدين. وكان حسن الهيئة زائد الحشمة وافر العقل ذا كرم ومروءة وقيل انَّهُ لم يكن في اخوتهِ احسن شكلًا منهُ. وكذلك كان سعد الدين خضر والد ناصر الدين مشهورًا بحسن الشكل. وكان علاء الدين المذكور يُحسن التجمُّل في ملبوسهِ وآلة مركوبهِ وترتيبهِ في حشمتهِ. زوَّجهُ جدُّهُ ناصر الدين مع اخيهِ جمال الدين وعمل عرسهما في يوم واحد كما سبق في العشر الاوسط من جمادى الآخرة سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م). وتزوَّج علاء الدين لؤلؤة بنت خالهِ عزّ الدين جواد بن علم الدين الرمطوني وهي امرأتهُ الاولى وام ولدهِ بدر الدين حسن ثم توفّيت وتوفّي اخوهُ جمال الدين فتزوَّج امرأتهُ وهي ستُّ الكلّ بنت خالهِ سيف الدين غلّاب الرمطوني وهي امّ باقي اولادهِ

وكان مولد علاء الدين ليلة الجمعة الثاني من شهر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة (١٣٢٩ م). ووفاتهُ بمدينة بيروت الظهر من نهار الجمعة الثامن من شهر المحرَّم سنة اثنتين وستين وسبعمائة (١٣٦١ م). وحُمل (98v) الى اعبيه ودفن يوم السبت بالتربة

اسم ولدهِ بدر الدين حسن. وبناتهُ الاولى خاتون امرأة ابن عمّها علم الدين سليمان ابن شهاب الدين احمد ابن زين الدين. ثمَّ بعد وفاة

علم الدين تزوَّجها ناهض الدين حمزة ابن فتح الدين محمَّد ابن سعد الدين. والثانية دية امرأة سيف الدين غلَّاب ابن ظهير الدين عليّ بن جواد. والثالثة حسنة امرأة بدر الدين حسن ابن عماد الدين موسى بن يوسف ابن زين الدين بن عليّ العراموني . ثمَّ بعد وفاتهِ تزوَّجها ناصر الدين الحسين بن تقيّ الدين ابرهيم بن ناصر الدين الحسين

ولمَّا توفّي علاء الدين المذكور اخرج نائب الشام بيدمر اقطاعهُ لسعيد بن عيسى التركماني فلم يقم بالدرك فكتب محضرًا بغيبتهِ تاريخهُ شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وستين وسبعمائة (١٣٦١ م). ثمَّ بعد ذلك استرجعوا اقطاعهُ باسم ولدهِ بدر الدين حسن . وجهاتهُ ادفون ونصف عين حجَّة ونصف الفسيقين ونصف شطرا اخذوهُ من عليّ احد بني ابي الجيش

ذكر اخيهما شهاب الدين ابن زين الدين صالح

وهو الثالث من اولاد زين الدين كان سيِّدًا من سادات الناس ذا عقل وعلم ودين جمع محاسن كثيرة منها الكتابة الجيِّدة والبلاغة ونظم الشعر والذكاء وحسن النظر في الامور ومحبَّة اهل العلم واشتغل في علم النحو ومعرفة الكواكب على شيخ كان عندهُ. وكان يعمل النشَّاب المليح وتعلَّق بصنعة الصياغة وربَّما كان اقتبس ذلك من خالهِ عزّ الدين جواد ابن علَم الدين الرمطوني (99ʳ) فسار شهاب الدين المذكور مع اهل زمانهِ احسن سيرة فمالت اليهِ القلوب وذُكر بكل جميل. وكان والدهُ كثير الإركان اليهِ لعقلهِ وكفاوتهِ وحسن ترتيبهِ. وكان مع هذا مشكورًا عند كل من يعرفهُ

وسمعتُ انّهُ حضر عند بيدمر نائب الشام يوماً والمجلس حافل بالامراء والاعيان فشكرهُ بيدمر بقولهِ: «يكتب مليحاً ويرمي نشاباً مليحاً وهو رجل جيّد والسلام

وسمعتُ ان شهاب المذكور كان يعمل طوامير وسكات ويقدّمها لبيدمر فيفرّقها بيدمر على مماليكهِ ومن حضر عندهُ. وكان شهاب الدين مرّةً بدمشق فرسم لهُ بيدمر ان يركب خيل البريد ويتوجّه الى قرية عين زحلتا من شوف صيداء ليكشف عمّا فيها من اشجار التوت النافع لعمل النشّاب فلم يجدهُ موافقاً (١. وربّما كان لشهاب الدين تطلّع الى التوفرة على البلاد من الصداع (كذا) بقطع الخشب ونقلهِ والكلفة عليهِ

وبلغني انَّ اهل الشوف اجتهدوا من ذلك الوقت على قطع شجر التوت وتعطيل نشوئهِ واستئصالهِ لئلا تصدعهم الدولة من جهتهِ. فدثر ولم ينشأ منهُ بعد ذلك الّا القليل. وقد اشتهر شهاب الدين بالمناقب الحميدة والصفات الجميلة وكان يتواضع مع الناس ويصغِّر نفسهُ مع علوّ مجدهِ وما كان يتكبَّر على شغل باشر بعملهِ

مولدهُ ليلة الاربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجّة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة (١٣٣١ م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى الرابعة من نهار السبت الحادي عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلث وثمانين وسبعمائة (١٣٨١ م). ودُفن (٢ 99) في التربة وقد اجتمع في عزائهِ خلقٌ كثير لم يعهد في عزاء مثلهِ حتى ضاق بهم الفضاء حول التربة وما بَعُد عنها.

١) وفي تاريخ ابن سباط بخلاف ذلك « انّهُ رآهُ مناسباً »

وحضر اهل جزّين في يوم عزائهِ قبل دفنهِ. وهذا يدلُّ على انّهم اخّروا دفنه الى ثاني يوم وفاتهِ والله اعلم

تزوّج زمرُّد بنت خالهِ عزّ الدين جواد ابن علم الدين الرمطوني وهي امُّ ولديهِ علم الدين سليمان وشرف الدين عيسى. ثم توفيت وتزوّج بعدها نجيمة بنت عمّتهِ وابوها عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن عليّ العراموني وهي امّ ولده سيف الدين ابي بكر واختهِ لؤلؤة. ثمّ توفيت وتزوّج بعدها سارة بنت عمّهِ تقيّ الدين ابراهيم ابن ناصر الدين الحسين وهي امّ ولدهِ عبد الله الذي توفي صغيرًا بعد ابيهِ بمدّة. وهي ايضًا امّ بنتيهِ عُميمة امرأة ناصر الدين محمّد ابن علاء الدين عليّ ابن شمس الدين محمّد العرامونيّ واختها رحمة امرأة علَم الدين سليمان ابن بدر الدين محمد ابن صلاح الدين يوسف ابن سعد الدين خضر. واما جهات اقطاعهِ فهو نصف اقطاع ابيهِ شركة اخيهِ سيف الدين يحيي

ذكر اخيهِ الامير بدر الدين موسى ابن زين الدين صالح

وهو الرابع من ولد زين الدين وكان كريمًا جوادًا ذا مروّة وافرة وكان لهُ سطوة على المتمردين ويحبّ قمع المفسدين وردع الطغاة عن اغراضهم ممّن تصل يدهُ اليهم. وتعلّق بصناعة النجارة وعمل النشّاب وبعض صياغة مثل طبع الفضّة على نسج (اي نهج) عزّ الدين جواد واجرائها مينا (100[٢])

ولم يكن بيدهِ اقطاع وكان اخوهُ سيف الدين يحيي يعطيهِ من اقطاعهِ شيئًا يستعين بهِ على حالهِ مع زربعة في الدامور وقليل املاك.

وتزوَّج بنت عمَّتهِ ووالدها فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين احمد ابن حجّي وهي امّ بنتهِ زمرُّد امرأة بدر الدين موسى ابن ظهير الدين عليّ بن جواد ابن علم الدين الرمطونيّ · ذكروا انَّ بدر الدين المذكور تزوَّجها على غير رضى ابيهِ زين الدين ولم يقبل ابوهُ ان يحضر عرسهُ

مولدهُ بكرة نهار الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الاوَّل سنة اربعين وسبعمائة (١٣٣٩م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى (١

ومن بعد بدر الدين موسى يجب ذكر اخيهِ عيسى ولم يمكن ان نجعل لهُ اسماً لكونهِ توفّي طفلًا صغيرًا جدًّا ولم يُعرَف · كان مولدهُ العصر من نهار الاربعاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤٠ م) ورثاهُ جدّهُ ناصر الدين الحسين فقال من قصيدةٍ :

ولمَّا نعى الناعي لعيسى تتابعت مدامعُ عيني لا اطيق لها ردّا
وقد كنتُ ارجوهُ وآمــل انَّهُ يصير جمالًا في البنين اذا اشتدَّا
فعاجلهُ صرف القضا قبل فطمهِ صغيرًا ولم ينطق ولا فارق المهدا
سقت وجهــهُ الميمون رحمةُ ربّهِ لقد كان وجهًا ابيضًا ليس مسودَّا

(١٠٠٧) ذكر اخيهم الامير سيف الدين يحيي ابن زين الدين صالح (٢

هو اصغر اخوتهِ سنًّا فلم يُرزق ابوهُ بعــدهُ · وكان المذكور زائد الحسن حسن الترتيب في مشيهِ وامرتهِ سلك في ذلك احسن طريق واشتهر بالرئاســة بين الامراء والاكابر فعدّ فيهم من الاعيان · شاد البيت فاجمل فيهِ الرئاسة وانقادت اليهِ اقاربهُ وقومهُ · وحجَّ الى البيت الحرام وحجّ

١) كذا في الاصل بدون ذكر السنة

٢) الامير سيف الدين يحيى هو والد مؤلف تاريخ بيروت صالح بن يحيى · قال ابن سباط انَّ وفاتهُ كانت سنة ٧٩٠ (١٣٨٨م)

معهُ ولدهُ فخرِ الدين عثمان (١ والحاج احمد بن عيسى استادارهُ والحاج حسين من بيصور ويُعرف بابي جميل وعلي بن جديس بيطارهُ والحاج محمد بن اللبّان من بيروت وناصر الدين ابن معن واخوهُ الحاج احمد ابن معن والحاج حسن ولد ناصر الدين ابن معن وتكلّف على سفر الحجاز كلفةً كبيرة وهدايا لملك الامراء نائب الشام وللامراء اصحابهِ ولغيرهم

وعمّر القاعة المعروفة بهِ باعبيه ورخّمها وزخرفها واجرى اليها الماء وأضاف الى القناة الجارية الى حارة اعبيه زيادةً كبيرة تسمّى بالعين الباردة فحسّن حال القناة المذكورة وزاد ماءها ثمَّ جدَّد عمارة ايوان اعبيه. ثمَّ عمّر ايوان بيروت وقصد ترخيمهُ وزخرفتهُ فلم تكمل زخرفتهُ. واجرى الماء الى حارة بيروت المجاورة للبحر والمعروفة بهِ. ونابهُ على العمائر كُلَف كثيرة وتحمّل الديون التي تخلّفت بعدهُ

واماَّ جهات اقطاعهِ فهو نصف اقطاع ابيهِ قسمة اقطاع اخيهِ شهاب الدين احمد وكُتب لهما منشور واحد بنزول والدهما (101r) حسب ما ذكرنا في ترجمة والدهما. وتاريخ المنشور المذكور اليوم السادس من جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) واستجدَّ لولدهِ عثمان امرة خمسة (٢ وجهاتها شعقاب واكتو وبيصور وبعقلين ومزرعة

---

١) جاء في حاشية الكتاب ما حرفهُ: « اخبرني ابو عمر الحكيم قال: كنت مع فخر الدين عثمان لمَّا توجّه ابوهُ ليهدي الهدايا لملك الامراء وكان الطنبغا الجوبانيّ وذلك لما حضروا من الحجاز النوبة المذكورة وكانت الهديّة على ثلاثة اطباق كبار فتشكّر ملك الامراء واحسن الكلام »

٢) جاء في حاشية الكتاب: « الخمسة المذكورة اخذها من صلاح الدين من ذرّيّة بني ابي الجيش »

الدينوريّة ومزرعة البوشريّة ومزرعة الدكوانة ومزرعة كفريا (؟) ومزرعة كفرتانيث. وكان قصد ان يشرك فيهِ علَم الدين سليمان ابن اخيهِ شهاب الدين احمد فتوفّي علم الدين سليمان فاستقرّ لفخر الدين عثمان وهو صغير. وكان ابوهُ يستعين بهذا الاقطاع على حالهِ مع مستأجرات زيتون وطباخة صابون ولوشية (١ زراعة بجديدة بيروت واملاك وغيرها

وسمعتُ انّهُ كان يعمل في بعض السنين اربعين رطل حرير من ملكهِ وتارةً يكون ازيد من ذلك. وكان كثير الخرج ويوسّع في امورهِ فكثرت عليهِ الديون مع كلفة سفر الحجاز ومغرم العمائر

ذكر بعض حوادث جرت في ايّامهِ

قد تقدَّم ذكر توجُّهِهِ الى مصر صحبة سعد الدين خضر ابن عزّ الدين الحسين ابن سعد الدين في سنة فتح الفرنج للاسكندريّة وتعمير بيدمر للشواني في بيروت عند ما قصد تركمان كسروان ما قصدوهُ كما ذكرنا. وقد تقدَّم ايضًا ذكر حضور تعميرة الجنويّة في ذكر اخبار بيروت وكان حضورها بيروت في العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢م). وذكرنا ان العسكر الشامي تقهقر من مدافع الفرنج ونشّاب جروخهم واستتر (١٠١[7]) بالحيطان وان الفرنج نزلوا من مراكبهم الى البرّ وطلع منهم شرذمة الى جوانب القلعة القديمة لنصب سنجقٍ في شرفة عالية اشارةً الى انَّ الفرنج ملكوا البرّ ولتقوية قلوب من نزل منهم الى البرّ لنزول باقيهم من الشواني. فلمّا رأى الامير يحيي

١) يريد باللوشية القطعة من الارض للزراعة

ذلك هجم بمن معهُ من اصحـــاب النخوات ورمى بنفسهِ على الذين معهم السنجق فطعنوهُ برماحهم حتى بركت بهِ الفرس ثمَّ نهض قائماً واقتحمهم حتى وصل الى حامل السنجق فرماهُ ووقع السنجق. فلمَّا نظر الفرنج الذين نزلوا الى البرّ انَّ السنجق قد وقع لم يسَعهم غـــير الرجوع الى مراكبهم. وركبت المسلمون اقفيتهم فازدحموا على الصقائل حتى انقلب بهم بعضها فوقع منهم جماعة كثيرة في البحر وكانوا مثقلين باللبوس فغرقوا ولم يقدروا على السباحة فعند ذلك نسبوا كسرة الفرنج الى الامير يحيي وعُرفت بهِ. وقد قال لي ملّى مقدَّم جبّ جنين من البقاع بعــد ذلك: «أمَا وابوك في الجنَّة لأَني كنتُ الى جانبهِ يوم وقعة الفرنج ببيروت فلمَّا رمى الذي كان معهُ السنجق انا الذي قطعتُ رأسهُ». وكان ملّى يفتخر بذلك بين الناس. ثمَّ بعد هزيمة الفرنج وتولهم في الشواني وصل نائب الشام بيدمر الى بيروت وقد فات الامر. وكان بيدمر قد وغر صدرهُ على الامير يحيي فغلَّظ لهُ في الكلام. ومن كلامهِ: «انت مباطن للفرنج على المسلمين». وكانوا قد شكروا فرس يحيي لبيدمر فاضطرَّ الى ان يقدّمهُ لهُ مع فرس آخر (102r). وعاب الناس على بيدمر اخذهُ لفرس يحيي وقالوا: «كان الواجب على بيدمر ان يعطيهُ ويُنعم عليــهِ». وكان هذا الفرس من عند شهاب الدين الكردي صاحب درك نهر ابراهيم قد غالى بثمنهِ عند بيعهِ

واماَّ موجب انقلاب بيدمر على الوالد بعد ما كان من جهتــهِ فهو لانَّ بيدمر كان قد عمَّر في بيروت مركباً ليسافر ثمَّ يعود الى بيروت. فلمَّا كان بيــدمر مشغولاً بدمياط حضر المركب الى بيروت فاحتــاج الى

مصروف فتوقّف الوالد في اخراج ذلك فسرَّها بيدمر في خاطرهِ. وكان ابو بكر خليل بن ملّى من صيداء قد توصّل الى خدمة بيدمر وكان شديد البغض للوالد كثير الحسد لهُ وكان يذكرهُ عند بيدمر بما يُغضب بيدمر عليهِ. فلمّا عاد بيدمر الى نيابة الشام جعل ابن ملّى المذكور خزندارًا صغيرًا واضمر الحقد على الوالد. فمن ذلك لمّا تحرَّكت الشيعة في بيروت واظهروا القيام بالسنَّة ومعهم مرسوم سلطانيّ وكانوا في الباطن قائمين بمذهب الشيعة وجرى لذلك حركة رديئة فاغتنم بيدمر الفرصة وطلب الوالد واهانهُ ومنها انّهُ اخرج اقطاعهُ مرّتين فاعطاهُ مرّةً لشخص يُعرف بابن صاري ومرةً اخرى ليحيي بن العفيف. ولم ادرِ ايّتهما الاولى من الثانية

ووقفتُ على منشور للوالد باسترجاعهِ لاقطاعهِ عن يحيي بن ابراهيم وبني ابن العفيف تاريخهُ في الخامس جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢ م) وكان الوالد قد تعرَّف بجركس الخليليّ (١ عينهِ كبير امراء مصر وكان خصيًّا متميّزًا عند السلطان برقوق يستعين بهِ على اغراض (102[v]) الدولة. وكان جركس يُحضر القمح من مصر في البحر الى بيروت. ثمَّ يحضر الى بيروت الشيخ شمس الدين محمَّد ابن الجوزيّ فيما يتعلّق بالقمح المذكور. وكان ابن الجوزيّ من علماء زمانهِ وكان مقرَّبًا عند جركس الخليليّ. فلمّا اختلفت الحال على المذكور توجَّه الى البلاد التركية وحظي عند ابن عثمان سلطان الروم واحتوى على عقلهِ فصار يعمل برأيهِ. وكان ابن الجوزيّ متمكّنًا في العلوم وصار شيخ شيوخ الاسلام في المملكة الروميّة ثمَّ توجّه الى شاه رخّ بن تمرلنك وحظي

١) كان من اكابر الامراء في اواخر دولة الاتراك المصرية واوائل دولة الجراكسة قتلهُ يلبغا الناصري سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م)

عنـده ُ وتوفّي في بلادهِ. ولمّا حضر ابن الجوزيّ الى بيروت مدح الوالد بهذين البيتين :

ولمّا دخلنا ثغر بيروت لم نجد بهِ غيرَ يحيي للمكارم رائدا
نسينا بهِ الفضل بن يحيي بن خالد فلا زال يحيي في المكارم خالدا

وقال يمدحهُ ايضاً :

رأيتُ اميرَ العرب يحيي بن صالحٍ يفوق وزيرَ الشرق يحيي بن خالدِ
وأين زمانٌ بالكرام معمّرٌ الى زمنٍ فيهِ نرى فرد واحدِ

وقيل كانت معرفة الوالد بجركس الخليليّ بواسطة قُطُلُبك وكان قطلبـك من اصحاب بهادر الاستادار الذي نشأ عند منجك ثمّ صار الى استاداريّة السلطان برقوق. وقد تقدَّم في ذكر بهادر انّهُ قد رُبّي صغيرًا ببيروت

وكان جركس نزل (103r) عن اقطاعـهِ لولدهِ ناصر الدين (١ محمَّد بن عليّ الآتي ذكرهُ بعد هذه الطبقة ان شاء الله. وكان نزولهُ عن اقطاعهِ لمرضٍ اصابهُ وخيف عليهِ منهُ. ثمّ ابلّ من مرضهِ فاستمـرّ ولدهُ على الاقطاع في حياة ابيهِ. وجهاتهُ بامريّة عشرة وقد تقدم ذكرها. فباعوا منهـا امريّة خمسة للاميرين شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين ولعزّ الدين ابن ظهير الدين ابن جواد. ثمّ باعوا لابن الحمراء رمحين ونصفاً ثمّ استرجعوهما

وتزوَّج علاء الدين عليّ المذكور ستّ الجميع بنت عمـاد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف وهي امّ ولـدهِ ناصر الدين المذكور وامّ

١) كذا في الاصل ونظنّ انّ المعنى لا يلتحم مع ما سبق ولا مع ما يلي لانّ ناصر الدين ليس هو ابناً لجركس. ولعلهُ سقط من الاصل بعض اسطر سها الكاتب عن نسخها

اخوتهِ الذين تُوفوا صغارًا فلم يُعرَفوا بين الناس معرفةً تستحقّ الذكر. وفاتهُ رحمهُ الله (١

فصل [في عمائر امراء بني الغرب في عرامون]

قد تقدَّم ذكر عمائر زين الدين صالح بن علي في عرامون وانَّهُ اوَّل ما عمَّر الحارة التي عند العين. وكانت عمارتهُ لها قبل الفتوح للسواحل بعدَّة سنين ثمَّ سكنها هو واولادهُ ولم اسمع انّ عليًّا والد زين الدين عمَّر شيئًا بعرامون ولا غيرها. ثمَّ انَّ زين الدين المذكور عمَّر في رأس عرامون وقصد في بدايتهِ ان يجعلهُ حصنًا ثمَّ ثنى عزمهُ عن عمل الحصن وعمَّرهُ بيوتًا للسكن ولم يسقف البناء وكان سكنهم في الحارة التي عند العين. فلمَّا توّفي وتوّفي بعدهُ ناهض الدين بحتر وكرامة بن بحتر وبقي الاخوان شرف الدين علي وبدر الدين يوسف ولدا زين الدين اقتسما السكن فطلع بدر الدين يوسف الى عمائر الراس وسكنها وبقي شرف الدين علي في (103 v) الحارة التي عند العين. فذرّيّة بدر الدين يوسف سكنوا عمارة الراس وذرّيّة شرف الدين علي سكنوا حارة العين واستمرُّوا على ذلك الى هذا الوقت. وكل من توّفي من الذرّيّتين دُفن في التربة التي في الرأس. وذكروا عن بدر الدين يوسف انَّهُ بعد طلوعهِ الى سكنى عمارة الرأس لم يكمِل اربعين يومًا حتى توّفي وكانت وفاتهُ سلخ صفر سنة احدى وسبعمائة (١٣٠٢م) كما تقدَّم ذكرهُ

وامَّا عرامون فقد ذكروا عنها انَّهُ قبل ما يعمّر فيها زين الدين ابن عليّ عمائرهُ لم تكن بيوتها العامرة الّا دون عشرين بيتًا وهي حول

١) كذا في الاصل بدون تعيين السنة

العين. ولم يكن عمارة غير ذلك البتَّة فلم تزل الناس تتكاثر بها وتعمّر فيهـا الى ان صارت كما هي اليوم. وذكروا انَّ اوَّل من رغب في عرامون جماعة من اهل خلدة طلعوا منها فسكنوا عرامون. وكذلك اهل مرتعون طلع منهم جماعة فسكنوا في عين كسور وكانوا اربع طوائف وهم: بنو أبي الجيش وكان منهم اعيان واستقطعوا إقطاعات وكانوا طائفة قليلة. وفي هذا الوقت قد فرغوا. ومنهم مهاجرِّية ونشأ بينهم بعض الاعيان. ومنهم بنو غازي المشكورون في عقلهم ودينهم. ومنهم بنو نحرير. واماَّ المهـاجرِّية فكانوا اكثرهم عددًا. وهم طوائف ففلحوا عرامون وعمَّروها الى وقتنا هـذا. وقد اختلط بعضهم ببعض. وبلغني انَّ بينهم بعضاً يُعرفون ببني عبيدة (104[r])

المُلحقون بالطبقة الثالثة

هم الذين كان اوّل منشـإهم في اواخر ايام زين الدين ابن ناصر الدين المذكور في اوَّل الطبقة الثالثة فجعلنـا زين الدين المذكور اوَّلها وهؤلاء الذين نذكرهم هنا آخرها ونبتدئ بذكر جمال الدين احمـد ابن صلاح الدين ليكون ذكرهُ تابعًا لذكر اقاربهِ الامراء بعرامون

جمال الدين احمد ابن صلاح الدين خليل ابن سيف الدين مفرج العراموني

كان كريمًا وافر المروءة ذا ذكاء وفطنة وعلم ومعرفة حسن الذات والاخلاق محبًّا لاهل الخير مشكورًا بينهم رماهُ اهل زمانهِ بالاغراض وتتبَّعوهُ بالمضـاربات فتحمَّل لذلك ديونًا غرمها . ثمَّ نزل عن اقطاعهِ لعماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين محمّد بن خضر وجهاتهُ بامريَّة خمسة: ربع عيتات وربع شملال وربع سرحمور وربع دقون وربع عين درافيل

وربع مجدليًّا وربع رحالا وسدس عين عنوب وسدس عيناب وسدس بتاثر وسدس كفرعمّيه وسدس قطعة ارض العمروسيّة

وتزوَّج جمال الدين المذكور سارة بنت تقيّ الدين ابرهيم ابن ناصر الدين الحسين ابن خضر وكانت قبلهُ زوجة شهاب الدين احمد ابن زين الدين ابن الحسين وتوفيت المذكورة في ايّامهِ سنة خمس وثمانمائة (١٤٠٣م). وكانت وفاتهُ رحمهُ الله تعالى في نهار الجمعة العشرين من ذى الحجّة سنة عشرين وثمانمائة (١٤١٨ م)

ذكر ولدي فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين احمد بن حجّي

أحدهما الامير شهاب الدين احمد بن عبد الحميد وهو الكبير كان شهاب الدين رجلًا خيّرًا مشكور السيرة (104^v) تزوَّج سارة بنت فتح الدين محمد ابن سعد الدين خضر وهي ام ولدهِ جمال الدين محمَّد. وكانت وفاة شهاب الدين المذكور رحمهُ الله تعالى ليلة الاربعاء السابع عشر من شهر رجب سنة ثمانين وسبعمائة (١٣٨٧ م) قطرتهُ فرسهُ في سيرها فتوفّي لساعتهِ وكان ذلك في ظاهر بيروت فحُمل الى اعبيه

والثاني اخوهُ حسام الدين عليّ كان رجلًا كريمًا ذا مروءة وكان كثير المخالطة للنَّاس كثير الاسفار. اخذ في زمن بيدمر نائب الشام مباشرات على بعض جهات اقطاعهِ واخذ مباشرات بالبقاع وبلد صفد وكان قد اشترى اقطاعًا من ابن خالهِ ناصر الدين الحسين ابن ابرهيم ابن ناصر الدين الحسين وجهاتهُ (١ . . . . ثم باعهُ حسام الدين المذكور للحاج حسن بن عبدان ثمَّ اشتراهُ من حسن هذا الاميرُ عزّ الدين ابن شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد. وكانت وفاة حسام الدين رحمهُ الله (٢

١) هنا بياض بالاصل ٢) كذا بلا تعيين السنة

قتيـلًا وشُنق غريماهُ في يوم دفنـهِ (١

ذكر ولدي ظهير الدين عليّ ابن عزّ الدين جواد بن سليمان الرمطوني

اكبرهما الامير سيف الدين غلّاب كان جيّدًا خيّرًا ذا عقلٍ وسكون وصغر نفس ورائضة خلق فسكن رمطون في عمائر جدّه. وجهات اقطاعهِ نصف عين حجّيه ونصف القبيّ ونصف الفسيقـين. بقي بيدهِ مدّةً ثم باع ذلك لشرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد (105[1]) تزوّج ريّة بنت علاء الدين عليّ ابن ناصر الدين الحسين في الثاني عشر من ربيع الاوّل سنة ثلاث وسبعـين وسبعمائة (١٣٧١م). وكانت وفاتهُ رحمهُ الله في رجب سنة تسع وثمانمائة (١٤٠٧م) ولم يعقب خلفًا

واخوهُ هو الامير عزّ الدين حسن كان اميرًا جليل القدر ذا منزلة بين الناس حسن السياسة والتدبير جيّد الرأي وافر العقل ساس نفسـهُ احسن سياسة ورأسها أجمل رئاسة وكان مُغرًى بالصيد بالطيور الجوارح. وتربّى صغيرًا بعد وفاة أبيهِ عند خالتهِ امرأة سعـد الدين خضر ابن عزّ الدين فتعلّم من خضر الحشمة وغواية الطيور. وكان بيدهِ اقطاع ابيـهِ وجهاتهُ بامرة خمسة: ربع قدرون وربع رمطون وربع عين كسور ونصف عاليه ونصف الدوير ونصف الخريبة وعيتات واللبانة ونصف قطعة ارض بقرطَيه ونصف الصبيحيَّة ومن درب المغيثة خمس قراريط ومن العبَّاسيَّة نصف بطلّون ونصف الطغرانيّـة والحوراء والقبيّ. واخذ عليهِ زيادةً من سعد الدين خضر واخذ اقطاع رمحين ونصف من علاء الدين العراموني ونصف بطلون والطغرانيّة والحوراء ونصف مزرعتي البون (٢ ودارَيا مع

١) وفي تاريخ ابن سباط انَّ الذي قُتل وشُنق غريماهُ هو شهاب الدين احمد

٢) تُعرف اليوم بمزرعة البوم

جهات في بيروت. وتزوّج زمرّد بنت خاله بدر الدين موسى ابن زين الدين وهي امّ اولاده. ولم ينشأ منهم احد غير محمّد عاش بعد ابيه مدّة يسيرة وكان صغيرًا. وكانت وفاته رحمهُ الله (١

وبعد وفاة عزّ الدين المذكور جعلوا لولده محمّد نصف اقطاعه وجعلوا لسيف الدين ابي بكر ابن شهاب الدين احمد النصف الآخر ليناظر محمّدًا المذكور وكان صبيًّا صغيرًا عاش بعد أبيه مدّة ثمّ توفي واتّصل اقطاعهُ الى الامير عزّ الدين صدقة وذلك خارجًا عن الرحين والنصف اي الزيادة المشتراة من علاء الدين كان عزّ الدين حسن قد اعطاها شرف الدين عيسى بمنشور كتبهُ قبل وفاته

ذكر الامير ناصر الدين الحسين ابن تقيّ الدين ابرهيم ابن ناصر الدين

كان هذا من اهل الخير والدين والثقة كثير الدرس للعلوم صادق اللهجة مقبول القول متمسكًا بالكتاب والسنّة ودودًا لاصحابه كثير الشفقة والحنوّ عليهم محبًّا لاهل الخير يؤثر مجالستهم ومحادثتهم وكان قد نال من اقطاع ابن عمّ ابيه سعد الدين خضر ابن عزّ الدين حسن ثمّ باعهُ لحسام الدين عليّ بن عبد الحميد المقدّم ذكرهُ وذكرنا معهُ هذا الاقطاع. وتزوّج ناصر الدين المذكور ريمة بنت ظهير الدين عليّ بن جواد الرمطوني وهي أمّ اولاده. ثمّ توفيت وتزوّج بعدها حسناء بنت علاء الدين عليّ ابن زين الدين وكانت قبلهُ زوجة بدر الدين حسن بن عماد الدين موسى العراموني وكان زواجهُ بها في ثالث شهر شعبان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة (١٣٩٠ م) ولمّا توفي ناصر الدين المذكور كان عمرهُ خمسًا

١) كذا بلا ذكر السنة

واربعين سنة وكانت وفاتهُ رحمه الله في نهار السبت خامس عشر جمادى الآخرة سنة احدى وثمانمائة (١٣٩٩ م) (106r)

قدَّمنا ذكر هؤلاء المذكورين على ذكر ابنــاء اولاد زين الدين المبدوءْ بذكرهِ في الطبقة الثالثة لكون فيهم من هو اسنّ منهم واقدم عهداً فقدَّمناهم بالذكر على ابنــاء زين الدين لترتيب المعــاصرة التي عاصروا فيها بعضهم بعضاً وان كان منهم من هو اصغر من ابناء اولاد زين الدين فهو تبعٌ لقرابتهِ فاقتضت الحال ان نجعلهُ مع اقاربهِ ونجعــل ابناء اولاد زين الدين يتلو بعضهم بعضاً ويكون ذكرهم خاتمة طبقة جدّهم

ابناء اولاد زين الدين

فلنرجع الان الى ذكر ابناء اولاد زين الدين الذين يُعدُّون في اواخر الطبقة فانَّ منشأَهم في اواخر ايَّام جدهم زين الدين المذكور والصغير منهم ممَّن نشأَ بعد وفاة جدّهِ نجعلهُ خارجاً عن هذه الطبقة فيكون ذكرهُ مُلحقاً بهذه الطبقات الثلاث

ذكر الامير بدر الدين حسن ابن علاء الدين علي ابن زين الدين صالح

كان هذا حسن الخلقــة والاخلاق لطيفاً مع الناس محبوباً اليهم مشكوراً عندهم وكان ذا كرم وسماحة لهُ رغبـــة في الصيد والركوب. ونشأَ في رغد عيش. وكان اقطاعهُ اقطاعَ ابيهِ اتَّصل اليهمـــا من بني ابي الجيش وكان قد خرج عنهُ بعد وفاة ابيهِ سعد الدين عيسى التركماني فاسترجعهُ جدُّهُ زين الدين وجعلهُ لبدر الدين المذكور كما تقدَّم ذكر ذلك وذكر

ابيهِ وذكر جهات اقطاعهِ ايضاً. تزوَّج واسطة بنت شرف الدين سليمان (106v) ابن سعد الدين خضر وهي ام اولادهِ جميعاً ولم ينشأ منهم غير محمد واسماعيل. وكان زواجهُ بها في الثاني عشر جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة (١٣٧٠م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى سلخ شهر ربيع الاوَّل سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (١٣٨١م)

ذكر الامير ناصر الدين محمد ابن جمال الدين محمَّد بن زين الدين صالح

كان ذا عقل ومعرفة وحسن رأي وتدبير عيش محسناً في تصريف اموره جيِّد السياسة لنفسهِ حاسباً للعاقبة جازماً لرأيهِ متفكرًا في احوالهِ متذكِّرًا لاخبار الاقدمين قبلهُ عندهُ خبرةٌ باخبار السلف ومعرفة لانسابهم وتقلُّباتهم بالدُّوَل وما كان من حوادث الأيَّام السالفة. ومع هذا كان حسن الطريقة مشكور البصيرة محبًّا لاهل الخير يعرف مقادير الناس وكان لهُ نظرٌ وبصيرة في الهندسة والصنائع حاذقاً بعدَّة صنائع. فصياغتهُ حسنة ولم يروا في زمانهِ احسن ضربًا منهُ بالمطرقة واحذق في النجارة والخراطة وعمل الكرالك (١. وكان اذا وضع يدهُ في شيء اتقنهُ. وكتابتهُ حسنة وبالجملة كان عندهُ دربةٌ وخبرةٌ في ما يُعنى بهِ

وجهات اقطاعهِ نصف وربع بعورتا ومزرعة كفراغوص وذلك بجنديَّة حلقة اخذهُ من بني ابي الجيش. وعمَّر المذكور الطبقة الملاصقة عليَّتي ناصر الدين الحسين بن خضر (107r) وتزوَّج ناصر الدين المذكور صادقة ابنة عمَّتهِ. وابوها هو القاضي عماد الدين حسن بن ابي الحسن

١) الكرالك واحدها كرلك تعريب قرلق بالتركية وهي الاكواز يبرَّد بها الماء

المنصوري. واخبرني رجلٌ انّهُ لمَّا توفّي والد ناصر الدين محمد كانت امُّهُ حاملًا بهِ وكانت وفاة والدهِ جمال الدين محمَّد سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م). فلمَّا وُلد ولدهُ سمَّوهُ باسم ابيهِ. فلمَّا توفّي جدُّ ابيـهِ وهو ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين خضر في الثالث عشر شوَّال سنة احدى وخمسين وسبعمائة (١٣٥٠م) كان عمر ناصر الدين المذكور سنتين ونصفًا فلقَّبوهُ ناصر الدين بلقب جدّ ابيـهِ ناصر الدين الحسين. وتوفي بدمشق بمرض الزنطاريَّة ودُفن بظاهر الباب الصغير وذلك في ..(١ وكان المذكور كثير التردُّد الى دمشق ولمَّا توفّي لم يُعقب خلفًا

ذكر الامير علم الدين سليمان ابن شهاب الدين احمد ابن زين الدين صالح

نشوُّهُ نشوُّ اهل الفضل كما قيل: « الشبل في المخبر مثـل الاسد » وكان مهذَّب النفس مؤدَّب الاخلاق عاقلًا فاضلًا حسن الذات والصفات مُغرى بالكتابة فنال منها طائـلًا ولو طال عمرهُ لكتب المنسوب وأتقنـهُ. وقد رأيتُ بخطِهِ مصحفًا حمائليًّا بقلم الحواشي وكتابتهُ كيِّسة. تزوَّج المذكور خاتون بنت عمّهِ عـلاء الدين عليّ ابن زين الدين وهي امُّ ولدهِ بهـاء الدين داود الآتي ذكرهُ ان شاء الله. واماًّ علم الدين المذكور فهو اوَّل ($107^{٧}$) اولاد ابيهِ شهاب الدين احمد. وقد ذكرنا انَّ زواج شهاب الدين ابيهِ كان يوم زواج عمّهِ تقيّ الدين ابراهيم في سادس شعبان سنة اثنتـين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م) بامرأتهِ الاولى وهي زمرُّد بنت خالهِ جواد ابن علم الدين سليمان الرمطوني وهي امّ علم الدين

١) كذا بدون تعيين السنة

سليمان هذا وسمي جدّ ابيهِ وهو اوّل اولاد ابيهِ كما ذكرنا. ذكرتُ ذلك لتقدير المعرفة بالولد ليكون ذلك تقريباً لمعرفـة اوّل عمر المذكور. واماَّ وفاتهُ رحمهُ الله . . .(١

ذكر اخيهِ الامير شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد ابن زين الدين صالح

كان هذا الامير سيّدًا جليل القـدر عالي المنزلة موقّرًا بين الناس ذا عقلٍ وحزم وحسن سياسة وتدبير وكان رجلًا كبير النفس شفوقاً وراعياً رفوقاً وابنَ عمٍّ مسايرًا وإلفاً موآزرًا. فكم لهُ من افعال جمّـة واياد بالاحسان عامّة جمع بين علم ودين ودنيا مع كتابة مليحة. والفاظ فصيحة . وكان ينظم الشعر المليح. فكم لهُ من قصيدة ومديح لم يَسِرْ احد في ارجوزتهِ احسن من سيرهِ. فمن شعرهِ قصيدةٌ مدح فيها السلطان الظاهر برقوق منها (٢ قولهُ (108^r) :

ملكٌ على الافلاك يعلو مجدهُ   والانسُ ثمَّ الجنُّ ايضاً جندهُ
وفي المكارمْ كان حاتمْ عبدهُ   قد فاز مذ اضحى نزيلًا عقدهُ
لانهُ آمنْ صروف الدَّهرِ (كذا)

خضعتْ لهُ كلُّ الملوك لبأسهِ   والدين والتقوى شعار لباسهِ
ما في ملوك الاولين قيـاسهُ   اقسمتُ بالله ونعمة رأسهِ
بانهُ اشرفْ ملوك مصرِ (كذا)

(108^v) ولهُ من قصيدةٍ لمَّا قدم الملك المؤيد الى دمشق:

لك السعد والاقبال والنصر قد بدا   ورأيك في كلّ الامور مسدَّدا (٣

١) كذا دون ذكر السنة   ٢) قد ذكر المؤلف هذه القصيدة في اصل الكتاب الّا انّها كثيرة الاغلاط مختلّة الوزن كما ترى في المثال الذي نورده هنا
٣) كذا. وفي رواية ابن سباط : مشيَّدا

فحين حلتَ الشام اذهبتَ ظلمةً واشرقت نورًا بعد ما كان اسودا
ملأتَ جميع الارض عدلًا ورحمةً كما مُلئت جورًا وظلمًا وإعتدا
فانت الذي تُرجى لكلّ ملمّةٍ لك الدهر عبدٌ طائعًا ومساعدا (١

(109r) ولهُ اشعار كثيرة ضربتُ عنها خوف الاطالة. ولمّا كانت سنة الجراد التي وقعت بعد دخول تيمورلنك وحصل ذلك الغلاء الذي ذهبتْ فيهِ الانفس توجّه المذكور الى بلاد مصر فابتاع قمحًا واحضرهُ في البحر الى بيروت فحصل لهُ وللناس بذلك خيرًا كثيرًا (٢

وفي ايّام الملك الناصر فرج بن برقوق استقطع اقوامًا فطرة صيام رمضان التي كانت استُقطعت في ايّام جدّهِ زين الدين فابطلها وغرم عليها من مالهِ ولم يُغرم احدًا من مالهِ شيئًا اقتداء بما فعلهُ جدّهُ المذكور لمّا استقطعها طبطق الرمّاح. وطبطق المذكور اوّل من احدثها في سنة اربع او خمس وسبعين وسبعمائة (١٣٦٣ — ١٣٦٤) وقد تقدّم ذكر ذلك. ومع هذا كان شرف الدين المذكور ناظرًا في سداد الحال مفكرًا في العواقب كثير الرفد للناس عمّالًا للخير مشكور السيرة وكانت بيدهِ وبيد اخيهِ الامير سيف الدين امريّة والدهما وهي بينهما مناصفة لكلّ منهما امرة خمسة. فتنزل شرف الدين عمّا يخصّهُ فيها لولديهِ وابقى في يدهِ اقطاعًا كان اشتراهُ من سيف الدين غلّاب المقدّم ذكرهُ ومن ناصر الدين محمد ابن بدر الدين الآتي ذكرهُ ان شاء الله. وجهاتهُ عين حجيّة والفسيقين ونصف شطرا

١) كذا. وفي الاصل ابيات غير هذه لكنّها مشحونة بالاغلاط النحويّة

٢) قال ابن سباط : ان شرف الدين عيسى حضر حرب دمياط مع الملك الظاهر ثمّ كان في حرب قبرس

وتزوّج المذكور حسنات بنت شرف الدين سليمان ابن سعد الدين خضر في ثاني شعبان سنة ثمان وسبعين وسبعمائة (١٣٧٧م) وهي امرأتهُ الاولى. والثانية هي ابنة الشيخ اسماعيل. (109^v) وامّهُ زمرّد بنت عزّ الدين جواد. ومولدهُ ثاني مولد اخيهِ المذكور قبلهُ. ومولد اخيهِ بعد تاريخ زواج ابيهِ بمدّة لا تكثر على مدّة الحمل والولادة وهي سادس شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م). وتاريخ زواج ابيهما يُعرف بتاريخ مولدهما. ووفاتهُ رحمهُ الله بعلّة السكتة وكان مرضهُ اربعة ايّام لم يقدر في مدّتها على الكلام وتوفي في العشر الاخير من ربيع الآخر سنة ست وعشرين وثمانمائة (١٤٢٢ م)

الخارجون عن الطبقة الثالثة

امّا الخارجون عن الطبقة الثالثة فهم الذين نشأوا بعد وفاة جدّهم زين الدين صاحب هذه الطبقة. فمنهم من كان مولدهُ قبل وفاتهِ ومنهم بعد وفاتهِ بسنين فألحقنا ذكرهم بهذه الطبقات الثلاث فصار ذكرهم باباً مفرداً بصفة باب رابع لاحق بها

الامير سيف الدين ابو بكر ابن شهاب الدين احمد

هو اخو شرف الدين السابق ذكرهُ. كان رجلاً شهماً شجاعاً مقداماً ذا كرم ومروّة جازماً لرأيهِ جيد البصيرة محسناً ذا مودّة بين الناس مُغرى بالصيد بالجوارح والطيور والكلاب يرمي النشّاب عن قوس قويّة. حضر مع الملك الظاهر برقوق حصار الشام فكان معهُ في وقعة (110^r) شقحب لمّا كسر منطاش. ثم حضر مع عساكر الشام ونائب الشام يلبغا

الناصري الحروب التي جرت لهم مع منطاش . ثم حضر وقعة الناصري المذكور مع عرب نعير وغيرها من الحروب

وفي سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق تملّك الطامعون على بعض اقطاعاته واقطاع اقاربهِ فتوجّه الى مصر وتعرّف بأينال حطب (كذا) من اعيان امراء مصر واسترجع ما خرج من الاقطاع وحصل بسفرتهِ هذه على نفع . وجهات اقطاعهِ شطرٌ من اقطاع ابيهِ شركةً مع اخيهِ شرف الدين لكل منهما امريّة خمسة . فلمّا توفي عزّ الدين ابن علاء الدين العراموني بقيت بيد شرف الدين امريّة الخمسة بكمالها وهي المباعة من علاء الدين لشرف الدين وعزّ الدين . فجعلوا خبز عزّ الدين الذي كان تلقّاهُ عن ابيهِ ظهير الدين مناصفةً نصف منهُ لمحمد ابن عزّ الدين وكان محمّد صغيرًا ونصف لسيف الدين ابي بكر المذكور بما فيهِ من جهات بيروت زيادةً على اقطاع عزّ الدين

وتزوّج سيف الدين المذكور سارة بنت شرف الدين سليمان ابن سعد الدين وهي ام ولدهِ احمد . وتوفي احمد صغيرًا وكانت تلوح عليهِ ملامح النجابة وحسن الخلق وتوقّد الذهن . توفّي بعد وفاة امّهِ سارة وفي ايام ابيهِ ولم يكن لهُ ولد ذكر غيرهُ . ثمّ تزوّج سيف الدين المذكور بزينب بنت عزّ الدين الحسين ابن بدر الدين يوسف (١١٥ v) العراموني . وكانت وفاتهُ رحمهُ الله تعالى ليلة الاربعاء السابع عشر من شهر ذي القعدة سنة ثلثين وثمانمائة (١٤٢٧ م)

ذكر الامير فخر الدين عثمان ابن سيف الدين يحيى ابن زين الدين صالح

كان فخر الدين شابًّا عاقلًا فطنًا ذا معرفة وافرة حوى منذ صغر

سنّهِ فنوناً من المعارف مع كتابة حسنة وبلاغة وفصاحة . وكتب مدَّةً على الزيلعيّ شيخ الشام بالكتابة المنسوبة ثمَّ جوَّد على شهاب الدين ابن جوبان الكاتب بعض تجويد وتعلّم شيئاً من النحو وحفظ ملحة الاعراب للحريري وكان لهُ رغبة في مطالعة الكتب وتواريخ الاقدمين والنظر في كتبهم ولهُ معرفة في القريض والنثر بقريحة شريفة ونَسْج المعاني وانشاء الكلام وكان اذا شرع في كتابة شيءٍ من المكاتبات والمراسلات وغيرها اشغلهُ ذلك عن سماع كلام الخاطِب لهُ وعن ردّ الجواب عليهِ . واجمع من رأوهُ على انهم لم يروا احدًا على هذه الطريقة مثلهُ ومثل الشيخ الثقة (كذا) الذي كان نائباً عن ناظر الجيش في ديوان الجيش بالشام وبالجملة فالمذكور كان جامعاً محاسن كثيرة محتوياً على لطائف عدَّة منها ما كان يحفظهُ لبديع الزمان من نظم ونثر وبعض معرفة بالجبر والمقابلة وصناعة الحساب اشتغل في ذلك على نجم الدين كاتب الميناء في بيروت

وتولّى رئاسة ابيهِ بعد وفاتهِ سنة تسعين وسبعمائة (١٣٨٨ م) وكان عمرهُ اذ ذاك (III؟) قريباً من ثماني عشرة سنة فحزَّم رأيهُ وساس نفسهُ سياسةً تعجز عنها الشيوخ الكبار . وسمعتُ من جماعة شيوخ لهم قدمةٌ في السنّ من البيت ومن غيرهِ انهُ لم ينشأ في البيت مثلهُ في صغر سنّهِ فسلك في رئاستهِ احسن طريقة فشكرهُ قومهُ وكان الناس يتعجَّبون من حسن عقلهِ وسياستهِ في صغر سنهِ مع انّهُ قاسى في ايّامهِ صعوبةً ومشقَّةً من اختلاف الدول وما جرى بينها من الفتن مع جملة الديون الكثيرة المتخلفة عن والدهِ والمغارم والكُلَف بتغيُّرات نوّاب الشام في تلك السنين . ومع هذا جميعهِ كان ثابت الجأش رابط الحزم قويَّ الهمّة

شديد العزم حجَّ الى البيت الحرام مع ابيهِ كما تقدَّم ذكرهُ وكان المذكور متوليًا جميع امور ابيهِ

ذكر بعض حوادث جرت في ايامهِ

في سنة احدى وتسعين وسبعمائة (١٣٧٩ م) خرج السلطان الملك الظاهر برقوق من سجن الكرك وحضر الى دمشق وحاصرها بعد ان كسر نائبها جنتمر. وكان في ذلك الوقت دولت بار السنجاري عيَّنهُ امراء الطبلخانات بدمشق متوليًا في بيروت. فارسل السلطان برقوق مرسومهُ وهو محاصر لدمشق الى امراء الغرب يستدعيهم بالحضور اليهِ ورسم لهم ان يحملوا على دولت بار المتولّي ويمسكوهُ ان امتنع عن الحضور معهم. وورد ايضًا على دولت بار المذكور مرسوم بمثل ذلك. فاتّفقوا جميعًا وتوجَّهوا الى السلطان برقوق (١ وهو مقيم (^٧^ III) على قبَّة يلبغا محاصرًا لدمشق وطلب منهم رصاص منجنيق كان في بيروت فارسلوا عزّ الدين حسن ابن ظهير الدين عليّ بن جواد لاحضار ذلك

ونظر السلطان برقوق امراء الغرب بعين المحبَّة واستمرُّوا عندهُ في هناء حتى حضر تمرغا منطاش بالسلطان حاجي الملقَّب بالمنصور وبالعساكر المصريَّة. فتوجَّه السلطان برقوق الى شقحب لقتال منطاش ومن حضر

١) جاء في حاشية الكتاب ما نصُّهُ: اسماء امراء الغرب الذين توجَّهوا الى السلطان برقوق في قبَّة يلبغا: فخر الدين عثمان وعماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين وعزّ الدين ابن حسن ابن ظهير الدين وسيف الدين ابو بكر وناصر الدين محمَّد ابن جمال الدين. وهؤلاء حضروا المصافّ على شقحب خلا عماد الدين الذي رجع الى البلاد عند ما ركب برقوق الى جهة شقحب ولحق باهل الغرب

معهُ وجعل على ميمنتهِ كتبغا الحمويّ نائب حلب. وكان امراء الغرب مع كتبغا المذكور في الميمنة فكسر عساكر منطاش ميمنة برقوق فانهزم كتبغا وامراء الغرب معهُ وعادوا الى بلادهم وهم يظنُّون انَّ برقوق مكسور مع انهُ كان منصورًا في تلك الوقعة

فلمَّا وصل امراء الغرب الى الغرب وجدوا ارغون من قبل المنطاشيَّة قد حضر الى بيروت متوليًا عليها واجتمع عليهِ عليّ ابن الاعمى واقاربهُ من تركمان كسروان وجماعة من المنطاشيَّة. وكان الغرب قد عصى عليهم لكون اقاربهم عند السلطان برقوق. فتوجَّهوا لمحاربتهم ونزل اهل الغرب الى قرب الساحل ولم يحسنوا التدبير فاستظهر عليهم المنطاشيَّة وقتلوا منهم تسعين نفرًا ومسكوا منهم جماعة فسمّروا منهم البعض ووسَّطوا البعض ونهبوا ما وجدوا في بيروت لامراء الغرب. وكان لفخر الدين المذكور في بيروت زيت وصابون وقماش وآلات مختلفة عن والدهِ فنهبوا ذلك جميعهُ (112[٢]) وحصل على المذكور بذلك ضرر كثير وكان قد حصل عند امراء الغرب من هزيمتهم من شقحب حاصل كبير فتضاعف بما جرى في الغرب من جهة المنطاشيَّة. فما تمادى بهم المقام في البلاد حتى تعقَّبهم من كان تخلَّف عنهم من جماعتهم في شقحب واخبروهم بان السلطان برقوق انتصر على منطاش في وقعة شقحب ثم فاز بهِ في وقعة ثانية بظاهر دمشق وقيل لهم ان السلطان توجَّه منصورًا الى مصر وفي قبضتهِ الخليفة والسلطان حاجي ابن الاشرف شعبان والقضاة الاربعة. فلمَّا تحقَّق امراء الغرب ذلك توجَّهوا على الساحل الى مصر وكان توجُّههم الى مصر في اواخر محرَّم سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة (١٣٩٠م) فكان وصولهم الى مصر عقيب

وصول السلطان برقوق حتى ظنّ انهم حضروا في جملة العساكر معهُ وأنفق عليهم مثلما أنفق على العساكر واعطى السلطان برقوق نيابة الشام الطنبغا الجوبانيّ . فلمَّا عاد امراء الغرب الى البلاد وجدوا عليّ بن الاعمى وجماعة تركمان كسروان قد طلعوا واوقعوا باهل الغرب وكسروهم وقتلوا منهم جماعة ونهبوا عدّة قرى وكان في جملة المقتولين عماد الدين موسى ابن حسَّان ابن ارسلان وكان المذكور خير قومهِ واجودهم . فلمَّا استقرَّت قواعد الدولة الظاهريَّة جرَّدوا لمقاتلة تركمان كسروان علاء الدين ابن الحرفوش (؟) وعشران البقاع فقتلوا عليّ بن الاعمى وهزموا جماعتهُ (112^٧) من التركمان وبعد مدَّة مسكوا اخاهُ عمر بن الاعمى ثمَّ افرجوا عنهُ بعد حبسهِ مدَّة وحصل عليهِ مشقَّة

فلمَّا جرت الواقعة التي قُتل فيها الجوباني اعطَوا يلبغا الناصريّ نيابة الشام . فطلب امراء الغرب ان يكونوا مجرَّدين بدمشق فتوجَّه فخر الدين وجماعتهُ وحضروا مع يلبغا الناصريّ في الحروب التي كانت بينهُ وبين منطاش بدمشق وقتل جماعة امراء الغرب في هذه الحروب المذكورة عزّ الدين عبد العزيز الصقلاني محتسب بيروت . ولمَّا جرى المصافّ بين الناصري المذكور ونعير (؟) البدويّ بارض عذراء بظاهر دمشق كان امراء الغرب مع الناصريّ وكانت الكسرة على الناصري وجرى على عسكر الشام كلُّ مكروه ونُهب امراء الغرب وجميع جماعتهم وجُرح منهم جماعة . وممَّن جُرح فخر الدين المذكور في صدغهِ جرحاً بليغاً وفُقد شجاع الدين عبد الرحمان ابن عماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين محمد . وقُتل في ذلك اليوم علاء الدين ابن الحاش (؟) وكان ذا سطوة

وكان منطاش قد قتل قبلهُ اباهُ واخاهُ امسكهما في بعلبك. وكان السلطان قد اعطى علاء الدين المذكور امرة طبلخاناة. ولم تزل بلاد الشام في خباط حتى قُتل منطاش وحضر السلطان برقوق الى حلب وقتل الناصريّ فهدأت بلاد الشام بذلك فلمّا سكن الاضطراب جعل السلطان يولّي على الشام في كلّ وقت نائبًا جديدًا فما زال امراء الغرب وفخر الدين في مغارم وتعب حتى تولّى الشام تَنَم (113r)

فاستقرّت القواعد وكانت أيّام تَنَم احسن الايام وكان فخر الدين المذكور بعد وفاة ابيهِ قد شرع في تكملة ايوان بيروت الذي كان عمّرهُ ابوهُ وكان تأخّر من عملهِ البياض والطراز والترخيم فلم يكمل ذلك حتى جرت حركة المنطاشيّة في بيروت فبطل الصنّاع منهُ ولم يكمل ذلك. وكان فخر الدين قد شرع بوفاء ديون ابيهِ فوفى منها جانبًا ولم يطل عمرهُ حتى يكملها وكان كبير الاجتهاد عليها. وفاتهُ رحمهُ الله تعالى في الثلث الاوّل من ليلة الاربعاء عشرين من شهر محرَّم سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٣ م). وقد اجمع قول اقاربهِ على أنهُ لمّا توفي كان عمرهُ اربعًا وعشرين سنة ومنهم من قال انّها تنقص شهرًا واحدًا ومنهم من قال انّها تزيد اربعة عشر يومًا. ثمّ بعد وفاتهِ بأيّام قليلة كان طاعون هلك فيهِ صبيان كثيرون واطفال وبعض الكبار. وكان عامًّا في سائر البلاد(١

والصغار الذين توفوا من البيت هم عبد الرحمان سميّ اخٍ لهُ توفّي قبلهُ واحمد وفاطمة وهؤلاء اخوة فخر الدين عثمان المذكور. وتوفّي احمد

١) جاء في هامش الكتاب بيتان في الطاعون:

« قُبّح الطاعون داءً ذهبتْ فيهِ الاحبّة
ارخص الانفسَ بيعًا كلّ محبوبٍ بحبّه »

ابن شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد وحسن ابن ناهض الدين حمزة ابن فتح الدين محمد ثمَّ ابراهيم وكان سميٌّ اخٍ لهُ توفي قبلهُ وهو ابن ناصر الدين الحسين ابن تقيّ الدين ابراهيم بن الحسين ثم عليّ وكان سميّ اخٍ لهُ توفي قبلهُ. ثمَّ احمد ويوسف واختهما اولاد عزّ الدين ابن عليّ ابن جواد. هؤلاء جميعهم كانت وفاتهم في جمـادى الاولى سنة ست وتسعين وسبعمائة (١٣٩٤ م) (113[٧])

ذكر الامير شجاع الدين عبد الرحمان بن عماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين محمد

كان هذا الامير شجاعاً جوادًا متطبّعاً باخلاق الناس وكان ابوهُ عماد الدين اسماعيل قد نزل لهُ عن اقطاعهِ وهو امريّة عشرة فتجرّد مع امراء الغرب في نوبة يلبغا الناصريّ صاحب الشام لمّا حارب نعيرَ امير العرب على قرية عذراء بظاهر دمشق وانهزم الناصري المذكور وسلبت عربان نعـير عسكر الشام وقتلت منهم خلقاً كثيرًا وسلبوا امراء الغرب وجُرح منهم جماعة وفُقد من بينهم شجاع الدين عبد الرحمان المذكور وذلك سنة ستّ وتسعين وسبعمائـة (١٣٩٣م). وكان عمرهُ قريباً من سبع عشرة سنة وكان مع هذا السنّ رجلًا ملتحياً يعلق المشط بلحيتهِ وبقي اهلهُ مدّة بعد فقدهِ يرجون انهُ اسير عرب نعير ويُعلّلون نفوسهم بعودهِ ثمَّ أَيِسـوا بعد مدّة واسترجع ابوهُ الاقطاع عن ولدهِ لانهُ لم يكن لهُ ولد ذكر غيرهُ

ذكر الامير جماء الدين داود بن علم الدين سليمان ابن شهاب الدين احمد

كان رجلًا عاقلًا قليل الجهل ساكن الطباع ريّض النفس لم يكن عندهُ التفات الى شيء من انواع الصيد واللهو ساس نفسهُ ودبّر حالهُ بعقل ودعةٍ. وأُغري بالكتابة فكتب كتابة كيّسة واجود كتابتهِ الثلث وهو

دون طبقة ابيهِ المقدَّم ذكرهُ . واشتغل في صناعة الصياغة ونقشهُ جيّد اقتبس الصياغة من خالهِ ناصر الدين محمد (114) ابن جمال الدين محمد ابن زين الدين . واقطاعهُ ريحان ونصف وهو كان اوَّلًا لصلاح الدين من بني اولاد ابي الجيش من عرامون. وكان لصلاح الدين المذكور امريَّة خمسة . فاتّفق شهاب الدين احمد واخوهُ سيف الدين يحيي ولدا زين الدين على اخذ هذه الامريَّة وان يجعلاها لولديهما علم الدين سليمان ابن شهاب الدين ولفخر الدين عثمان ابن سيف الدين فلم يحضر المنشور حتى توّفي علم الدين المذكور فتزل شهاب الدين لابن اخيهِ فخر الدين عمّا كان باسم ولدهِ وبقيت امريّة الخمسة بكمالها لفخر الدين. فلمّا توفي فخر الدين في عشرين محرَّم سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٣ م) جعلوا لبهاء الدين داود نصف امريّة بواسطة عمّيهِ شرف الدين وسيف الدين ابي بكر السابق ذكرهما

وكان مولد بهاء الدين داود نقلًا عن خطّ والدهِ المغرب من نهار الجمعة العاشر من شهر شعبان سنة اربع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٣م) الموافق للرابع من شهر شباط . ولمّا جاء تيمرلنك الى بلاد الشام سنة ثلاث وثمانمائة (١٤٠٠ م) وحضر الملك الناصر فرج بن برقوق لمحاربتهِ ارسل قبل وصولهِ الى دمشق مرسومًا الى تنكز بغا نائب بعلبك والكاشف على صيداء وبيروت ان يأخذ عشران البقاع وصيداء وبيروت ويلاقي السلطان الى دمشق فحضر تنكز بغا الى صيداء وبيروت فتوجَّه امراء الغرب معهُ وبينهم بهاء الدين المذكور وتوجّه المقدَّمون والعشران من ثلاث معاملات ومعهم متولّي بيروت وهو (114) ناصر الدين

محمد بن سويدان البيدمري. فلمَّا وصلوا وادي دُمَّر وراء جبل الصالحيَّة وجدوا عساكر السلطان هاربة من تيمرلنك فرجع المذكورون مع الهاربين وتصوَّر لهم ان التيمرلنكيَّة تطردهم فـلاذوا هم ايضاً الى الهرب ورموا لبوسهم وبعض سلاحهم وقماشهم ليخفِّفوا بذلك عن خيولهم ووثقوا على السرعة بالخفَّة. ففارق كلّ خلّ خليلهُ ولم يلتفت الرفيق الى رفيقهِ وفُقـد في ذلك اليوم بهاء الدين المذكور ولم يُعلم لهُ خبر. فمن رفقتهِ من قال: رايتهُ وصل الى البقاع. ومنهم من قال: كان قدَّامنا عند وصولنا الى زبدل. ومنهم من قال: انقطع عند ميسنون(١ ولم يصل الى البقاع. ومنهم من ظنَّ انَّهُ اختلط بعسكر السلطان وراح معهم الى وادي التيم. واختلف القول في امر المـذكور ولكن القول المرجَّح انَّهُ تعدَّى البقاع في اوائل الناس. والمظنون انَّهُ أُصيب عند بساتين زبدل او فوقها والله اعلم « وعنـد الله تلتقي الخصوم »

وقد أُصيب من عسكر السلطان في ذلك اليوم وبعدهُ من العشران واهل الجبال خلقٌ كثير ومن انفرد من العسكر اباده العدوّ سلباً وقتلاً وبيعت الخيل واللبوس والسلاح بارخص الاثمان. وجرى على المنفردين من العسكر ما لا يستحلُّهُ عبَّاد النار والاوثان فنسأَل الله العفو والعافية. وكان هرب العسكر من تيمرلنك يوم الجمعة العشرين من جمادى الاول سنة ثلاث وثمانمائة (١٤٠٠ م) وهو اليوم الذي فُقد فيـهِ بهاء الدين المذكور

١) ميسنون ويقال اليوم ميسلون فوق عقبة الطين وقبل صحراء الشام (عن الامير شكيب ارسلان)

(115r) ذكر الاميرَين فتح الدين محمد واخيهِ صلاح الدين يوسف
ولدي ناهض الدين حمزة بن محمَّد ابن سعد الدين خضر
ابن نجم الدين محمَّد

كان فتح الدين اكبر من اخيهِ وامُّهُ هي بنت عمّ ابيهِ صلاح الدين ابن سعد الدين وهي امرأة ناهض الدين الاولى. وكان فتح الدين المذكور حازمـاً برأيهِ مدبّرًا لنفسهِ ضابطاً لحاجتهِ لا يرى على نفسه الحاجة الى احد ولا يختار تكليف الناس لهُ. تزوَّج حسنـات بنت شرف الدين سليمان بن خضر وهي امرأتهُ الاولى وامُّ اولادهِ. وكانت قبلهُ امرأة بدر الدين حسن بن عليّ. وكان ناهض الدين حمزة قـد نزل عن اقطاعهِ لولديهِ فتح الدين وصلاح الدين. وكانت وفـاة فتح الدين المذكور رحمهُ الله (١

وامَّا صلاح الدين يوسف اخوهُ فكان ذا عقل وفطنة وذكاء يحفظ فصولًا كثيرة من الحكمة واشتغل بالنحو وكان جيّد النظر في حقّ نفسهِ مترقّباً لحالهِ مقتصدًا للتمييز بين الناس. وكان لهُ رغبة في مطالعة الكتب وتحصيلها وأُغري بالصيد بالكلاب والبزاة وكان عندهُ ميل الى اهل الخير والحنوّ عليهم. وسكن بيصور في عمارة عمّهِ عمـاد الدين اسمعيل المقدَّم ذكرهُ وذلك بعد وفاة عمّهِ وكان سكنهُ في بيصور اوّلًا في ايَّام عمّهِ لمَّا تزوَّج بنتهُ واستمرَّ في عمائرهِ بعدهُ. وامُّهُ خاتون بنت علاء الدين عليّ ابن زين الدين وهي امُّ بهاء الدين داود بن سليمان وهو اخوهُ من امّهِ ولهذا

١) كذا في الاصل دون تعيين السنة

جعلتُ هذه الترجمة بعد ترجمة بهاء الدين للمناسبة. وكانت وفاتهُ رحمهُ الله تعـالى في العشرين من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة (١٤١٠ م) (2II٣)

ذكر الامير ناصر الدين محمَّد ابن شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد ابن زين الدين

كان شابًّا شهمًا ذا شجاعة وسخـاء وكرم ومحاسن في ذاتهِ ممتازًا بالحشمة والرتبة. وكان ابوهُ شرف الدين عيسى قد افرد لهُ اقطاعًا وهو الفسيقـين وعين حجَّيه ونصف شطرا. كان مولدهُ في السابع عشر من جمادى الآخرة سنة اربع وتسعين وسبعمائة (١٣٩٢ م). ووفاتهُ رحمـهُ الله بمرض الكلَب من عضَّةٍ أُصيب بها من كلب كَلِب فتوفي منهـا في الثاني عشر صفر سنة ثلاث عشر وثمانمائة (١٤١٠م) وقاسى مشقَّةً في مرضهِ وكان عندهُ صبر وتجلُّد. ومن عادة هذا المرض انّ صاحبهُ لا يقدر على مقابلة الماء البتَّة. والمذكور كان يجـبر نفسهُ كرهًا على مقابلة الماء وشربهِ فيحصل بذلك عليهِ ألم عظيم وهو شديد الاحتمال لما يجـدهُ من عظم المشقَّة ومكابدة الصبر على ذهاب النفس. ورثاهُ ابوهُ بعدهُ بقصائد فمن ذلك قولهُ من قصيدةٍ (١ :

حكمَ الزمان فشقوتي ما اصنعُ لا حيلةٌ لي في القضا لا مدفعُ
مات الذي قد كنتُ آملُ انَّهُ عند الخطوب شتاتَ شملي يجمعُ
أُرميتُ فيـهِ بسهم حتفٍ صابني وسط الفؤاد فنصلهُ لا يُنزعُ

١) ضربنا صفحًا عن ذكر بعض ابيات هذه القصيدة لكثرة اغلاطها

يا ليتهُ من قبل فَقدِ محمَّدٍ ارواني كاسٌ بالمنيَّة مترعُ
أَسفي عليهِ بان يموت بعضَّةٍ من ناب كلبٍ فيهِ سمٌّ منقعُ (116r)

وفي اليوم الذي توفّي فيـــهِ ناصر الدين محمد المذكور توفّي ايضاً عليّ ابن بهاء الدين داود ابن علم الدين سليمان ابن شهاب الدين احمــد وكان ابن اثـنتي عشرة سنة بنيّف قليل. وكان لهُ رغبة في الكتابة ويدمن النظر فيها. وفي الخامس عشر من شهر صفر المذكور بعد وفاتهما بيومين توفي احمد ابن سيف الدين ابو بكر ابن شهاب الدين احمد وهو ابن عم ناصر الدين محمّد المذكور وكان ربي معهُ وعمرهُ قريب من عمر عليّ ابن بهاء الدين وكان حسن النشوّ قد امتـــاز بالشطارة والمروّة وكلاهما اعني عليًّا واحمد المذكورين توفّيـــا مطعونين بالطاعون الذي حدث في السنة المذكورة وهي الثلاث عشرة وثمانمائـة (١٤١٠م). ومن مراثي شرف الدين لولدهِ ناصر الدين محمد ولعليّ واحمد المذكورين قولهُ من قصيدةٍ:

ما لي ومالك يازمان الأَنكدِ(١ فرق الردى بيني وبين محمَّدِ
اعدمتني شخصاً عدمتُ بفقدهِ كل اصطباري والقوى وتجلُّدي
وتركتَ قلبي دائمًا في حسرةٍ والعين مني مثل عين الأَرمدِ (116v)

ومنها:

انَّ الرزيَّة لا رزيَّة مثلهـــا فقدي لمثل عليْ ومثل محمدِ
قمران من قبل الكمال تخسَّفا قد كان يومهما عظيم المشهدِ
رجّت لموتهما البلادُ واظلمت فترى النهـــار كمثل ليل اسودِ

وقال فيها عن احمد:

١) هكذا في الاصل

شهمٌ اذا استسقى الغمامَ بوجهِهِ هطلت وجاءت بالسحابِ المرعدِ
كالرمحِ قدًّا والسيوف صرامةً والبدر نورًا او كغصنٍ أملدِ
ان كان في سنّ الصباء فعقلهُ عقلُ الكهول ورتبـة المترشّدِ

ذكر علم الدين سليمان ابن بدر الدين محمد ابن صلاح الدين يوسف
ابن سعد الدين خضر

كان رجلًا خيّرًا ذا عقل وسكون عندهُ مروءة ولين خلق ورقّة نفس محبًّا لاقاربِهِ يبتهج لسرورهم ويفكُّ المعضلات من امورهم. تزوّج امرأتين الاولى بنت ناصر الدين الحسين ابن تقيّ الدين ابراهيم ابن ناصر الدين الحسين والثانية امُّ اولادهِ. وسكن قاعة ناصر الدين حَميهِ. مولدهُ الظهر من نهار الاحد في الثـالث من ربيع الآخر سنة احدى وسبعين وسبعمائة (١٣٦٩م). ووفاته رحمهُ الله (١ (117^r)

ذكر القاضي جاء الدين صدقة ابن القاضي عماد الدين حسن ابن جمال الدين

كان يتولّى نيابة القضاء في الغرب على قاعدة ابيهِ وجدهِ وكان رقيق النفس ريّض الخلق وطيءُ الجانب حسن التدبير لحالهِ عاملًا بتقوى الله محبًّا لاهل الخير معدودًا منهم وكان عندهُ بعض معرفة بصناعة الطبّ يصف الادوية للضعفاء ابتغاء الثواب ويحتكر الادوية والادهـان والاكحال ليتصدّق بها على من تدعوهُ الحاجة اليـهِ. تزوّج المذكور امرأتين الاولى زمرُّد بنت ناهض الدين حمزة ابن فتح الدين محمد ابن سعد الدين وهي امُّ ولدهِ علاء الدين عليّ. والمرأة الثانية فاطمة بنت فتح الدين محمّد ابن

١) كذا بدون تعيين السنة

ناهض الدين حمزة وهي امُّ بقيَّة اولادهِ . وفاتهُ رحمهُ الله (١

واماَّ ولدهُ علاء الدين عليّ ابن بهاء الدين صدقة فتولّى نيابة القضاء على طريقة ابيهِ المذكور وكان سليم الخاطر ساذج الطباع متواضعاً ذا نفس ريّضة وجانب ليّن لا يعرف طرُق الشرّ ولا العدوان . مولدهُ — (٢ ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى في الثاني عشر من شوال سنة خمس وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٢ م)

ذكر الامير ناصر الدين محمد ابن علاء الدين عليّ ابن شمس الدين محمد ابن سيف الدين مفرج

كان ذا مروّة وشجاعة يرمي النشّاب ويهوى الصيد بالطيور والجوارح (117[v]) واللعب بالحجل وكان كثير المواظبة على الصيد في اكثر فصول السنة لا ينقطع عنهُ الّا في اوقات يسيرة . وكان خيّرًا في حقّ اصحابهِ وعشيرتهِ محبًّا لهم . وتزوّج امرأتين الاولى بنت شهاب الدين احمد ابن زين الدين والثانية خديجة بنت سيف الدين ابي بكر ابن شهاب الدين احمد المذكور . توفّيت زوجتهُ الثانية بعد وفاتهِ بيومين وكان قد استقرَّ على اقطاع ابيهِ . وكانت وفاة ناصر الدين المذكور رحمهُ الله تعالى في العشر الآخر من شهر صفر سنة ستّ وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٢ م)

ذكر الامير ناصر الدين محمَّد ابن بدر الدين حسن ابن علاء الدين عليّ ابن زين الدين

كان رجلًا عاقلًا ذا مروّة وحسن رأي جيّد التدبير ناظرًا في إصلاح

١) كذا بلا ذكر السنة

٢) بياض في الاصل

حالهِ محسنًا الى اصحابهِ ومعارفهِ مراعيًا لحقوقهم وماسكًا لجانبهم. سكن اوَّلًا باعبيه الى وقت زواجهِ وتزوَّج بنت ظهير الدين عليّ بن جواد ابن علم الدين الرمطوني فجعل سكناهُ في رمطون وحسنت حالهُ. واقطاعهُ اقطاع ابيهِ بدر الدين حسن كما ذكرنا ذلك. ولمَّا توفّي بدر الدين كان ولدهُ ناصر الدين محمَّد هذا صغيرًا تحت حجر النـاظر على تركة بدر الدين وهو شرف الدين عيسى بن احمد وكان شرف الدين ابن عمّ بدر الدين فقضى ديونهم واحسن (118ᴾ) تربيتهم. وكان مولد ناصر الدين محمد في نهار الاثنين الحادي والعشرين من شهر شوال سنة خمس وسبعين وسبعمائة (١٣٧٤ م). ووفاتهُ رحمهُ الله (١. وكان قـد نزل عن اقطاعهِ لشرف الدين عيسى وآخر لهُ منهُ ادفون

ذكر اخيهِ عماد الدين اسماعيل ابن بدر الدين حسن

كان ذا مروّة وكان محسنًا في احوالهِ مع النـاس متواضعًا رقيق النفس مولدهُ العشاء الآخر من ليلة الثلثاء الثاني عشر من رمضان سنة سبع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٦ م). وكان لهما اخوةٌ. وهم عليّ سمىُّ جدهِ ويوسف وعبد الله وخليل توفُّوا صغـارًا لم ينشأُوا ولا عُرفوا بين الناس. وامُّ الجميع واسطة بنت شرف الدين سليمان ابن سعد الدين خضر

ذكر جمال الدين محمد ابن شهاب الدين احمد ابن فخر الدين عبد الحميد ابن احمد بن حجّي

كان رجلًا حسن الذات في نفسهِ سليم العشرة رقيق النفس ذا مروّة

١) كذا بدون تعيين السنة

وحسن طباع كثير الاجتهاد والسعي في قيام أوده يتلقّى عوارض الزمان بسكون ودَعة اقتبس من خاله ناهض الدين حمزة ابن فتح الدين معرفة الانغام والدائرة وسكون الطباع ولين الجانب ورياضة الخلق. وكان جمال الدين المذكور قد زوّر عليه الحاج حسن ابن عبد الله كفالةً والزمهُ بها وأضعف بذلك حالهُ. وفاتهُ رحمهُ الله (١ (1187). فهذا الذي وجدتُ من اخبار السلف

(تمَّ تاريخ بيروت وامراء بني الغرب)

(قلنا) انَّ تاريخ صالح بن يحيى المعنون تاريخ بيروت وامراء بني الغرب ينتهي عند هذا الحدّ في النسخة الباريسيَّة التي نقلنا عنها. وقد الحقهُ المؤلف باثنتي عشرة صفحةً ذكر فيها ثلثة امور جعلها كملحقات لكتابهِ. اوَّلها ملخَّص اخبار سلاطين مصر من ملوك السراكسة من سنة ٧٥١ ه (١٣٥٠ م) الى سنة ٨٥٨ ه (١٤٥٤ م). ثانيها ذكر التجريدة التي اعدَّها المصريُّون لمحاربة الفرنج في قبرس(٢. ثالثها ذكر نوَّاب الشام. وقد فُقد من آخر الكتاب صفحة او صفحات. فلم نرَ حاجة الى ذكر هذه المُلحقات لان اكثر فوائدها قد مرَّت في اثناء تاريخ امراء بني الغرب فاستغنينا بذلك عن التكرار

هذا وقد رأينا تتمَّةً للفائدة ان نُلحق هذا التاريخ بملحقين مفيدين نودع الاول بعض تفاصيل من تاريخ ابن سباط عن بني الغرب والثاني ملخَّص تاريخ بيروت من القرن الخامس عشر الى ايَّامنا ثم نختم ذلك بفهارس الاعلام والأمكنة

---

١) كذا بدون تعيين السنة

٢) كانت هذه التجريدة سنة ٨٢٩ ه (١٤٢٤ م) على عهد الملك برسباي فجهَّز مراكب وجيوشاً لفتح قبرس وصدر الامر لأمراء الغرب بالسير مع العمارة فتوجَّه الامير صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت ومعهُ مائة رجل فشنُّوا الغارة على الجزيرة ونهبوا واسروا وعادوا الى مصر غانمين. وابلى صالح بن يحيى البلاء الحسن مع رجالهِ فاكرمهُ السلطان وخلع عليهِ (راجع اخبار الاعيان ص ٢٤٢)

ملحق اوَّل

منقول عن تاريخ ابن سباط

تتمَّة اخبار بني الغرب الى سنة ٩٢٦ (١٥١٩م)

في السنة ٨٤٨ (١٤٤٤ م) توفي الامير عزّ الدين صدقة ابن الامير شرف الدين عيسى (راجع ص ٢٤١) وكان اميرًا كبيرًا لهُ الغيرة على جميع الامراء والمقدَّمين في بلاد الشام ولهُ اليد الباسطة مسموع الكلمة عند الملوك والنواب. وكان يحكم من حدود طرابلوس الى حدود صفد وكان بيدهِ درك بيروت فردّ عنهُ الافرنج. وكانت تقصدهُ الاكابر والاعيان من ابعد مكان وهو الذي ابطل يد بني الحمراء حكّام البقاع ومنعهم من سكن بيروت

وفي السنة ٨٥٨ (١٤٥٤م) توفي اخوهُ الامير زين الدين عمر ابن الامير شرف الدين عيسى ابن الامير احمد ابن الامير صالح التنوخي. وكان لطيفًا حسن الكتابة ولهُ اليد الطويلة في قلم النسخ بلغ فيهِ درجة عالية وكان لهُ اعتناء في البنيان وهو الذي بنى القصر المشهور في مدينة بيروت وكان يفصل القماش ويفرّقهُ على اكابر البلاد في كل سنة

وفي السنة ٨٦٣ (١٤٥٨ م) توفي الامير بدر الدين حسين بن الامير عزّ الدين صدقة السابق ذكرهُ. وكان ذا همة ونجابة وشجاعة عاشر الاتراك فصار كأنَّهُ واحد منهم. وكان لهُ عند امير الامراء نائب الشام جلبان الرتبة السامية ودعاهُ الى اعبيه لمَّا عزم على بناء جسر

الدامور فقدَّم لهُ الاكرام الزائد . وكان لهُ مطالعة سنيَّة في علم الضرب وهو الذي بنى برج المطيَّر فوق قرية اعبيه

وفي السنة ٨٦٤ (١٤٥٩ م) توفي الامير سيف الدين زنكي ابن الامير عزّ الدين صدقة وكان شبيهاً بأخيهِ بدر الدين في السياسة وحسن المعروف

وفيها ايضاً توفي الامير سيف الدين يحيي ابن الامير فخر الدين عثمان ابن الامير يحيي ابن صالح وعمرهُ ٧٥ سنة . وبلغ في حياتهِ اجلَّ المراتب العالية في العلم والعمل ولهُ شعر رقيق منهُ قصيدة مدح بها السلطان الظاهر جقمق . فاحسن اليهِ السلطان وهي التي اولها :

قمر المعالي بالسعود موفَّقُ وبنور سلطان البريَّة يشرقُ

ولهُ اشعار مضبوطة الاوزان معتدلة الاركان بلفظ صحيح وخط مليح . وبلغ في الخط الرتبة العالية وقصرت عنهُ المتقدّمون وكان أغلب الناس لا يفرقون خطَّهُ عن خط ياقوت (١ . وكان لهُ اليد الطويلة بالخطّ العجميّ تتحيَّر لحسنهِ الافكار وكان بارعاً بصنعة الصياغة وانشأ قوالب فائقة الحسن وصنع تحفاً يقصر عن وصفها اللسان . ومن جملة قصائدهِ قصيدة ميميَّة هذا اوّلها :

باح الفؤاد بسرّ غير مكتتمِ ونمَّ دمعي بما عندي من الالمِ

وفيها توفي الامير علم الدين سليمان ابن الامير احمد ابن الامير صالح ابن الحسين وكان حسن الشكل حريصاً على عمل الخير وبلغ في

١) يريد ياقوت المستعصمي الشهير بجودة الخطّ

صناعة الطب رفعة وكان يطبّب الناس من دون اجرة (راجع الصفحة ٢٤٠)

وفي السنة ٨٧٤ (١٤٦٩م) توفّي الامير سيف الدين عبد الخالق ولد امير الامراء والاعيان شيخ العلماء وركن البنيان فريد العصر والاوان ذو الحسب السامي والفرع النامي الامير جمال الدين عبد الله السيد ابن الامير علم الدين سليمان ابن الامير بدر الدين محمَّد ابن الامير صلاح الدين يوسف

وجاء بعد هذا لابن سباط فصلٌ طويل في توليد آل تنوخ مرَّ اكثرهُ في تاريخ صالح بن يحيى وانَّما نضيف اليهِ ما نرى فيهِ افادةً للقرَّاء

ذرّيَّة ناصر الدين من نسل زين الدين صالح

ومن الامراء الذين سكنوا قرية عرامون من نسل زين الدين صالح بن بحتر ابناء الامير سيف الدين مفرج الاربعة (راجع تاريخ بيروت ١٩٧و ١٩٨) وكلُّهم ذوو شوكة ووقار وكرم وشجاعة: (اوَّلهم) شمس الدين محمَّد ولد الاميرَ علاء الدين عليًّا. و(ثانيهم) الامير جمال الدين احمد المعروف بالاعسر وقد ولد الامير سيف الدين مفرجًا الذي كان محمود السيرة مشكور السريرة وقد ابطل ضرائب كثيرة كانت تؤْخذ من البلاد. (وثالثهم) الامير ناهض الدين عليّ مات ولم يخلف ولدًا. (ورابعهم) الامير صلاح الدين خليل الذي ولد الامير جمال الدين احمد. وجمال الدين هذا اتُّهم بقتل عليّ الحريريّ بدمشق فقبض عليهِ نائب الشام وقتلهُ. وكان لهُ ولدٌ اسمهُ ناصر الدين احمد. امَّا آخر ذرّيَّة بني زين الدين

صالح فكان ناصر الدين محمَّد المتوفّى سنة ٩٢٠ (١٥١٤ م)

اولاد سعد الدّين خضر

وقال ابن سباط عن ولدي فخر الدين عبد الحميد (راجع ص ١٨١) . والامير فخر الدين عبد الحميد ولد شهاب الدين احمد فنبغ وكان ذا شجاعةٍ ومات قتيلًا وشُنق غرماؤهُ يوم دفنهِ . واما حسن الدين ابن عبد الحميد (ويدعوهُ صالح بن يحيي حسام الدين) فمات مجنونًا

وقال عن الامير صلاح الدين يوسف بن سعد الدين خضر (راجع ص ١٨١) انهُ ولد الامير سليمان ابا الامير جمال الدين عبد الله السَّيّد وهو الذي ضريحهُ الآن في قرية اعبيه

وقال عن ولدي الامير فتح الدين محمَّد بن سعد الدين خضر (راجع ص ١٨٢) انَّ ناهض الدين حمزة الاكبر كان لهُ الباع الطولى في الموسيقى وضرب الالحان وترتيب الانغام ولهُ شعر متداول . وقد خلَّف ولدين فتح الدين محمَّد وصلاح الدين يوسف وكان صلاح الدين بالغًا في العلوم والنحو وسكن في ابنية عمّهِ اسمعيل في قرية دفون وتوفّي سنة ٨١٢ (١٤٠٩ م) . اما الاصغر فهو عماد الدين اسماعيل المتوفّى سنة ٨٠٤ (١٤٠١ م) كان عاقلًا محمود السيرة وبنى قاعتين في بيصور وقد خلَّف شجاع الدين عبد الرحمن الذي قُتل في وقعة عذرا (ويُروى عين دارة) خارج دمشق قتلهُ يلبغا الناصريّ نائب دمشق . (قال) واما الامير زين الدين مفرج فهو آخر الامراء في دفون وكان مغرمًا بالصيد ولم يعقبهُ ولدٌ (كذا)

وقال عن شرف الدين سليمان (راجع ص ١٨٢) انّهُ ولد نجمَ الدين محمّد الذي توّفي يافعًا عمرهُ ٢٨ سنة واخاهُ عليّ الدين وتوّفي ايضًا شابًا بلا عقب

وممّا قال عن بدر الدين حسن ابن علاء الدين عليّ (راجع ص٢٢٣) انّهُ كان جميل الخلقة والاخلاق وانّهُ ولد ناصر الدين محمّد وعماد الدين اسماعيل وانتقل الى قرية رمطون

وممّا قال عن سيف الدين ابي بكر ابن شهاب الدين احمد (راجع ص ٢٢٦) انهُ كان شجاعًا مقدامًا حضر مع الملك الظاهر برقوق حصار دمشق ووقعة شحقب ثمَّ حضر وقعة يلبغا ووقعة الناصريّ مع عرب التضير وتوفّي سنة ٨٨٣ (١٤٧٩ م) ولم يخلف ولدًا

وممّا قال عن سيف الدين يحيي خامس ابناء الامير زين الدين صالح ابن الحسين (وهو ابو مؤلف تاريخ بيروت. راجع الصفحة ٢٢٧) انّهُ ولد فخـر الدين عثمان وصالحًا . امّا فخر الدين عثمان (وهو عمّ مؤلف تاريخ بيروت) فقد مرّت ترجمتهُ (ص ٢٤٤—٢٥٠) وهو والد الامير سيف الدين يحيي المتوفّى سنة ٨٦٣ (١٤٥٩ م) وقد مرَّ ذكرهُ (ص ٢٦١)

مؤلّف تاريخ بيروت والامراء من بني الغرب

امّا صالح (وهو مؤلف تاريخ بيروت) فقـال عنهُ ابن سباط انهُ « الامير الكبير العالم المشهور بعلمهِ والفراسة (كذا) صاحب العزم والحزم وهو الذي فلق زمانهُ وفات اقرانهُ وقد جمع العلوم في معرفـة الكواكب والنجوم والاسطرلاب ونظم الشعر وترتيب التواريخ وقد

كتب تاريخ بيت تنوخ وهو صاحب الغـزوات وقد حضر فتوح قبرس (١) سنة ٨٢٨ (١٤٢٥ م) ولم يذكر ابن سباط سنة وفاته

ذرّيّة شرف الدّين عيسى

وقال عن شرف الدين عيسى (راجع ص ٢٤١) انهُ ولد اربعـة اولاد : وهم

(١) ناصر الدين محمّـد المتوفّى سنة ٨١٣ (١٤١١ م) بحياة ابيهِ (راجع ص ٢٥٤)

(٢) شرف الدين موسى وعاش مدّةً طويلة وتعاطى الاحكام. ولهُ اربعة اولاد: ناصر الدين محمّد توفّي شابًّا في حياة ابيهِ وكان حسن الخلق ريّض النفس. ثمّ شهاب الدين احمد حذا حذو الملوك في الجنـد والخيل والخدَم والرتبة وكان الناس يرمقونهُ بعين الرئاسة وتوفّي شابًّا ايضًا في حياة ابيهِ سنة ٨٩٢ (١٤٨٧ م). ثمّ زين الدين عبـد القادر وكان شجـاعًا حدث لهُ الداء المعروف بداء الاسد فتوجّه الى دمشق وتوفّي بها. ثمّ الامير جمال الدين حجي وكان ذا هيبةٍ ووقار لهُ رتبة عالية عند ملوك الشام وكان الناس يقصدونهُ فيستغيثون بهِ فيجتهد باعانتهم جُهدَهُ وينفق عليهم من مالهِ ويحمي الخائف ويعين الملهوف. وكان مستبدًا برأيهِ وكان يكتب بخطّهِ جميع اغراضهِ وكان قلمهُ ضعيفًا لا يليق بالذي

(١) راجع ص ٢٥٩ في الحاشية

هو مثلهُ وكان يراهُ صوابًا . وفي سنة ٩٢٥ (١٥١٩ م) سار الى دمشق مع جملة من اكابر البلاد واعمال الشام بسبب التجريدة على العربان لمَّا اخذوا الحجّ ونهبوهُ . وكان وصولهُ الى دمشق بعد خروج النائب فقبض عليهِ وكيلهُ وسجنهُ ايَّامًا وتوفي في السجن ولهُ ولد دون البلوغ يسمَّى شرف الدين عليّ وهو حيٌّ الى يوم تاريخهِ سنة ٩٢٦ (١٥٢٠ م) .

(٣) زين الدين عمر (راجع ص ٢٦١) خلَّف ولدًا اسمهُ ناصر الدين خالدًا وكان عارفًا باخبار الخلفاء يودّ قراءة الدواوين. وولد ناصر الدين ظاهرًا فمات شابًّا حدث السنّ في حياة والدهِ ثم ولد لهُ ابنٌ آخر بعدهُ فسمَّاهُ ظاهرًا باسم أخيهِ الميت وكان حسن السيرة والعقل محبوب عند الناس وكان يحبّ قنية الطيور توفي سنة ٩١٠ (١٥٠٥م) ولم يعقب ولدًا

(٤) عزّ الدين صدقة (راجع ص ٢٦٠) وقد ولد عزّ الدين اربعة اولاد : (١) بدر الدين حسن (راجع ص ٢٦٠) وخلَّف ابنًا دعاهُ ناصر الدين محمَّدًا توفي بعد ابيهِ. (٢) سيف الدين زنكي (راجع ص ٢٦٠) وقد ولد سيف الدين ابا بكر ومات والداهُ وهو صغير فربي يتيمًا ثمَّ نشأ وبرع في اكثر الصنائع حتى بلغ فيها درجة سيف الدين عثمان بن صالح واجاد الخطّ لا سيما في قلم التوقيع ومهر في التخريم والاشغال اللطيفة الدقيقة ونقش الخواتم الفاخرة واتقن الرسومات ثمَّ سُوّد فساس الرعيَّة احسن سياسة ومهر في الاحكام الشرعية. ولهُ ثلاثة اولاد : الاوَّل زين الدين صالح وكان صالحًا كاسمهِ فترك الدنيا

ومقتناها ورغب في الآداب واشتهر في علم الشعر وتوفي في حياة والدهِ وعمره ١٦ سنة. والثاني شرف الدين يحيي وكان شيخاً بطلًا صاحب حزم واقدام وسار الى مصر وقدم على ملكها قانصوه الغوري بقلعة الجبل فحظي عنده ولهُ مع السلطان سليم اخبارٌ سيأتي ذكرها. وقد ولد لهُ ولدان شهاب الدين احمد وُلد سنة ٩١٩ (١٥١٤ م) وزين الدين صالح ولد سنة ٩٢١ (١٥١٦ م) والثالث ناصر الدين محمَّد

ثمَّ انتقل ابن سباط الى ذكر نسب الامراء الذين سكنوا قرية رمطون من بيت علم الدين ولم يزِد من الافادات شيئًا يذكر على ما رواهُ صالح بن يحيى. سوى انَّهُ ذكر عن ظهير الدين (ويروى ظاهر الدين) عليّ ابن الامير عزّ الدين جواد (راجع ص ٢٠٨) ما ملخَّصهُ:

«كان ظاهر الدين عاقلًا ذا معارف وخطّ حسن وولد ولدين سيف الدين غلَّاب ثمَّ عزّ الدين حسن. وولد عزّ الدّين ناصر الدّين محمودًا وتوفي قبل أبيهِ بمدّة قليلة ثمَّ مات ابوهُ واتَّصل اقطاعها بالامير حسن الدّين صدقة ابن شرف الدّين عيسى

ثمَّ أَلحق ابن سباط بنسب الامراء من بيت علم الدين فصلًا في ذكر القضاء ومن تولَّاهُ هذه خلاصتهُ:

اوَّل من تولَّى القضاء ابو اليقظان عماد الدين حسن الذي بنى على نهر الصفا بين الغرب والشوف الجسر المعروف باسمه «جسر القاضي(١)» توفي سنة ٧٦٨ (١٣٦٧م) ثمَّ خلفهُ في القضاء ابنهُ جاء الدين صدقة. ثمَّ قام بعد جاء الدين ابنهُ شرف الدين عبد الوهَّاب. وكان حليمًا كريمًا عالمًا بالاحكام والفرائض فاغتالهُ اعداؤُهُ في بيتهِ وقتلوهُ. ثمَّ تولَّى القضاء بعدهُ اخوهُ زين الدين وكان حاكمًا صارمًا وتوفي سنة

١) بقي هذا الجسر الى زماننا فأُخرب لمَّا فُتحت الطريق للعجلات في ايَّام واصا باشا وأُقيم بدلًا منهُ جسر جديد

٨٩٥ (١٤٩٠م) . ثمَّ خلف زين الدين ابنهُ شمس الدين محمَّد واتقن رتبة ابيهِ في القضاء وتخليص الحقوق . (الى هنا انتهى فصل ابن سباط (١)

ولابن سباط في ختام تاريخهِ نبذةٌ في نسب الامير صلاح الدين يوسف بن سعد الدين خضر واولادهِ الثلاثة (راجع ص ١٨١) وقال انَّ اسد الدين محمود ابن صلاح الدين يوسف توفي سنة ٧٨٦ (١٣٨٥م) وكان عاقلًا ريِّض النفس. وتوفي اخوهُ علاء الدين في دمشق من عضَّة كَلْبٍ كَلِبٍ سنة ٧٩٣ (١٣٩١م) وكان رجلًا شجاعًا قويَّ القلب والعزم . واما اخوهما الثالث وهو بدر الدين محمَّد فانَّهُ ولد علم الدين سليمان وولد علم الدين الاميرَ جمال الدين عبدالله وتقي الدين ابرهيم . ومات تقيُّ الدين بداء السلّ بعد ان خلَّف اولادًا وهم زين الدين عبد الرحمان وعلاء الدّين عليّ وصارم الدّين ابرهيم الذي قُتل بارض كسروان

اما جمال الدّين عبد الله اخو تقيّ الدّين ابرهيم فهو المعروف بالسيّد وقد ولد سيف الدّين عبد الخالق فتوفي صغيرًا . ثمَّ ولد ابنًا آخر دعاهُ ابوهُ باسم عبد الخالق ايضًا فكان من نوابغ عصرهِ الَّا انَّهُ توفي شابًّا يافعًا في حياة ابيـهِ وعمرهُ ٢٨ سنة . وقد ذكر ابن سباط ما قيل فيهِ من المراثي ووَجْد ابيهِ عليهِ كما انَّهُ اتَّسع في ذكر مناقب جمال الدّين السيّد وذكر تاريخ وفاتهِ في سنة ٨٨٤ هـ (١٤٨٠ م) وبهِ ختم كتابهُ « صدق الاخبار في نسبة آل تنوخ » واكثرهُ منقول عن تاريخ صالح بن يحيى كما يظهر بالمقابلة . وقد طبع تاريخ ابن سباط الاديب نعوم افندي مغبغب في وسط تاريخ الامير حيدر الشهابيّ (ص ٥٦٤ — ٦٠٥) ولدينا نسخة من هذا التاريخ اضبط من نسختهِ الكثيرة الأغلاط وعنها اخذنا الافادات التي دوَّناها باختصار في هذا الكتاب

انقراض آل تنوخ

هذه اخبار الامراء التنوخيـين من بني الغرب . لمَّا فتح السلطان

(١) وآل هذا البيت قد عُرفوا بمشايخ بيت القاضي ولا يزال منهم بقـايا حتَّى الآن وهي عائلة آل امين الدين من مشاهير الدروز الذين اليوم في قرية عبيه والسمقانيَّة

الغازي سليم خان الاول مصر والشـام سنة ٩٢١ (١٥١٥م) خضع لهُ بنو تنوخ وكان كبيرهم الامير شرف الدين يحيي بن سيف الدين ابي بكر قدم عليهِ واهداهُ الخيل المسوَّمة واخذ منهُ المناشير تقرّر لهُ املاكهُ الّا انَّ جان بردي الغزالي عامل صيداء من قبل السلطان اتَّهمهُ بعـد مدَّةٍ بمحاربة ناصر الدين حنش النائب القـديم على صيداء فالقى القبض عليهِ وعلى أخيهِ زين الدين وعلى بعض الامراء من بيت معن فحبسهم في قلعـة دمشق وأُرسلوا بعد حين الى حلب الى أن اطلق السلطان سراحهم وعاد شرف الدين يحيي الى مرتبتهِ القديمة بل زاد تقدُّمًا ورفعة

وبقي الامراء التنوخيُّون في الأَمن والدعة الى سنـة ١٦١٢ حيث انتشبت الحرب بينهم وبين حسين باشا ابن سيفا ودخلت جيوش الدولة العليَّة اعبيه فاحرقتها فطلب ناصر الدين التنوخي الامان وأُعيد الى ولاية الشوف. وفي سنة ١٦٢٣ شيَّد الامير منذر بن سليمان بن علم الدين بن محمَّد سرايةً عظيمة في اعبيه. غير انهُ لم يهنأ بها طويلًا. فانَّهُ لمَّا كانت السنة ١٦٣٣ حاربت الدولة العليَّة بني معن وكان بنو تنوخ مائلين اليهم فانتهز عليّ ابن علم الدّين اليمنيّ وكان واليًا على بلاد الشوف من قبل الدولة هذه الفرصة فقبض على وجهاء بيت معن وقتلهم واستصفى اموالهم ثمَّ سار الى قرية اعبيه فدعاهُ الامراء التنوخيُّون الى مأدبةٍ في سرايتهم التي تحت القرية فاغتالهم وقتلهم كلَّهم كبارًا وصغارًا فانقرضت السلالة التنوخيَّة بموتهم

لكنّ الله انتقم من بيت علم الدين فانّ الامير عليًّا بعد ان تولّى مدّةً بلاد الشوف دارت عليهِ الدوائر واعتقلهُ والي دمشق بشـير باشا.

وكانت وفاة الامير عليّ سنة ١٦٦٠ بالطاعون. ثمَّ انكسر آل علم الدين سنة ١٦٦٧ في واقعة القلغول عند برج بيروت وفرُّوا الى دمشق منهزمين امام الامراء الشهابيين. ثمَّ تمكَّنوا من استرجاع ولايتهم. فبقوا فيها الى سنة ١٧٠٩ حيث كانت واقعة عين دارة فظفر الامير حيدر الشهابيّ بمحمود باشا ابي هرموش ثمَّ قبض على الامراء اليمنيين من بيت علم الدين فقتلهم جميعًا وانقطعت بهم سلالة آل علم الدين

ملحقٌ ثانٍ

في

احوال بيروت من القرن السادس عشر الى عهدنا

انَّ تاريخ صالح بن يحيي مع ما يليهِ من الافادات المنقولة عن تاريخ حمزة ابن سباط قد اوقفنا على احوال بيروت الى آخر عهد الملوك المصريين وبداءة دولة بني عثمان فبقي علينا ان نلخّص تاريخها من ذلك الوقت الى ايَّامنا فنقول :

خرجت بيروت من حكم ملوك السراكسة المصريين سنة ١٥١٦ بعد ان فتح السلطان الغازي سليم الاوَّل البلاد المصريَّة وقتل طومان باي آخر ملوكها. ثمَّ سار الى الاقطار الشاميَّة ففتحها وامَّن امراءها واهلها لكنَّهُ جعل الامير فخر الدين قرقماز المعنيّ مقدَّمًا على الجميع وفوَّض اليهِ كلّ أُمور الشام. و بقيت بيروت تحت حكم الامراء التنوخيّين فصاروا عمَّالًا للباب العالي. وكان النصارى قبل ذلك قليلي العدد فيها فاخذوا مذ ذاك

الحين يتواردون اليها . قال الدويهي في تاريخ سنة ١٥٧٠ انَّ اهل بيروت استولوا على كنيسة الموارنة وجعلوها قيصريَّة ولم يبقَ للطائفة الَّا كنيسة مار جرجس خارج المدينة فاجتمع الشيخ ابو منصور يوسف بن حبيش مع مشايخ بيت الدهَّان واتَّفقوا على ان تشترك طائفة الروم وطائفة الموارنة في كنيسة مار جرجس التي للموارنة خارج بيروت (١ وفي كنيسة السيدة التي للملكيَّة داخل المدينة

وكانت في تلك الاثناء قويت شوكة الامير منصور بن عسَّاف فامتدَّت سلطتهُ من نهر الكلب الى حمص وحماة وابتنى لهُ سرايةً في بيروت كما فعل في جبيل وغزير وبنى بقرب السراية جامعًا يعرف الى اليوم باسمهِ

وفي سنة ١٥٨٤ كانت وفاة الامير فخر الدين قرقماز المعنيّ كان قام عليهِ اعداؤهُ وطلبوهُ ليقتلوهُ فهرب منهم الى مغارةٍ في بلاد الشوف تحت جزّين واختفى مدَّةً فيها . ثم حدث لهُ مرض ومات وخلَّف ولدين صغيرين الامير فخر الدين والامير يونس وكان خالهما الامير سيف الدين التنوخي يسكن في اعبيه بالغرب . فضمَّهما اليهِ وسلَّم اليهما بعد مدَّة ولايتهما في الشوف

وفي سنة ١٥٩٠ انقرضت دولة بني عسَّاف بموت الامير محمَّد بن عسَّاف قُتل غيلةً بين البترون والمسيلحة وهو خارج الى مقاتلة يوسف باشا

١) وبقيت كنيسة مار جرجس التي في خارج بيروت في يد الموارنة الى سنة ١٦٦١ حيث جعلها عليّ باشا جامعًا وضبط ارزاقها وهي تُعرف حتَّى الآن باسم الخضر موقعها عند نهر بيروت

ابن سيفا في عكّار. وكان بنو عسّاف قد استوطنوا كسروان منذ سنة ١٣٠٦ فكانت مدَّة ولايتهم عليها ٢٨٤ سنة واستولى يوسف باشا على كلّ املاكهم. ولم تمرّ على يوسف باشا المذكور ثمان سنوات حتى غلبهُ الامير فخر الدين ابن قرقماز في وقعة شهيرة عند نهر الكلب واستولى على بيروت وكسروان سنةً واحدة ثمَّ تركهما برضاه لابن سيفا وسار الى الشوف

وفي سنة ١٦٠٧ حضر مراد باشا الوزير من اسطنبول وحارب عليًّا باشا ابن جنبلاط الذي كان خرج عن طاعة السلطان وتحصَّن في حلب. فسار مراد باشا ومعهُ يوسف باشا ابن سيفا لحصارهِ ففتح المدينة ثمَّ اراد ان يوقع بالامير فخر الدين لانَّهُ كان من حزب ابن جنبلاط لكنَّ فخر الدين استرضاهُ بمبلغٍ كبيرٍ من المال حتى رضي عنهُ وانعم على ولدهِ عليّ ابن فخر الدين بسنجقيَّة بيروت وصيداء وغزير. وبقيت بيروت في حكم المذكور الى سنة ١٦١٢ حيث تولَّاها حسن باشا ابن سيفا بامر احمد باشا حافظ دمشق

ثمَّ استفحل امر فخر الدين المعنيّ واستولى على بيروت وجعلها كرسيّ دولتهِ وزيَّنها بالقصور والبنايات الفخيمة ولم يزل امرهُ في ترقٍ ونجاح حتَّى سعى بهِ اعداؤهُ ووجَّه السلطان جيوشاً لمحاربتهِ فقبض عليهِ وعلى ابنائهِ كجكُ احمد باشا بعد حروب طويلة سنة ١٦٣٣ وأُرسل الى اسطنبول فعفا عنهُ السلطان مراد وعن اولادهِ وابقاهُ مخفورًا الى موتهِ. وفي تلك السنة استغنم الامير عليّ ابن علم الدين اليمنيّ الفرصة وضبط ارزاق بيت معن وقتل قوماً من اصحابهم ثمَّ توجَّه الى اعبيه وباغت الامراء التنوخيّين

فقتلهم جميعًا فانقرضت سلالتهم. وصادفت وفاة الامير منذر بن سليمان التنوخيّ في السنة نفسها وهو باني جامع النوفرة الذي يُعرف بهِ في بيروت.

وفي أيام فخر الدين كثر عدد النصارى في مدن الساحل وعظم شأنهم عند الامير ومنهم كان اكثر عسكرهِ وكان مدّبروهُ وخدمتهُ من الموارنة. وقدم كذلك المرسلون من الفرنج في عهدهِ وسكنوا الجبل وممَّن سكن منهم بيروت الكبُّوجيُّون (١. امَّا الفرنسيسيُّون فكانوا فيها قبل ذلك العهد (٢. وكان لليسوعيين في بيروت منزل يقيمون فيهِ عند حلولهم في البلد لشؤون رسالتهم وكانوا اذا قدموا المدينة يعظون في كنيستي الموارنة والروم. وممَّن توفّي منهم في بيروت الاب اميو الشهير (Amieux) دُفن امام باب كنيسة مار جرجس للموارنة

ثمَّ صارت بيروت ايالةً يحكم عليها وعلى صيداء حاكمٌ من قبل الدولة وكان مع ذلك عليّ ابن علم الدين يسكنها ويتصرَّف بامورها بصفة كونهِ خلفًا لبني امراء الغرب وقويت شوكتهُ. وفي سنة ١٦٥٦ جعل الوزير محمَّدُ باشا واليًا على صيداء وبيروت اسماعيلَ آغا. ثمَّ خلفهُ سنة ١٦٦٠ محمد آغا الارناووط وفي تلك السنة جعل ابن الكبري الوزير الاعظم

١) قال صاحب تاريخ سوريَّة جرجي افندي ينّي: وفي سنة ١٧٥٨ قبض بعض قرصان الفرنج على سفينة لاهل بيروت فهاج بعضهم على الفرنج الذين فيها وهجموا على دير الكبوجيَّة واعتقلوا الرهبان الذين فيهِ ونهبوا الدير فبلغ الامير سليمان اللمعيّ وهو يومئذٍ والي بيروت فبعث قومًا حلّوا المعتقلين من قيودهم وقبضوا على المذنبين ثمَّ امر بقتل اثنين منهم وارجع للرهبان ما انتهب من ديرهم

٢) راجع الصفحة ١٤٩

صيداء باشويَّة وسلَّمها الى الدفتردار عليّ باشا . وانفرزت بيروت عنها فبقيت تحت امرة ولاة عثمانيين الى سنة ١٦٩٨ . وكان الملك لويس الرابع عشر قلّد قبل ذلك في سنة ١٦٥٩ الشيخ نادر ابا نوفل الخازن زمام قنصليَّة بيروت فقام بشؤونها الى سنة وفاته ١٦٧٩ . ثمَّ توجَّهت هذه القنصليَّة الى الشيخ حصن الخازن سنة ١٦٩٧

وفي هذه السنة ١٦٩٧ تُوفّي الامير احمد بن معن بلا عقب فانقرضت بهِ الدولة المعنيَّة . وامر الباب العالي بان يكون الامير حيدر ابن موسى الشهابي محافظاً على المقاطعات التي كانت بيد الامير احمد المتوفّى . ثمَّ اجتمع اكابر لبنان وانتخبوا لهم والياً الامير بشير ابن الامير حسين الشهابيّ امير راشيًا فبايعوهُ وأجاب الى ملتمسهم وابتدأت مذ ذاك الحين ولاية الامراء الشهابيّين على لبنان فدامت الى منتصف القرن التاسع عشر لمَّا حُجز على الامير بشير ملحم الشهابيّ سنة ١٨٤٢ فأُرسل الى اسطنبول

وكان الشهابيُّون في مدَّة ولايتهم على لبنان يتولَّون ايضاً مدينة بيروت او يجعلون عليها من الامراء من يرونهُ اهلًا لذلك . وللشهابيّين في هذه البلدة عدّة آثار وابنية تُعرف بقاياها حتى اليوم . وممَّن اشتهر منهم بحسن التدبير الاميران منصور الشهابيّ (سنة ١٧٦٢) ثمّ ابن اخيهِ الامير يوسف (١٧٧٠) وفي ايَّامهِ استدعى ظاهرُ العمر صاحب عكَّا . السُّفُنَ المسكوبيَّة الى بيروت فاطلق الروس عليها المدافع ولم ينصرفوا الَّا بعد ان دفع لهم اهلها مالًا كثيرًا

وفي ايَّامهِ ايضاً ظهر احمد باشا الجزّار جعلهُ الامير يوسف متسلِّماً من

قبلهِ على بيروت ثمَّ استبدَّ بالولاية وخرج على وليّ نعمتهِ وحصَّن المدينة فلم يرَ الامير يوسف وسيلةً لانقاذها من يدهِ الَّا ان يدعو العساكر المسكوبيَّة فحاصروها ثمانية ايَّام والجأوا الجزّار الى الخروج منها . ثمَّ استولى احمد بك الجزَّار على صيداء وعكَّاء وحارب الامراء الشهابيّين حروبًا عديدة واظهر من الظلم ما لا يفي بوصفهِ اللسان واستولى على بيروت ثانيةً وقبض على الامير يوسف فامر بشنقهِ (سنة ١٧٩٠) وولَّى بدلًا منهُ الامير بشير بن قاسم الشهابي المعروف بالامير بشير الكبير او المالطيّ وجرت بين الجزّار وبينهُ ايضًا حروبٌ لم تنتهِ الَّا يوم وفاة الجزّار سنة ١٨٠٤

وبعد موت الجزّار عاد الحكم على بيروت الى عمَّال الدولة العليَّة فتولَّاها اسماعيل باشا ثمَّ سليمان باشا ثمّ عبد الله باشا الخازندار وكان مقامهم في صيداء . ولمَّا كانت سنة ١٨٣١ استولى على سوريَّة ابرهيم باشا ابن محمَّد عليّ عزيز مصر وجعل امر بيروت تحت حكم الامراء الشهابيّين فوليها الاميران ملحم حيدر ثمَّ محمود بك الى سنة ١٨٤٠ . وفيها اتَّفقت الدول على استخلاص سوريَّة من يد محمَّد عليّ فأُطلقت المدافع على بيروت وأُخرجت منها الجنود المصريَّة واستتبَّت احكام الدولة العليَّة ونُقل اليها مركز الايالة الذي كان سابقًا في صيداء فصارت بيروت تحت حكم ولاية سوريَّة

ودخلت بيروت منذ ذاك الحين في طور جديد ولم تزل تترقَّى في سبيل العمران والتجارة حتى بلغت ما نعهدهُ فيها اليوم من المقام الرفيع . وزاد شأنها خطرًا لمَّا جُعلت ولايةً منفردة سنة

١٨٨٦ . فلم يعد ينقصها شيء من مرتبة حواضر الدولة الشاهانيَّة لا سيَّما بعد أن جُلبت اليها مياه نهر الكلب وأُنجز عمل مرفإها وأُنشئت السكة الحديديَّة منها الى دمشق وبُنيت فيها المباني الفخيمة وازدادت حركة تجارتها مع الاقطار الغربيَّة

امَّا مطابعها وجرائدها ومجلَّاتها ومدارسها العليا والوسطى والابتدائيَّة فهي اشهر من نارٍ على علم عارضت بها اكبر عواصم البلاد المتمدّنة ولو اردنا الاسترسال في كلّ ما احرزتهُ بيروت من المفاخر ونالتهُ من الترقي والنجاح مدَّة نصف القرن الاخير لخرجنا عمَّا تحرّيناهُ من الاختصار فضلًا عن انَّ الامر لا يحتاج الى تفصيل لما يعلمهُ الجميع ويرونهُ رأي العيان . لا زالت بيروت راتعةً في بحبوحة الهناء جامعةً بين حضارة العمران ورضى الربّ المنَّان



ملحق ثالث

استدراكات وفوائد

على تاريخ بيروت



الصفحة ٤ السطر ١٧ : (اما المؤلف فلم نعلم شيئًا من اخباره سوى ما يُستخلص من اثناء كتابهِ . راجع الصفحة ١١٢ . وجاء ذكر والدهِ يحيي ص ٢٢٧) راجع ايضًا ما روى عنهُ ابن سباط وعن ابيهِ يحيي (ص ٢٦٤)

ص ١١ س ١٥ (كتابة يونانيَّة فوق باب الدركة) دونك نصَّها وهي بالشعر اليونانيّ :

Τῆς τοῦ| προσίον|τος ἀν|δρὸς ἐν|νοίας| ἀεὶ
σαφὴς| ἔλεγχος ἡ| πρόσο|ψις γείνεται
δίδου| προθυ|μῶς ὃ πα|ρέχεις| ἢ μὴ δίδου
παρὰ γὰρ| τὸ μει|κρὸν γεί|νεται| πλήρης| χάρις

امَّا معناها فهو « انَّهُ يجب على الداخل (الى الهيكل) ان يوجّه بنظر عقلهِ الى مبدإٍ (او وحيٍ) ثابتٍ (وهو قولهُ تعالى) اعطِ بفرح على قدر استطاعتك فانَّ الصدقة القليلة تُورث نعمةً عظيمةً » . والظاهر انَّ هذه الكتابة كانت على باب هيكل وثنيّ او كنيسة نصرانيَّة . ولعلَّ البيتين الاخيرين اشارة الى ما ورد في سفر طوبيَّا البارّ (٤ : ٨ و ٩) . وقد نُشرت هذه الكتابة في مجموع الكتابات اليونانيَّة المطبوع في برلين (C I G, n° 4530)

ص ١٥ س ٥ (مدرسة الفقه في بيروت) هي اقدم المدارس الفقهيَّة التي أُنشئت في عهد الرومان . ولعلّ انشاءها كان في القرن الاول للمسيح . ولكنَّ الحقوق والامتيازات الممنوحة لمعاهد العلوم لم تمنح لمدرسة بيروت قبل القرن الثاني في ايَّام اسكندر ساويرس على الارجح . وممَّا يشهد على سعة اتّساع نطاق هذه المدرسة انَّ طلبةً من بلاد العرب كانوا يدرسون فيها الفقه كما يظهر من رسالةٍ للامبراطورين ديوقلسيان ومكسميان وجَّهاها الى تلامذة الفقه في بيروت ذوي الاصل العربيّ يعافونهم ممَّا يشغلهم عن الدرس (J. Strauchi : *Berytus*, p. 42)

ص ١٥ س ٨ (علماء بيروت الاقدمون) قد اشتهر منهم ايضاً

اغناطيوس سيلير (Egnatius Celer) في القرن الاول للمسيح كان فيلسوفًا شهيرًا ذكرهُ المؤرخ تاقيتُس . ومنهم هرميوس (Hermippus) تلميذ فيلون الجبَيلي له تآليف عديدة . ومنهم لوبرقوس الغراماطيقي ذكرهُ سويداس فيمن عُرفوا على عهد زنيب ملكة تدمر (راجع المشرق ١ : ٩٢١) . ومنهم مناسيا (Mnasea) البيروتيّ لهُ كتاب جليل في البيان . ومنهم الفيلسوف الافلاطونيّ طورس ذكرهُ اوسابيوس في تاريخ سنة ١٤٥ . ومنهم الطبيب اسطرابون ذكرهُ جالينوس . ومن مشاهير النصارى الذين درسوا الفقه في بيروت في القرن الخامس ساويرس البطرك الدخيل الذي ينتمي اليهِ اليعاقبة (راجع المشرق ٣ : ١٠٠٣)

ص ١٨ س ١٨ (الشهيد ابيانوس) ويدعى ايضًا افيانوس او أمفيايوس

ص ٢٨ س ١٨ (الذي يدعوهُ العرب بالشمشيق) وهو الذي قال عنهُ المتنبيّ :

آتى الفتى إبن شمشيقٍ فاحنثهُ فتًى من الضرب يُنسى عندهُ الكَلِمُ

ص ٣١ س ٤ (ففتحها مرَّةً اولى فلم يقوَ عليها) والصواب: ثمَّ حاصر بيروت فلم يقوَ عليها . وهنا يُزاد على تاريخ بيروت ما يلي : اخبر ابن الاثير في تاريخ سنة ٤٩٧ (١١٠٣—١١٠٤م) انَّهُ تولَّى على بيروت سعد الدولة الطواشيّ غلام الافضل امير الجيوش الجماليّ صاحب مصر وكان المنجمون اخبروهُ انَّهُ يموت متردّيًا فكان يحذر لذلك ركوب الخيل فلمَّا قدم بيروت وكانت ارضها مفروشة بالبلاط امر بقلعهِ خوفًا من

ان يزلق بهِ فرسهُ. وفي سنة ١١٦٤م توفّي بغدوين الثاني في بيروت فنقلت جثتهُ الى القدس ودُفنت فيهِ

ص ٤٠ س ٢٠ (شقيف تيرون) من ملاحظات الامير الفاضل شكيب ارسلان انّ شقيف تيرون هو المعروف اليوم بقلعة نيحا في آخر قضاء الشوف على حدود جزّين

ص ٤١ س ١٢ (المعروفون بالاسبتلار) والصواب انّ الذين كانوا يملكون حصن القُرَين هم الفرسان الالمان (راجع المشرق ١ : ٩٧٣)

ص ٥٠ س ١٥ و ١٦ (جبال الظّنيين) وهو الجبل الذي يُعرف اليوم بجبل الضنِيَّة قرب عكّار

ص ٥١ س ٦ و ٧ (جاز على بيروت تعميرة للفرنج) ذكر صاحب تاريخ الاعيان هذا الحادث في تاريخ سنة ٧٥٥ (١٣٥٤م)

ص ٥١ س ١٥ (يلبغا العمريّ) هو الذي ينسب اليهِ جامع يلبغا في الشام. قال الشاعر:

يمّم دمشق ومِلْ الى غربيّها وألمح بدائعَ حُسن جامع يَلْبُغا
مَنْ قال انّي قد رأيت نظيرهُ بين الجوامع في البلاد فقد بغى

ص ٥٦ س ٨ (الصنبطيَّة) موقعها جنوبيّ خان انطون بك. واسمها اليوم الصنطيَّة

ص ٦٢ س ٢و١٢ (صدقة التريكيّ) الحاشية عليهِ ليست صحيحة

ص ٧٠ س ١ و ١٦ (آل سليمان) افادنا الكاتب المحقّق الامير شكيب ارسلان ما حرفهُ: « في اصطلاح كتب الطائفة الدرزيَّة انّ آل عبد الله يُطلَق على الاحياء الذين قبلوا دعوة الفاطميّ في جبل لبنان وانّ

آل سليمان هم اشياعهُ في وادي التيم ويُقال للدروز الذين في جبل صفد آل تُراب »

ص ٧١ س ٧ (إن ولغ بعضَ الكلاب فيهِ) والصواب : بعضُ

ص ٧٢ س ١٤ والحاشية ٥ (من البقاع ايضاً برجة والمعاصير) افادنا الامير شكيب ان هذه الناحية تابعة الآن قضاء الشوف

ص ٧٦ س ٤ والحاشية ١ (الدوير) افادنا الكاتب نفسهُ انَّهُ يوجد بهذا الاسم ثلاثة اماكن وهي دوير بصنيه في المناصف ودوير الرمَّان في الجرد ودوير عرمون بين عرمون واعبيه ولعلَّ المراد الاخيرة او دوير بصنيه . اما رمطون ففي ارض كفر متَّى من الشحَّار

ص ٧٩ س ٧ والحاشية (حجّي) يظنّ الامير شكيب انَّ الاصحّ ان يُقال حِجى

ص ٨١ س ٣ و ٢٠١ (ومرتعون) والصواب : مرتغون . اطلب الحاشية ١ من الصفحة ١١٣

ص ٨٢ س ١٦ (بطلُّون) هي من مقاطعة الجرد موقعها بجانب بحمدون

ص ٨٦ س ٦و٧ (مرتعون وشكارة وقرطبة) والصواب: « مزرعة مرتغون شكارة وقرطَيه عطيَّة » . والشكارة ان تستغلّ من ارض تكون ملكاً لغيرك وغلَّتهـا في الغالب قليلة . امَّا قرطيه فهي مزرعة في صحراء الشويفات

ص ٨٧ حاشية ١ (ميسنون) هي من الغرب الاعلى قرب كيفون

ص ٨٨ س ٤ (من الشوف والمعاصر) والصواب : من الشوف

المعاصر = س ١٨ (الغُرَيفة) والصواب : الغَريفة

ص ٨٩ س ٨ و ٢٢ (المغيثة . . . والمغار) المغيثة عند ظهر البيدر على طريق الشام . والمغار بشمالي نهر الصفا تحت عين تراز من الجرد

ص ٩٠ س ٣ و ٤ (عين حجَّة) والصواب « عين خجّيه » وهي من الشحّار

ص ١٠٢ س ١٦ (تقيّ الدين نجا . . . مفرح) كذا في الاصل ونظنّ الصواب « مفرج » بالجيم

ص ١٠٣ س ٢٠ (الميدان) الى هذه المزرعة يُنسب الميادنة في اقليم جزّين

ص ١٠٥ س ٣ و ١٨ (كفرغوص) هي من اقليم الشحّار شمالي نهر الصفا

ص ١٠٨ س ١٢ (بنو تغلب) كذا في الاصل ولعلّ الصواب « بنو ثعلب » كما جاء في الصفحة ٨٥ س ١٨

ص ١١٠ س٣ و١٠ (الدوك) والصواب « الروك » بالراء (راجع الحاشية ٣ من الصفحة ١٢٣)

ص ١١٦ س ٢١ (راجع ص ٣٢٥) والصواب « ص ٦٠ »

ص ١١٩ س ١٣ (كفتون) والصواب « كيفون » راجع الحاشية ١ من الصفحة ١٢٣)

ص ١٢١ س ١٨ و ١٩ (محمّـد العزّي) والصواب « المعزّي » اطلب ترجمتهُ في الصفحة ١٥٨

ص ١٢٨ س ١٦ (الطغرانية . . . والقُنّي) قد سبق ان الطغرانيّة

تصحيف الطُّعزانيَّة وانَّها من الجُرد . امَّا القبّي فمن الشحّار

ص ١٢٩ س ١٨ (عين قوبل) والصواب « دير قوبل »

ص ١٣٢ س ٧ (كوكب سنان) والصواب « كوكب بن سنان »

= س ١١ (وولداهُ الامير سيف الدين) والصواب « وولداهُ والامير سيف الدين) » = س ١٨ (العديسيّ) والصواب « العَدّيسيّ » نسبة الى العدّيس قرية دارسة في العرقوب بقرب عين زحلتا فوق نهر الصفا

ص ١٣٦ س ١١ (ادميث من قرى اقليم الخروب) والصواب « من المناصف » كما افادنا الامير شكيب ارسلان = س ١٩ (بنو السويزانيّ) كذا في الاصل . وقد كتب الينا الامير شكيب ما حرفهُ : « اظنُّ بني الشويزانيّ بالشين المعجمة وهم حيٌّ يُنسَب اليهم الشوف الشُّوَيزانيّ الذي حُرّف الآن الى السويجانيّ »

ص ١٣٨ س ١٠ (صاروجا) هو الذي يُنسب اليهِ سوق صاروجا في الشام وهو من اهمّ محالّ دمشق

ص ١٤٤ س ٨ (الحبّ زمان) والصواب « الحبّ زوان »

ص ١٤٨ س ٤ (باروتا) قال الامير شكيب : الصواب « ياروتا » وهو محلّ واقع في عبر نهر الدامور اسفل مزرعة البقسة

ص ١٥٤ س ٨ (34^v) والصواب « 54^v »

ص ١٦٤ س ٤ (إبنا جُمَيْهِر) والصواب « أَبنا جمَيْهر»

ص ١٦٧ س ٢١ (الحاشية ٣) هي مغلوطة والصواب انَّ «الشاغور محلٌ في اول قرية عبيه » كذا افادنا العالم المدقّق الامير شكيب ارسلان

ص ١٨٠ س ٢ (ارض قرطبة) والصواب « ارض قرطْيه »

ص ١٨٣ س ١١ (قرية شمليح) قال الامير شكيب: « هي شمليخ بقرب شارون وليس فيها الآن سوى مزار للدروز »

ص ١٨٩ س ٧ (مونة) لعلَّ الاصحّ « مؤمنة »

ص ١٩٤ س ٣ (والبيت التي) والصواب « الذي »

ص ١٩٥ س ٩ (الطغرانيَّة) والصواب الطعزانيَّة — س ١٤ (عزّ الدين حسن) وقد روي « عزّ الدين حسين في الصفحة ١٩٦ س ١ »

ص ٢٠٣ س ٤ و ٥ (كان اذا عطس برمطون يسمعهُ الشيخ العلم بكفرفاقود) رمطون شمالي نهر الصفا اسفل كفر متى وكفرفاقود جنوبي النهر فبينهما الوادي ومسافة نحو ساعة

ص ١٠٤ س ١٠ (كنيسة بني حمام) هي الكُنَيِّسة وهي من المناصف

ص ٢٠٨ س ١٢ (فلم يفعل غلّاب) كذا في الاصل ولعلّ الصواب « فلم يقبل غلّاب »

ص ٢١٤ س ٦ (خان الحصين) هو فوق عاليه (الامير شكيب)

ص ٢١٩ س ٧ و ٨ (معصاد) كذا في الاصل والصواب « معضاد »

ص ٢٢٤ س ٢ (ديمة) لعلّها رئمة بالراء (راجع الصفحة ٢٢٦ س ١٠)

ص ٢٢٥ س ٧ (قرية عين زحلتا من شوف صيداء) عين زحلتا اليوم مركز ناحية العرقوب الاعلى وفيها مقرّ الشيوخ المتاولة بيت العيد = س ٩ (الصداع) كتب الامير شكيب : يريد بالصداع الكلفة كما

يظهر من قولهِ في الفقرة التابعة (س ١٢) « لئلا تصدعهم الدولة من جهتهِ »

ص ٢٣١ س ٥ (تحرَّكت الشيعة في بيروت) يريد العلويين ومنهم بقيَّة في جوار بيروت كالذين في برج البراجنة والشيَّاح

ص ٢٣٩ س ١٦ (كفراغوص) والصواب « كفرغوص »

ص ٢٤٠ س ٢١ (كذا بدون تعيين السنة) راجع الصفحة ٢٦١

ص ٢٤٣ س ٩ (سنة ستّ وعشرين وثمانمائة) وفي تاريخ ابن سباط « خمس وعشرين وثمانمائة »

ص ٢٤٤ س ٢٠ (فخر الدين) جعل ابن سباط وفاتهُ سنة ٧٩٦ﻫ (١٣٩٣ م)

ص ٢٤٥ س ٩ (الشيخ الثقة) يدعوهُ ابن سباط الشيخ تقيّ الدين

ص ٢٤٩ و ٢٥٠ (توفّي احمد ابن شرف الدين عيسى) كذا في الاصل ونظنّ الصواب « محمَّد ابن شرف الدين »

ص ٢٦٥ س ٨ (شرف الدين موسى) نظنُّ انَّ في ايَّامهِ بُنيت سراية اعبيه سنة ٨٧٠ ﻫ (١٤٦٦ م) واليك ما كُتب على بابها :

قسماً بما ضمَّت اباطح مكَّة ... ومِنًى وآيات الكتاب المُنزلِ
ما شدتها طمع الخلود وانَّما ... هي زينة الدنيا لاهل المَنزلِ

وممَّا كُتب على عين بشتفين وتاريخها سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م)

انشا الامير مجددًا ... انشا سبيلًا باردا
ارّخ وحاز اميرنا ... ببناهُ أجرًا خالدا



فهرس اوّل

فصول كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة



فهرس ثانٍ

للأعلام

(الاعداد الرفيعة تدل على الاصل والاعداد السود على الحواشي)



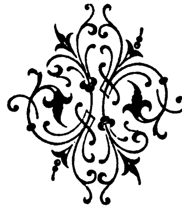
فهرس ثالث

للامكنة والبلدان التي ذُكرت في هذا الكتاب

فهرس رابع

للالفاظ الغريبة المشروحة في ذيل الكتاب





خارطة بلاد

وخصوصاً بلاد

D'éminentes qualités distinguent notre écrivain. Ce n'est pas un simple annaliste comme la plupart de ses coreligionnaires. Il a de l'ordre, de la méthode; il sait grouper les faits qu'il raconte; il les classe avec clarté, les résume, en recherche les causes. C'est un chercheur qui fouille les archives de sa famille et les contrôle, qui interroge les vieillards pour éclaircir un point obscur, qui sait même avouer au besoin son ignorance. Nous ne nous étonnerons pas après cela que son continuateur Ibn Sbat l'ait copié presque en entier, nous donnant ainsi un moyen de fixer son texte parfois inintelligible.

Qu'il nous soit permis de le dire en terminant: cette publication n'intéresse pas seulement l'histoire locale de Beyrouth; nous espérons qu'elle contribuera, pour sa faible part, à mieux faire connaître l'intéressante époque des Croisades en jetant quelque lumière sur un coin du vaste théâtre où elles se sont déroulées.

Beyrouth, 14 Septembre 1902.

siècle et de la main même de l'auteur, qui l'avait écrit pour les émirs d'al-Gharb dont il descendait lui-même. Son intention, comme il prend soin de nous en avertir, était de léguer ce volume à sa famille qui devait le garder comme un legs pieux et ne s'en dessaisir à aucun prix (1). Cela explique pourquoi l'on ne trouve point d'autre copie de l'ouvrage. Cet exemplaire est d'une écriture élégante, parfois difficile à déchiffrer. Le style est simple, presque vulgaire et incorrect; cela même le rend quelquefois obscur. Tout en gardant fidèlement le texte de l'auteur, nous avons cru cependant devoir corriger les fautes grossières. qui l'auraient déparé aux yeux du public oriental qui ne comprend pas ce respect exagéré d'un texte évidemment fautif.

Quant à l'auteur nous avons fort peu de renseignements sur son compte. Ibn Sbat, écrivain du 16e siècle, nous apprend seulement (cfr. p. 264) que c'était un personnage distingué, versé dans toutes sortes de sciences notamment dans l'astronomie, la poésie et l'histoire; il vante ses talents militaires dont il donna une preuve éclatante dans l'expédition contre Chypre (cfr. p. 259) en 828 de l'hégire (1425). Son père Yahia, si nous en croyons Ibn Sbat, était un prince accompli. L'auteur de l'histoire de Beyrouth nous le dépeint comme un homme d'une haute sagesse et d'un grand courage. Nous ne savons pas en quelle année mourut notre historien mais il vivait encore en 840 (1437), comme cela résulte d'un passage de son histoire.

---

1) Voir la Préface de l'auteur p. 7

utiliser pour leur travail. Il était donc inutile de nous engager dans une publication que des hommes aussi compétents pouvaient mieux que nous mener à bonne fin. Mais après informations prises à Paris, on nous répondit que, loin de déplaire, notre travail pourrait au contraire faciliter la tâche des futurs éditeurs et traducteurs et que d'ailleurs on ne songeait pas à publier cette histoire intégralement.

Néanmoins l'ouvrage de Salih resta encore dans nos papiers jusqu'à l'année 1898 au début de laquelle parut la Revue al-Machriq. L'histoire de Beyrouth y vit aussi le jour et continua à y paraître par parties jusqu'à la fin de l'année suivante. En même temps nous préparions un tirage à part de tout l'ouvrage où nous profitions des remarques que des lecteurs bienveillants voulaient bien nous communiquer ([1])

Nous avions promis en outre dans la Revue d'ajouter deux *Appendices* à l'ouvrage d'Ibn Yahia, contenant l'un des extraits d'Ibn Sbat postérieur à notre auteur d'une centaine d'années, l'autre un aperçu de l'histoire de Beyrouth depuis la période ottomane jusqu'à nos jours. On les trouvera à la fin de cette édition avec différentes autres notes. Quatre *Tables* complètent l'ouvrage et facilitent toutes les recherches. La carte ci-jointe a été dressée par M. Aftimios ingénieur distingué du Wilayet de Beyrouth.

Un mot sur le Manuscrit de Paris. Il est du XV^e^

1) Nous remercions tout particulièrement l'Émir Chakib Arislan à qui nous devons de précieux renseignements sur les localités du district d'al-Gharb.

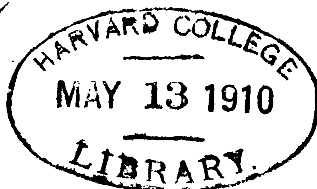
AVANT-PROPOS



Un éminent orientaliste, le regretté directeur de l'École des Langues Orientales vivantes à Paris, M. C. Schefer, nous signalait, il y a dix ans, un Manuscrit de la Bibliothèque Nationale (Fonds arabe 1670, ancien Fonds 821) qui a pour titre: *Histoire de Beyrouth*, et nous engageait en même temps à le publier en l'annotant. Ce travail d'après lui nous revenait de droit, vu la nature du sujet plus intéressant pour nous que pour tout autre. Nous nous laissâmes persuader et nous nous mîmes aussitôt à transcrire l'ouvrage en question.

Cette copie n'était achevée qu'à moitié quand un ordre imprévu vint nous rappeler en Syrie, nous forçant ainsi à interrompre le travail commencé. Peut-être y aurions-nous renoncé sans l'obligeance de M. l'abbé J-B. Chabot, si avantageusement connu du monde savant par ses publications orientales. Il voulut bien se charger de nous photographier lui-même le reste de l'ouvrage et nous permit ainsi d'entreprendre cette intéressante publication.

Un scrupule pourtant nous arrêta quelque temps. En éditant ce manuscrit n'allions-nous pas empiéter sur le terrain d'autrui? En effet dans l'Introduction de la partie arabe de la célèbre Collection des Historiens des Croisades, l'Histoire de Salih Ibn Yahia est mentionnée comme un des ouvrages que les éditeurs comptent


HARVARD COLLEGE
MAY 13 1910
LIBRARY.

HISTOIRE

DE

BEYROUTH

ET DES BOHTOR ÉMIRS D'AL-GHARB

par

SALIḤ IBN YAHYA

PUBLIÉE ET ANNOTÉE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

d'après le Ms de Paris.

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1902.

HISTOIRE

DE

BEYROUTH

ET DES BOHTOR ÉMIRS D'AL-GHARB

par

SALIH IBN YAHYA

PUBLIÉE ET ANNOTÉE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

d'après le Ms de Paris.

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1902.